المَوْعِظَةُ الحَسَنَةُ

بِمَا يُخْطَبُ فِي شُهُورِ السَّنَةِ

تأليف

السيد العلامة

محمد صديق حسن خان القنوجي البخاري

المولود سنة ١٢٤٨ هـ والمتوفى سنة ١٣٠٨ هـ

رحمه الله تعالى

إصدارات

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

دولة قطر

مجموعة العلامة محمد صديق حسن خان

بسم الله الرحمن الرحيم

الموعظة الحسنة
بما يخطب في شهور السنة

تأليف

محمد صديق حسن خان

القنوجي البخاري

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة
إدارة الشؤون الإسلامية

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

عوداً على بدء

نواصلُ المسيرةَ في ظل قيادة حكيمة، ترى تراث الأمة أمانة، وجديرة بالعناية والرعاية، كانت هذه المجموعة من

مطبوعات الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني ـ رحمه الله ـ

حيث طبعت متلاحقة على نفقته الخاصة، كسائر مطبوعاته التي أتحف بها العالم الإسلامي كله، وها نحن نقدمها متوافقة، تجديداً للصلة، في مساراتها الأربعة:

الأول: «الدين الخالص».

معالم التوحيد، مؤسسةٌ على النصوص الخالدة من الكتاب والسنة، إنه الدين في صورته الحقيقية.

الثاني: «التاج المكلل من مآثر الطراز الآخر والأول».

تراجم جملة من علماء الإسلام الأعلام الهداة الأئمة، مآثر واضحة، فضائل لائحة، مناقب سائرة.

الثالث: «الموعظة الحسنة بما يُخطب في شهور السنة».

نماذج فاعلة بكلماتها الجميلة للخُطب كافة، بدايةً من خُطبة الجمعة، والعيدين، والاستسقاء، والكسوف والخسوف، حيث المناسبة، مع ذكر

الأحكام الشرعية المتعلقة، فجاء الكتاب حافلاً مهماً في بابه.

الرابع: «رحلة الصديق إلى البلد العتيق».

صورة شائقة لهذه الرحلة المباركة، من الهند على ظهر سفينة، وصولاً إلى جدة، ومن ثم إلى مكة المكرمة، مع ذكر الأحكام الخاصة بالحج والعمرة والزيارة، وأحكام وفضائل مكة والمدينة، جامعة بين المتعة بذكر جملة مما وقع له من حوادث أثناء الرحلة، وتلك الروح العلمية. لهذا كله وقع الاختيار عليها بعد نصف قرنٍ من نشرتها الأولى.

حيثُ عهدت إدارة الشؤون الإسلامية إلى دار النوادر لصاحبها نور الدين طالب للعمل عليها لإخراجها في حلتها الجديدة، وفق خطة علمية، تلخصت في الآتي:

١ـ إعادةُ تنضيد الكتب على أفضل وأرقى البرامج الطباعة الحالية.

٢ـ تصحيح الكتب بما ورد فيها من أخطاء مطبعية سابقة، وقد بلغت مئات الأخطاء.

٣ـ كتابةُ الآيات القرآنية بالرسم العثماني، منقولة من المصحف الشريف، إضافة إلى عزوها عقب الآية بين معكوفتين.

٤ـ ضبطُ النصوص المهمة والمشكلة بالشكل الضروري، كالأحاديث النبوية الشريفة، وأبيات الشعر، وغريب اللغة.

٥ـ إعادةُ تقسيم الكتاب، وتفصيل فقراته، بما يتناسب مع سهولة تناوله وقراءته.

٦ـ وضعُ علامات الترقيم المناسبة للنص، حتى يخرج نصاً صحيحاً من حيث اللغة والإعراب.

وإنا لنرجو الله تعالى أن يكون في عملنا هذا الإفادةَ لطلبة العلم وأهله.

وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

إدارة الشؤون الإسلامية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله على ما علَّمَنا بالقلم ما لم نكن نعلم، فأعربت الألسنُ عما رسم في الضمائر من الحكم، ونبهنا بآثاره على سلوك الطريق الواضح المَعْلَم، وسلك بنا من لطفه العميم مسلكَ الإحسان والنعم والكرم، وصلى الله على سيدنا محمد نخبةِ الكرام، ولَبِنة التمامِ وسلَّم، الذي أضاء بنوره سوادَ العرب، ومواد العجم، وعلى آله الجهابذة، وصحبه الأساتذة خيرةِ الخيرةِ في الأمم، وعلى محدِّثي أمته المرحومة الذين ظهرت أنوارُ هدايتهم للناس في حوالِكِ الظُّلم، وهم المشارُ إليهم بقوله: «اتبعوا السوادَ الأعظم»[1]، وعلينا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين ارحم.

وبعد: فلما أنجز الله سبحانه ما وعد به عباده الصابرين في قوله الكريم: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وأيدهم بالنصر في هذه الحياة الدنيا؛ لتكون كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا، منَّ عليَّ بما لم أكنْ من أهله ورجاله؛ لكون مطلعِه الثريا والزهرةُ محلُّ رحاله، مع كوني مكرَهاً على قبوله؛ لأني لست من فرسان هذا الميدان ولا من خُيوله، ولكن حيثُ لم يسعني الحذرُ من القدر، ونابني من جهة الرئاسة وصاحبة السياسة ما نابَ من الصفاء أو

---

(١) رواه ابن ماجه بلفظ: «إن أمتي لن تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافاً، فعليكم بالسواد الأعظم». قال ابن حجر: حديث تفرد به معاذ بن رفاعة عن أبي خلف، ومعاذ صدوق فيه لين، وشيخه ضعيف.

الكدر، صبرت على ذلك قائلاً: الحمدُ لله تعالى على كل ما هنالك. ثم إني رأيتُ خطباءَ بلدتنا هذه بهوبال وغيرها من بلاد الهند أنهم كثيراً ما يأوون في الجُمَع والأعياد إلى خطبة واحدة لواحد من الناس، فخطر ببالي أن استخلص لهم من خالص الدواوين المؤلَّفة في خطب العام عدّه، تكون في بابها صفوة الصفوة وزُبدة الزبدة، فجمعتُ دواوين الخطب للحافظ ابن حجر العسقلاني، وابنِ نُباتة المصري، وجاد المولى، والشيخ الملواني، وغير ذلك مما طبع بمدائن شتى، وألف في القطر اليماني. ونظرت فيها جميعاً، فإذا كل ديوان منها ـ وإن كان قد أتى بارعاً في بابه، وقام خطيباً في محرابه، وجاء مفلِقاً في إيجازه وإطنابه، ولكن حيث كان الأمر كما قيل.

وإنَّمــا يبلــغُ الإنســانُ طــاقَتَــهُ ما كُلُّ ماشيةٍ بالرَّحْلِ شِمْلالُ[(١)]

لم أَرتضِ من تلك المجاميع إلا ما جمعه الحافظُ ابنُ الجوزي ـ رحمه الله ـ، وما انتخبه السيد العلامة الأكمل محمدُ بنُ أحمد بن عبد الباري الأهدل من ديوانه وغيره من غيره؛ لكونه آخذاً بمجامع القلوب، مُفْرَغاً في قالب البراعة البديعة الأسلوب، فأثبتُّها في هذه الأوراق، قدوةً بأهل الحديث، وتيسيراً على خطباء الآفاق، فجاءت بحمد الله سبحانه تحفة حسنة المثال، وغادةً بديعة الجمال، تذكِّر الناسي، وتُلَيِّن القاسي، تأخذ بمجامع الأرواح والقلوب، وتجذب الشاردَ إلى التوبة من الحَوْبَة والذنوب؛ لأن منشأها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأيضاً كلُّ ما جَدَّ لَذَّ في المسمع والمنظر، لاسيما ما كان من ذلك على طريقة أهل الأثر.

حَمامَةَ جَرْعى حَوْمَةِ الجندلِ اسْجَعي فـأنـتِ بمَـرْأى مـن سُعـادَ ومَسْمَـعِ

فهذه خطب الجُمع للعام، مرتبة على شهور السنة، مع خطب العيدين

---

(١) الشملال: السريع. يقال: ناقة شملال، وجمل شملال.

وغيرِهما زيادة في الحسنة، خذها إليك سهلةَ المساق، عذبةَ المذاق، تقرِّبُ القاصي، وتذيب العاصي، تُزري نضارتُها بالهضاب التي باكَرَها الغمام في رياض المبرة بما يرام، وتمتزج لطافتُها بالأفهام، امتزاجَ الدم بالمُدام، في مجالس المسرة بما يستدام.

سميتها:

«الموعظة الحسنة بما يُخطب في شهور السنة»

واللهَ تعالى أسأل أن يجعل هذه الخطب نافعة لسامعها، مثوبةً لجامعها، لا تُقبل على سمع إلا تلقاها بالقَبول، ولا تهبُّ ريحُها على أذن إلا نشقتها تنشُّق الصَّبا والقبول.

ثم لما كمل هذا الجمع للخطب، رأيت أن أتوجها بأحكام الجُمَع والعيدين وغيرها؛ قضاءً لحق المقام، وتبصرة لمن له إلى الاتباع إلمام، فاقتصرت في بيانها هنا على أمهات مسائل ثبتت من السنة المطهرة، وصح دليلها، وتركتُ منها ما كان من محض الرأي؛ فإنه قالُها وقيلُها، كيف وهي الحَكَم الفصل بين صحيح القول وفاسده، والميزانُ العدل لمعرفة الوزان عن كاسده. فليتأمل المنصف هذا بعين قلبه، وبصر بصيرته، وليدَعْ ما يعرض له من أسباب العدول عن الصواب وسيرته، فالدينُ دينُ الله، والتكليفُ هو لعباد الله، والشريعة الموضوعة بين ظهرانَي هذه الحياة الدنيا هي ما في كتاب الله العزيز، وسنةِ رسوله المطهرة، وليس أحدٌ من العباد بمستحق للمحاولة والمصاولة عن قوله على وجه يستلزم طرحَ ما هو ثابت من الشريعة. فأهلُ العلم أحياؤهم وأمواتهم ـ وإن بلغوا في معرفة الشريعة الحقة إلى حدّ يقصر عنه الوصف، وفي التقيد بها إلى مبلغ تضيق عنه العبارة، وفي جلالة القدر، ونبالة الذكر إلى رتبة يَكِلُّ الذهن عن تصوُّرها ـ فهم ـ رحمهم الله تعالى ـ متعبَّدون بهذه الشريعة كتعبدنا بها سواء بسواء، وتابعون لا متبعون، ومكلَّفون لا مكلِّفون، هذا يعلمه كلُّ مَنْ لديه

نصيبٌ من علم الشريعة، وحظٌّ من أنوار السنة المطهرة البديعة، ومن يهدِ الله فلا مضلَّ له، ومن يضلله فلا هاديَ له. وهذه المسائل، وتلك الدلائل قد استفدتُ غالبها من مؤلفات شيخنا وبركتنا الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ، والسيد العلامة محمد الأمير، ومن حذا حَذْوَهما في صحة القول والتحرير؛ كالمجد، والحافظ ابن القيم، واللهُ المسؤول أن ينفعنا بحسن النية، وأن يهبنا من جزيل ثوابه الأمنية، وحرّر ذلك سرة رمضان المبارك سنة ١٢٩٥ الهجرية، وآخر دعواي أن الحمدُ لله ربِّ البرية.

❊ ❊ ❊

الكلام على صلاة الجمعة

الأدلة المصرحة بأن الجمعة حقٌّ على كل مكلف، وبأنها واجبة على كل محتلم، وبالوعيد الشديد على تاركها، وبهمِّه ﷺ بإحراق المتخلِّفين عنها، تقتضي أنها واجبة على الأعيان، وليس بعدَ الأمر القرآني المتناوِلِ لكل فرد من قوله تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] حُجَّةٌ بينة واضحة، وزحلفةُ دلالةِ هذه الآية على الوجوب العيني تعصبٌ يأباه الإنصاف. وقد أخرج أبو داود من حديث طارق بن شهاب: أن النبي ﷺ قال: «الجمعةُ حقٌّ واجب على كل مسلم إلا أربعة: عبد مملوك، أو امرأة، أو صبي، أو مريض»، وقد صححه غير واحد من الأئمة[١]، ويؤيده ما أخرجه الدارقطني، والبيهقي من حديث جابر بلفظ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فعليه الجمعةُ، إلا امرأةً، أو مسافراً، أو عبداً، أو مريضاً»، وفي إسناده ضعف، وفي الباب عند الطبراني في «الأوسط»، وعن مولًى لآل الزبير عند البيهقي، وعن أم عطيةَ عند ابن خزيمة، وعن أبي هريرة ذكره صاحبُ «مجمع الزوائد»، وصاحبُ «التلخيص»، وفيه ضعف. وعن تميمٍ الداريِّ ـ

---

(١) (قوله: وقد صححه... إلخ) يعني: مرسلاً، وهو حجة عند الجمهور، إنما خالف فيه أبو إسحق الإسفراييني على أنه قد اندفع الإعلال بالإرسال؛ لما في رواية الحاكم من ذكر أبي موسى، فليعلم. نور

رضي الله عنه ـ عند العقيلي، والحاكم، وفي إسناده ضعف.

الأحاديث الصحيحة قد اشتمل بعضُها على التصريح بإيقاع صلاة الجمعة وقتَ الزوال؛ كحديث سلمةَ بنِ الأكوع في «الصحيحين»، وغيرهما، قال: «كنا نُجَمِّعُ مع رسول الله ﷺ إذا زالتِ الشمسُ»، وبعضُها فيه التصريح بإيقاعها قبلَ الزوال؛ كما في حديث جابر عند مسلم وغيره: أن النبي ﷺ «كان يصلي الجمعةَ، ثم يذهبون إلى جِمالهم فيرعونَها حينَ تزولُ الشمس»، وبعضها محتملٌ لإيقاع الصلاة قبل الزوال، وحاله، كما في حديث سهل بن سعدٍ في «الصحيحين»، وغيرهما، قال: «ما كنا نَقيلُ ولا نتغدَّى إلا بعد الجمعة»، وكما في حديث أنس عند البخاري وغيره، قال: «كنا نصلي مع النبي ﷺ الجمعةَ، ثم نرجعُ إلى القائلة فنقيلُ»، ومجموع هذه الأحاديث يدل على أن وقتَ صلاة الجمعة حالَ الزوال وقبلَه، ولا موجبَ لتأويل بعضِها، وقد وقع من جماعة من الصحابة التجميعُ قبل الزوال[1] وذلك يدل على تقرر الأمر لديهم وثبوته.

وفي حديث عبدِ الله بن عمرِو بن العاص ـ كما في كتب هذا الفن ـ يرفعه: «إن الجمعة على من سمعَ النداء»، وهو مقيد للأدلة المطلقة المصرِّحة بوجوب الجمعة على الأعيان، والمراد بهذا النداء هو الواقع بين يدي الإمام؛ لأنه لم يكن في زمن النبوّة غيرُه.

فإن قلت: ظاهر حديث جابر: أن الجمعة واجبة على من كان يؤويه الليل

---

(١) (قوله: التجميع قبل الزوال إلخ) كما أوضحه المحقق العلامة الشوكاني في «النيل»، ورجحه الحافظ ابن القيم في «الهدي»، وقال: لا يكره فعل الصلاة فيه وقتَ الزوال عند الشافعي ومن وافقه، وهو اختيار شيخنا ابن تيمية، قال: ذكر الشافعي في كتابه عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ «نهى عن الصلاة نصف النهار حتى تزول الشمس إلا يوم الجمعة» ا.هـ، ثم ذكر أحاديث أخرى في سندها مقال، لكن قال البيهقي: إذا انضمت هذه الأحاديث إلى رواية أبي قتادة، أحدثت بعض القوة. قلت: حديث أبي قتادة رواه أبو داود مرسلاً، والذي في «الصحيحين» يغني عن ذلك كله. نور

إلى أهله، ودلالته أرجحُ من دلالة الحديث الأول؛ لأنه يدل على وجوب الجمعة على من لم يسمع النداء بفحوى الخطاب، والحديث الأول يدل على عدم الوجوب بمفهومه، وفحوى الخطاب أرجحُ من هذا المفهوم. قلت: الجواب عن هذا من وجهين:

الأول: أن الحديث الآخر، وإن كان أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة؛ فقد قال بعد إخراجه: إن إسناده ضعيف، وبين علةَ الضعف. قال العراقي: إنه غير صحيح.

الوجه الثاني: أنه يمكن الجمع بينه وبين الحديث الأول على فرض صلاحيته للحجة بأن يقال: حديث «الجمعة على من سمع النداء» مشروط بأن يكون مكانُه قريباً بحيث يؤويه الليل إلى أهله، لا مَنْ كان مكانه بعيداً بحيث لا يؤويه الليل إلى أهله، فإن الجمعة لا تجب عليه بمجرد سماع النداء؛ لما في ذلك من المشقة.

لا يُشترط الإمامُ الأعظم للجمعة، ولو كان مجردُ إقامتها به ﷺ، أو بمن هو والٍ من جهته، يستلزم اشتراطَ الإمام الأعظم فيها، لكان الإمام الأعظم شرطاً في سائر الصلوات؛ لأنها لم تقم إلا به في عصره ﷺ، أو بمن يأمره بذلك، واللازمُ باطلٌ، فالملزومُ مثله، هذا إذا كانت استفادة البيان من جهة الفعل، وإن كانت من جهة القول، فما أوردوه من حديث(١): «وله إمام عادل أو جائر» عليهم

---

(١) (قوله: فما أوردوه من حديث... إلخ) رواه البزار عن جابر مرفوعاً، وفي إسناده عبد الله بن محمد، ويقال له: السهمي، ويقال له: البلوي، وقد رماه وكيع بالوضع، وقال البخاري: منكر الحديث. وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به. وقد أخرجه البيهقي من حديث أبي هريرة، وفيه زكريا الوقار، وقد رماه صالح جزرة (١) بالكذب، وابنُ عدي بالوضع. وقال في «المغني»: إنه يتهم بالكذب. وقد أخرجه أيضاً الطبراني من حديث أبي سعيد، وفي إسناده موسى بن عطية الباهلي، قال صاحب «مجمع الزوائد»: لم أجد من ترجمه، وبقية رجاله ثقات. وقال: لم يعرف موسى من الحفاظ، فهو مجهول، ومدار =

لا لهم؛ لأنهم هم الذين أجابوا عنه بالتأويل الذي ليس بمقبول، لعدم المُلْجِىء إلى ذلك. والتأويلُ إنما يُصار إليه إذا وُجد دليل يخالفه، فما هو؟ وحديث: «لا يَؤُمَّنَّ فاجرٌ مؤمناً، ولا يؤمَّنكم ذو جرأة في دينه» مما لا تقوم به حجة، مع كونه في إمام الصلاة. وأما ما يروى[(١)] من أربعة إلى الولاة، فهذا قد صرح أئمة هذا الشأن بأنه ليس من كلام النبوة، ولا من كلام من كان في عصرها من الصحابة حتى يحتاج إلى بيان معناه، أو تأويل مبناه، وإنما هو من كلام الحسن البصري.

والحاصل: أنه ليس على هذا الاشتراط أثارةٌ من علم، بل لم يصحَّ ما يُروى في ذلك عن بعض السلف، فضلاً عن أن يصح فيه شيء عن النبي ﷺ، ومن طَوَّلَ المقالَ في هذا المقام، فلم يأت بطائل قط، ولا يستحق ما لا أصل له أن يُشتغل برده، بل يكفي فيه أن يقال: هذا كلام ليس من الشريعة، وكل ما هو ليس منها، فهو ردّ؛ أي: مردود على قائله، مضروب في وجهه.

صلاة الجماعة قد صحت بواحد مع الإمام، وصلاة الجمعة هي صلاة من الصلوات، فمن اشترط فيها زيادةً على ما تنعقد به الجماعة، فعليه الدليلُ، ولا دليلَ. والعجبُ من كثرة الأقوال في تقدير العدد حتى بلغت إلى خمسةَ عشرَ قولاً، ليس على شيء منها دليل يُستدل به قط، إلا قول من قال: إنها تنعقد

= الطرق كلها على علي بن زيد بن جدعان. والكلام على هذا الحديث يطول، فانظره في «الفتح الرباني». نور (١) في الأصل جرزة، وهو خطأ. وصالح هذا هو أبو علي صالح بن محمد بن عمرو بن حبيب المعروف بجزرة، من أئمة أهل الحديث، كان صدوقاً ثبتاً أميناً، وكان ذا مزاح ودعابة، ولقب بجزرة؛ لأنه صَحَّف في حديث عائشة: «أنها كانت تسترقي من الخرزة» قال: «من الجزرة». انظر: «تاريخ بغداد» (٩/ ٣٢٢).

(١) (قوله: وأما ما يروى إلخ) أخرجه ابن أبي شيبة، وأجاب عنه العلامة الشوكاني في «الفتح الرباني» بأنه غير ثابت من قوله، وإنما هو من قول جماعة من التابعين، منهم: الحسن البصري، وعبد الله بن محيريز، وعمر بن عبد العزيز، وعطاء، ومسلم، ويسار، وذلك مما لا تقوم به الحجة على الخصم، ومن ادعى أنه من قول الرسول ﷺ، توجه عليه أن يقيم البرهان على ذلك؛ لأن خصمه في مقام المنع. نور

جماعة الجمعة بما تنعقد به سائر الجماعات، كيف والشروط إنما تثبت بأدلة خاصة تدل على انعدام المشروط عند انعدام شرطه، فإثباتُ مثل هذه الشروط بما ليس بدليل أصلاً، فضلاً عن أن يكون دليلاً على الشرطية، مجازفةٌ بالغة، وجرأة على التقوُّل على الله، وعلى رسولِه، وعلى شريعته.

لا أزال أُكثر التعجبَ من وقوع مثل هذا للمصنفين، وتصديره في كتب الهداية، وأمر العوام والمقصرين باعتقاده، والعمل به، وهو على شفا جرف هار. ولم يختص هذا بمذهب من المذاهب، ولا بقطر من الأقطار، ولا بعصر من العصور، بل تبع فيه الآخر الأول، كأنه أخذه من أم الكتاب، وهو حديث خرافة. وقد كثرت التعينات في هذه العبادة، هذا يقول: شرطُها إمام أعظم، وهذا يقول: شرطُها كذا وكذا من العدد، وهذا مسجد في مستوطن، وهذا يجمع بين المتردية والنطيحة وما أكل السبع، فيعتبر جميع هذه الأمور بلا برهان، ولا قرآنَ ولا شرعَ ولا عقلَ.

وبالجملة: فما هذا بأولِ تعسُّف خُصِّصَت به هذه العبادة، وتلاعبت بها أقوال الرجال من يمين وشمال. فيا ليت شعري ما بالُ هذه العبادة من بين سائر العبادات تثبت لها شروط وفروض وأركان بأمور لا يستحل العالِمُ المحققُ بكيفية الاستدلال أن يجعل أكثرها سنناً ومندوبات، فضلاً عن فرائض وواجبات، فضلاً عن شرائط.

والحق: أن هذه الجمعة فريضة من فرائض الله سبحانه، وشعار من شعائر الإسلام، وصلاة من الصلوات، فمن زعم أنه يعتبر فيها ما لا يعتبر في غيرها من الصلوات، لم يُسمع منه ذلك إلا بدليل، فإذا لم يكن في المكان إلا رجلان، قام أحدهما يخطب، واستمع له الآخر، ثم قاما فصليا صلاة الجمعة.

الحاصل: أنّ جميع الأمكنة صالحةٌ لتأدية هذه الفريضة إذا سكن فيها رجلان مسلمان؛ كسائر الجماعات، ومن ادّعى اختصاص صلاة الجمعة

بزيادة(١) على ما تنعقد به الجماعة في سائر الصلوات، فعليه الدليل. وكونُ الجمعة لم تُقم إلا بزيادة على هذا العدد لا يفيد وجوبَ الزيادة، بل لو قال قائل: إن الأدلة الدالة على صحة صلاة المنفرد شاملةٌ لصلاة الجمعة، لم يكن بعيداً من الصواب؛ كقوله ﷺ: «صلاةُ الجماعة تفضُل صلاةَ المنفرد بسبع وعشرين درجة»، وكقوله ﷺ: «صلاةُ الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحدَه» الحديث. وقد قال بهذا قائل من أهل العلم من سلف هذه الأمة(٢).

صلاةُ الجمعة صلاةٌ من الصلوات، يجوز أنْ تقام في وقتٍ واحدٍ جُمَعٌ متعددة في مصر واحد، كما تقام جماعاتُ سائر الصلوات في المصر الواحد، ولو كانت المساجد متلاصقة. ومن زعم خلافَ هذا، كان مستندُ زعمه مجرَد الرأي، فليس ذلك بحجة على أحد. وإن كان مستندُ زعمه الروايةَ، فلا رواية. وهذه المسألة قد اشتهرت بين أهل المذاهب، وتكلم فيها من تكلم منهم، وصنف فيها مَنْ صنف، وهي مبنية على غير أساس، وليس عليها أثارة من علم قط. وما ظنه بعض المتكلمين فيها من كونه دليلاً عليها، هو بمعزل عن الدلالة، وما أوقعهم في هذه الأقوال الفاسدة إلا ما زعموه من الشروط التي اشترطوها بلا دليل ولا شبهة دليل.

والحاصل: أن المنع من جمعتين في مصر واحد إن كان لكون من شرط

---

(١) (قوله: بزيادة إلخ) كالإمام الأعظم، والمكان المستوطن يسكنه عشرة آلاف أو دونها أو فوقها، والمصر الجامع الذي تكون فيه الحمامات والمساجد، وكذا العدد الخصوص، كأربعين أو أكثر من ذلك أو أقل منه، أو كون الخطبة قبلها شرطاً لها، أو عدالة الخطيب، ونحو هذا الهذيان من فضول الكلام المعدود من سقطات الأعلام، ويكفي في دفع اشتراط المسجد والمصر الجامع ما ثبت في كتب السير من تجميعه ﷺ في بطن الوادي. وأما ما يروى بلفظ: «لا جمعة ولا تشريق إلا في مصر جامع»، فلم يصح رفعه، وليست الحجة قائمة بالموقوف. نور

(٢) (قوله: من سلف هذه الأمة) وجمع بعض أهل العلم في صحة صلاة الجمعة فرادى رسالة، وعرضها على العلامة الشوكاني رحمه الله ـ، وهو أحد من أخذ عنه علوم الاجتهاد. نور

صلاة الجمعة أن صلاة الجمعة ألا يقع مثلها في موضع واحد أو أكثر، فمن أين هذا؟ وما الذي دل عليه؟ وإن كان مجرد أنه ﷺ لم يأذن بإقامة جمعة غير جمعته في المدينة، وما كان يتصل بها من القرى، فهذا مع كونه لا يصح الاستدلالُ به على الشرطية المقتضية للبطلان، بل ولا على الوجوب الذي هو دونها، يستلزم أن يكون الحكم هكذا في سائر الصلوات الخمس، فلا تصح الصلاة جماعة في موضع لم يأذن النبي ﷺ بإقامة الجماعة فيه، وهذا من أبطل الباطلات. وإن كان الحكم ببطلان المتأخرة من الجمعتين إن عُلمت، وكلتيهما مع اللَّبْس، لأجل حدوث مانع، فما هو؟ فإن الأصل صحة الأحكام التعبدية في كل مكان وزمان، إلا أن يدل الدليل على المنع، وليس هاهنا من ذلك شيء البتة.

الواجب يوم الجمعة: الجمعةُ فريضة من الله ـ عز وجل ـ فرضَها على عباده، فإذا فاتت لعذر، فلا بد من دليل يدل على وجوب صلاة الظهر، وفي حديث ابن مسعود: «ومن فاتته الركعتان، فليصل أربعاً»، وهذا يدل على أن من فاتته الجمعة، صلى ظهراً.

وأما ما ذكره أهل الفروع من فوائد الخلاف في هذه المسألة، فلا أصل لشيء من ذلك.

أخرج النسائي[1] من حديث أبي هريرة بلفظ: «من أدرك ركعة من الجمعة

(١) (قوله: أخرج النسائي إلخ) أقول: العمل بالأحاديث المروية فيمن أدرك ركعة من الجمعة ثابت مع كون بعضها قد صححه بعض الأئمة المعتبرين، وبعضها قد حسنه بعضهم، وبعضها فيه مقال، ولو فرض أنه لا صحيح فيها ولا حسن، لكان لمجموعها مع كثرة طرقها، وتباين مخارجها من الحسن ما ليس لغيره، وهو معمول به، ولا خلاف عن المسلمين أن الجمعة صلاة، وأن لها ركعة يمكن إدراكها كما لغيرها ركعة يمكن إدراكها، وقد بالغ الشارع في البيان حتى قال: «من أدرك من الجمعة ركعة، فليضف إليها أخرى، وقد تمت صلاته». فلم يكتف بمجرد الإدراك، بل ضم إلى ذلك إضافة أخرى إليها، ثم لم يكتف بذلك، بل جاء بما يدفع كل علة وينقع كل غلة، فقال: «وقد تمت صلاته». نور =

فقد أدركَ الجمعةَ»، ولهذا الحديث اثنا عشر طريقاً، صحح الحاكم ثلاثاً منها، قال في «البدر المنير»: هذه الطرق الثلاث أحسنُ طرق هذا الحديث، والباقي ضعاف. وأخرجه النسائي، وابن ماجه، والدارقطني من حديث ابن عمر، وله طرق. وقال الحافظ ابن حجر في «بلوغ المرام»: إسناده صحيح، وأقر أبو حاتم إرسالَه، وأخرج الطبراني في «الكبير» من حديث ابن مسعود بلفظ: «من أدركَ من الجمعة ركعةً، فليضِفْ إليها أخرى، ومن فاتته الركعتان، فليصلِّ أربعاً»، قال في «مجمع الزوائد»: وإسناده حسن، فهذه الأحاديث تقوم بها الحجة، ويدل على ما دلت عليه هذه الأحاديث ما في «الصحيحين» وغيرهما من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «من أدرك ركعةً من الصلاة، فقد أدركَ الصلاة»؛ فإن صلاة الجمعة داخلة في هذا العموم، ولا تخرج عنه إلا بمخصص، ولا مخصص[1].

ظاهر حديث زيد بن أرقم عند أحمد، وأبي داود، والنسائي، وابن ماجه بلفظ: أنه ﷺ صلى العيد، ثم رخص في الجمعة، فقال: «من شاء أن يصلي، فليصلِّ» يدل على أن الجمعة تصير بعد صلاة العيد رخصة لكل الناس، فإن تركها الناس جميعاً فقد عملوا بالرخصة، وإن فعلها بعضُهم، فقد استحقَّ الأجر، وليست بواجبة عليه، من غير فرق بين الإمام وغيره، وهذا الحديث قد صححه ابن المديني، وحسنه النووي. وقال ابن الجوزي: هو أصح ما في الباب، وفي إسناده إياس بن أبي رملة، قال ابن القطان، وابن المنذر: وهو مجهول. ولكنه يشهد له ما أخرجه أبو داود، وابن ماجه، والحاكم من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ، قال: «قد اجتمع في يومكم هذا عيدان، فمن شاء، أجزأَه عن

(١) (قوله: ولا مخصص) ولشيخنا وبركتنا عز الإسلام المجتهد الرباني محمد بن علي الشوكاني ـ رضي الله عنه ـ رسالة في ذلك تشتمل على مقدمة وعشرة مقاصد، كتبها جواباً على بحث لبعض الأعلام المبرزين، فإن شئت الزيادة، فعليك بها. نور

الجمعة، فإنا مُجَمِّعون»، قال في «البدر المنير»: وصححه الحاكم. وأخرج نحوه ابن ماجه من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف، وأخرج أبو داود، والنسائي، والحاكم عن وهب بن كيسان قال: اجتمع عيدان على عهد ابن الزبير، فأخر الخروجَ حتى تعالى النهار، ثم خرج، فخطب، فأطال الخطبة، ثم نزل فصلى، ولم يصل الناس يومئذ الجمعة، فذكر ذلك لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، فقال: أصابَ السنة. ورجالُه رجال الصحيح، وأخرجه أيضاً أبو داود عن عطاء بنحو ما قاله وهب بن كيسان، ورجاله رجال الصحيح.

وجميع ما ذكرناه يدل على أن الجمعة بعد العيد رخصة لكل أحد، ولا ينافي ذلك قوله ﷺ: «فإنا مجمِّعون»، فقد دلت أقواله على أن هذا التجميع منه ﷺ ليس بواجب، فغاية ما فيه أنه أخبرهم بأنه سيأخذ بالعزيمة، وأخذُه بها لا يدل على أن لا رخصةَ في حقه وحقِّ من تقوم بهم الجمعة، وقد تركها ابن الزبير في أيام خلافته؛ كما تقدم، ولم ينكر عليه الصحابة ذلك.

الأحاديث الصحيحة الثابتة في «الصحيحين» وغيرهما من طريق جماعة من الصحابة قاضيةٌ بوجوب الغسل للجمعة، ولكنه ورد ما يدل على عدم الوجوب أيضاً عند أصحاب «السنن» يقوّي بعضه بعضاً، فوجب تأويلُه بحمله على أن المراد بالوجوب تأكيدُ المشروعية؛ جمعاً بين الأحاديث، وإن كان لفظ «واجب» لا يصرف عن معناه إلا إذا ورد ما يدل على صرفه؛ كما نحن بصدده، لكن الجمع مقدم على الترجيح، ولو كان بوجه بعيد[١].

اعلم أن حديث: «إذا جاء أحدُكم إلى الجمعة، فليغتسلْ» يدل على أن

---

(١) (قوله: بوجه بعيد) قال المجد في «الصراط المستقيم»: يستحب الغسل في ذلك اليوم، وعند جماعة: يجب، ودليل وجوبه أقوى من دليل وجوب الوتر، ومن الوضوء من مس النساء، ومن القهقهة، ومن الرعاف، ومن الحجامة، ومن القيء، ومن دليل وجوب الصلاة على النبي ﷺ في التشهد. نور (١) قوله: المجد: خطأ، بل هو شيخ الإسلام ابن تيمية، وهذا في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم».

الغسل لصلاة الجمعة، وأن من فعلَه لغيرها، لم يظفر بالمشروعية، سواء فعله في أول اليوم، أو في وسطه، أو في آخره، ويؤيد هذا ما أخرجه ابن خزيمة، وابن حبان، وغيرهما مرفوعاً: «من أتى الجمعةَ من الرجال والنساء، فليغتسل»، زاد ابن خزيمة: «ومن لم يأتها، فليس عليه غسل».

عن أبي هريرة، وعبد الله بن عمر: أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره: «لينتهينَّ أقوامٌ عن وَدْعِهِمُ الجُمعاتِ، أو ليختمنَّ الله على قلوبهم، ثم ليكونُنَّ من الغافلين» أخرجه مسلم، ورواه أحمد، والنسائي من حديث ابن عمر، وابن عباس. هذا الحديث من أعظم الزواجر عن ترك الجمعة، والتساهل فيها، وفيه إخبار بأن تركها من أعظم أسباب الخذلان، ولقد عرفنا من يتساهل في الجمعة أسبوعاً حتى يحرم حضورها بسبب الخذلان بالكلية، والإجماع قائم على وجوبها على الإطلاق، والأكثر على أنها فرض عين. وقال في «معالم السنن»: إنها فرض كفاية عند الفقهاء. قلت: والحق هو القول الأول كما تقدم.

* * *

الكلام على خطبة الجمعة

قد ثبت ثبوتاً يفيد القطع أن النبي ﷺ ما ترك الخطبة في صلاة الجمعة التي شرعها الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وهي صلاة الركعتين مع الخطبة قبلها، وقد أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ في كتابه العزيز بالسعي إلى ذكر الله تعالى، والخطبةُ من ذكر الله إذا لم تكن هي المرادة بالذكر، فالخطبة سنة لا فريضة.

وأما كونها شرطاً من شروط الجمعة، فلا. فأين الدليل لقائل: لا صلاة جمعة لمن لم يسمع الخطبة أو بعضها، ولا تقبل صلاة جمعة إلا بسماع خطبة، أو لا يصلِّ أحدُكم الجمعة إذا لم يسمع شيئاً من الخطبة، فإنا لم نجد حرفاً من هذا في السنة المطهرة، بل لم نجد فيها قولاً يشتمل على الأمر بها الذي يُستفاد منه الوجوب، فضلاً عن الشرطية، وليس هناك إلا مجرد أفعال محكية عن رسول الله ﷺ أنه خطب، وقال في خطبته كذا، وقرأ كذا، وهذا غاية ما فيه أن تكون الخطبة قبل صلاة الجمعة سنة من السنن المؤكدة، لا واجبة، فضلاً عن أن تكون شرطاً للصلاة. فما بال من يجعلها فريضة كفريضة صلاة الجمعة؟!، ويجاوز ذلك إلى أنها شرط لصلاة الجمعة!.

لم يتقرَّر لدينا دليل صحيح معتبر يدل على وجوب الخطبة في الجمعة حتى يكون شهودها واجباً، والفعل الذي وقعت المداومة عليه لا يستفاد منه الوجوب، بل يستفاد منه أن ذلك المفعول على الاستمرار سنة من السنن

المؤكدة، فالخطبة في الجمعة سنة من السنن المؤكدة، وشعار من شعائر الإسلام، لم تترك منذ شرعت إلى موته ﷺ، ولا أقيمت صلاةُ جمعة بغير خطبة، وهكذا بعدَ عصره في جميع الأقطار إلى هذا العصر لم تُترك في قطر من أقطار المسلمين، ولا أهملت في عصر من العصور الإسلامية.

وأما كونها واجبة مفترضة، فلم يأت في كتاب الله ـ سبحانه وتعالى ـ، ولا في سنة رسول الله ﷺ ما يدل على ذلك، ولا بلغ إلينا ما يفيد الوجوب[1].

اعلم أن الخطبة المشروعة هي ما كان يعتاده ﷺ من ترغيب الناس وترهيبهم، فهذا في الحقيقة هو روح الخطبة الذي لأجله شرعت. وأما اشتراط: الحمد لله، أو الصلاة على رسول الله ﷺ، أو قراءة شيء من القرآن، فجميعُه خارج عن معظم المقصود من شرعية الخطبة، واتفاقُ مثلِ ذلك في خطبه ﷺ لا يدل على أنه مقصود متحتم، وشرطٌ لازم، ولا يشك منصفٌ أن معظم المقصود هو الوعظ دون ما يقع قبله من الحمد والصلاة عليه ﷺ، وقد كان عرفُ العرب المستمر أن أحدهم إذا أراد أن يقوم مقاماً، ويقول مقالاً، شرع بالثناء على الله وعلى رسوله، وما أحسن هذا وأولاه، ولكن ليس هو المقصود، بل المقصود ما بعده.

---

(١) (قوله: ما يفيد الوجوب) أقول: لا شك أن النبي ﷺ ما صلى بأصحابه جمعة من الجمع إلا وخطب فيها. وأما دعوى الوجوب إن كانت بمجرد فعله المستمر، فهذا لا يناسب ما تقرر في الأصول، ولا يوافق تصرفات سائر أهل المذاهب الفحول. وأما الأمر بالسعي إلى ذكر الله، فغايته أن السعي واجب، وإذا كان هذا الأمر مجملاً، فبيانه واجب، فما كان متضمناً لبيان نفس السعي إلى ذكر الله يكون واجباً، فأين وجوب الخطبة؟. فإن قيل: إنه لما وجب السعي إليها، كانت واجبة بالأولى، فيقال: ليس السعي لمجرد الخطبة، بل إليها وإلى الصلاة، ومعظم ما وجب السعي لأجله هو الصلاة، فلا تتم هذه الأولوية، وهذا النزاع في نفس الوجوب. وأما في كون الخطبة شرطاً للصلاة، فعدم وجود دليل يدل عليه لا يخفى على عارف، فإن شأن الشرطية أن يؤثر عدمها في عدم المشروط، فهل من دليل يدل على أن عدم الخطبة يؤثر في عدم الصلاة؟ ا.هـ. نور

والوعظ في خطبة الجمعة هو الذي إليه يساق الحديث، فإذا فعله الخطيب، فقد فعل الأمر المشروع، إلا أنه إذا قدم الثناء على الله وعلى رسوله، أو استطرد في وعظه [إلى] القوارع القرآنية، كان أتم وأحسن. وأما قصر الوجوب، بل الشرطية، على الحمد والصلاة، وجعل الوعظ من الأمور المندوبة فقط، فمن قلبِ الكلام وإخراجِه عن الأسلوب الذي تقبله الأعلام.

اشتراط طهارة الخطيب وطهارتهم ليس على ذلك دليل، بل يصح أن يخطب وهو محدث وهم محدثون، ثم يقوم ويقومون فيتطهرون ويصلون صلاة الجمعة، وهكذا اشتراط عدالة الخطيب لا دليل عليه.

وأما استدبار الخطيب للقبلة، واستقباله للحاضرين؛ فهذه هيئة حسنة كان يفعلها رسول الله ﷺ، ويفعلها مَنْ بعدَه من الخلفاء الراشدين ومَنْ بعدهم، ولكن لا دليل يدل على الوجوب، فإن تأدية الذكر المأمور بالسعي إليه بدون ذلك.

والحاصل: إن روح الخطبة هو الموعظة الحسنة من قرآن وغيره. وكان رسول الله ﷺ يأتي في خطبته بالحمد لله تعالى، والصلاة على رسوله ﷺ، وبالشهادتين، وبسورة كاملة، والمقصود: الموعظة بالقرآن، وإيرادُ ما يمكن من زواجره، وذلك لا يختص بسورة كاملة. والقيام في الخطبتين مع القعود بينهما هو الثابت عن رسول الله ﷺ، وخلافُ ذلك بدعة، والسكتةُ مع عدم القعود لم تثبت، ولا فعلَها رسول الله ﷺ، ولا الخلفاء الراشدون، بل كانوا يقعدون بين الخطبتين. وروي عنه ﷺ التسليمُ على الحاضرين قبل الشروع في الخطبة من طرق يقوي بعضها بعضاً.

ومن جملة ما اشتملت عليه السنة المطهرة: الإتيانُ إلى الجمعة بالسكينة والوقار، وعدمُ تخطِّي الرقاب، وتركُ الجلوس في مجلس قد سبق إليه سابق، والتطيبُ بعد الاغتسال، وصلاةُ ركعتي التحية، ولو في حال الخطبة، وصلاة

أربع ركعات بعد الفراغ من الصلاة، والتبكير إلى الجمعة، وتركُ الاحتباء حالَ الخطبة، وترك العبث بالحصى، والتحوّل من المحل الذي نعس فيه إلى غيره، ومن المشروعات في اليوم: الاستكثارُ من الدعاء؛ لأن فيه الساعة التي لا يردُ فيها الدعاء، والاستكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ.

حاصل ما يستفاد من الأدلة: أن الكلام منهي عنه حالَ الخطبة نهياً عاماً، وقد خصص هذا النهي بما يقع من الكلام في صلاة التحية من قراءة وتسبيح وتشهد ودعاء، والأحاديث المخصصة لمثل ذلك صحيحة، فلا محيصَ لمن دخل المسجد حالَ الخطبة من صلاة ركعتي التحية إذا أراد القيام بهذه السنة المؤكدة، والوفاء بما دلت عليه الأدلة، فإنه ﷺ أمر سُلَيكاً الغطفانيَّ لما وصل إلى المسجد حال الخطبة، فقعد ولم يصل التحية؛ بأن يقوم فيصلي، فدل هذا على كون ذلك من المشروعات المؤكدة، بل من الواجبات[(١)].

ومن جملة مخصصات صلاة التحية حديث: «إذا جاء أحدُكم والإمامُ يخطب، فليصلِّ ركعتين»، وهو حديث صحيح، متضمن للنص في محل النزاع، وأما ما عدا صلاة التحية من الأذكار والأدعية والمتابعة للخطيب في الصلاة على النبي ﷺ، فلم يأتى ما يدل على تخصيصها من ذلك العموم، والمتابعة في الصلاة عليه ﷺ وإن وردت بها أدلة قاضية بمشروعيتها؛ فهي أعم من أحاديث منع الكلام حال الخطبة من وجه، وأخص منها من وجه، فيتعارض العمومان، وينظر في الراجح منهما، وهذا إذا كان اللغو المذكور في حديث: «ومن لغا فلا جمعة له» يشمل جميع أنواع الكلام، وأما إذا كان مختصاً بنوع منه، وهو ما لا فائدة فيه، فليس مما يدل على منع الذكر والدعاء والمتابعة في الصلاة عليه ﷺ.

---

(١) (قوله: بل من الواجبات) كما قرره المؤلف ـ دام مجده ـ في كتابه «دليل الطالب على أرجح المطالب» فليراجع، وقرره شيخه العلامة الإمام القاضي الشوكاني ـ رحمه الله ـ في رسالة مستقلة، وبين وجوب صلاة التحية. نور

وأما حديث: «إذا دخل أحدُكم المسجد والإمامُ يخطب، فلا صلاةَ ولا كلامَ حتى يفرغَ الإمام»، فقد أخرجه الطبراني في «الكبير» عن ابن عمر؛ وفي سنده ضعف؛ كما قاله صاحب «مجمع الزوائد»، فلا تقوم به الحجة، ولكنه قد روي ما يقوّيه، فأخرج أبو يعلى، والبزار بن جابر، قال: قال سعد بن أبي وقاص لرجل: لا جمعةَ لك، فقال رسول الله ﷺ: «لم يا سعد؟»، فقال: لأنه تكلم وأنت تخطب، فقال النبي ﷺ: «صدقَ سعد»، وفي إسناده مجالد بن سعيد، وهو ضعيف عند الجمهور، وأخرجه أيضاً[1] ابن أبي شيبة، ويقويها ما يقال: إن المراد باللغو المذكور في الحديث التلفظ، وإن كان أصله ما لا فائدة فيه، بقرينة أن قول من قال لصاحبه: أنصت؛ لا يعدّ من اللغو لأنه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قد سماه النبي ﷺ: لغواً، ويمكن أن يقال: إن ذلك الذي قال: أنصت؛ لم يؤمر في ذلك الوقت بأن يقول هذه المقالة، فكان كلامه لغواً حقيقة من هذه الحيثية.

وأما الخطيب، فيجوز له أن يجيب سؤال من سأله، ويأمر من ترك ما ينبغي بأن يفعله، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، ولا وجه للاستئناف إذا عرض ما يمنع من تمام الخطبة، بل يبني الآخر على ما قد فعله الأول إذا لم يكن قد فعل ما هو غير مشروع. وقد قدمنا أنه لا دليل على اشتراط كون الخطيب متطهراً؛ لأن المقصود من الخطبة يحصل من المُحْدِث، كما يحصل من المتطهر، وما قيل من أنها بمنزلة الركعتين، فلا أصل لذلك، بل هي ذكرٌ من الأذكار، وموعظة من المواعظ. وكان ﷺ يخطب ثم يصلي بالناس مدّة حياته، ثم كذلك الخلفاء الراشدون ومَنْ بعدهم، بل كان هذا هو الأمر المستمر عند أمراء الأمصار، فضلاً عن الخلفاء، فلا يجوز أن يصلي الجمعةَ بالناس غيرُ الخطيب.

---

(١) (قوله: وأخرجه أيضاً) وقد ذكر شيخ شيوخنا العلامة الرباني القاضي الشوكاني في «شرح المنتقى» أحاديث تفيد معنى هذا الحديث، فليراجع. ا.هـ. نور

وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ، قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب، احمرّت عيناه، وعلا صوتُه، واشتد غضبُه حتى كأنه منذرُ جيش، يقول: صَبَّحَكُم ومَسَّاكم، ويقول: «أما بعد: فإن خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد، وشرَّ الأمور مُحْدَثاتها، وكلُّ بدعة ضلالة» أخرجه مسلم. وفي رواية له: كانت خطبة النبي ﷺ يوم الجمعة: يحمد الله، ويثني عليه، ثم يقول على أثر ذلك، وقد علا صوته. وفي رواية له: «من يهدِ اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يُضللْ فلا هاديَ له»، وللنسائي عن جابر: «وكل ضلالة في النار»[١]؛ أي: بعد قوله: «كل بدعة ضلالة».

والمراد بالمحدثات ما لم يكن ثابتاً بشرع من الله ولا من رسوله. والبدعة لغةً: ما عُمل على غير مثال، والمراد بها هنا: ما عُمل من دون أن سبق له شرعية من كتاب ولا سنة. وفي الحديث دليل على أنه يستحب للخطيب أن يرفع بالخطبة صوته، ويجزل كلامه، ويأتي بجوامع الكلم من الترغيب والترهيب، ويأتي بقول: أما بعد. وقد عقد البخاري باباً في استحبابها، وذكر فيها جملة من الأحاديث. وقد جمع الروايات التي فيها ذكر «أما بعد» بعضُ المحدثين، وأخرجها عن اثنين وثلاثين صحابياً. وظاهره أنه كان ﷺ يلازمها في جميع خطبه، وذلك بعد الحمد والثناء والتشهد، كما تفيدها الرواية المشار إليها بقوله: وفي رواية له إلخ.

وثبت أنه ﷺ قال: «كلُّ خطبة ليس فيها تشهد، فهي كاليد الجذماء»، وفي «دلائل النبوة» للبيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعاً حكاية عن الله ـ عز وجل ـ: «وجعلتُ أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي»، وكان يذكر في تشهده نفسه الشريفة باسمه العلم. والمراد بقوله: «وكل ضلالة في النار»: صاحبُها. وفي الحديث إشارة إلى أنه كان ﷺ يلازم قوله: «أما بعد: فإن

---

(١) وإسناد هذه الزيادة صحيح.

خير الحديث إلخ» في جميع خطبه. وفيه أيضاً دلالة على ضلالة كل بدعة، وعلى أن قوله هذا ليس عاماً مخصوصاً كما زعم بعضهم. وكان ﷺ يعلم أصحابه في خطبته قواعد الإسلام وشرائعه، ويأمرهم وينهاهم في خطبته إذا عرض أمر أو نهي؛ كما أمر الداخل، وهو يخطب أن يصلي ركعتين، ويذكر معالم الشرائع في الخطبة، والجنة والنار والمعاد، فيأمر بتقوى الله، ويحذر من غضبه، ويرغب في موجبات رضاه. وقد ورد قراءة آية، ففي حديث مسلم. كان لرسول الله ﷺ خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن، ويذكِّر الناس، ويحذر. وظاهر محافظته على ما ذكر في الخطبة وجوبُ ذلك؛ لأن فعله بيان لما أجمل في آية الجمعة. وقد قال ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، وقد ذهب إلى هذا الشافعي، وقال مالك: لا يجزىء إلا ما سُمي خطبة، وعن عمار بن ياسر قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته[1] مَئِنَّةٌ من فقهه» رواه مسلم؛ أي: مما يعرف به فقه الرجل. وكل شيء دل على شيء، فهو مئنة له. وإنما كان قِصَرُ الخطبة علامة على ذلك؛ لأن الفقيه هو المطلع على حقائق المعاني، وجوامع الألفاظ، فيتمكن من التعبير بالعبارة الجزلة المفيدة، ولذلك كان من تمام رواية هذا الحديث: «فأطيلوا الصلاة، واقصروا الخطبة، وإن من البيان لسحراً»، والمراد من طول الصلاة: الطولُ الذي لا يدخل فاعله تحت النهي. وقد كان ﷺ يصلي الجمعة بـ(الجمعة)، و(المنافقين) كما عند

(١) (قوله: وقصر خطبته... إلخ) وقد كانت الخطبة النبوية ألفاظاً قليلة منها ما أخرجه البيهقي عن شداد بن أوس قال: كانت خطبة رسول الله ﷺ: «إن الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر، وإن الآخرة وعد صادق، يقضي فيها ملك قادر، ألا وإن الخير كله بحذافيره في الجنة، وإن الشر كله بحذافيره في النار، واعملوا وأنتم من الله على حذر، واعلموا أنكم معروضون على أعمالكم، وأنكم ملاقو الله ربكم لا بد منه، فمن يعمل مثال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثال ذرة شراً يره» انتهى. قال السيد العلامة محمد بن إسماعيل ـ رحمه الله ـ في «نور اللمعة»: وليس مراده إلا الإخبار عن مقدار الخطبة، لا أن هذه خطبته ﷺ دائماً، وقد ثبت أنه ﷺ كان يقرأ فيها شيئاً من القرآن. أحمد النقوي.

مسلم عن ابن عباس، وذلك طول بالنسبة إلى خطبته، وليس بالطول المنهي عنه. وعن أم هشام بنت حارثة بن النعمان، قالت: «ما أخذت ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ إلا من لسان رسول الله ﷺ، يقرؤها كلَّ جمعة على المنبر إذا خطب الناس. رواه مسلم. وفيه دليل على مشروعية قراءة سورة أو بعضها في الخطبة كل جمعة. وكان محافظته ﷺ على هذه السورة اختياراً منه لما هو أحسن في الوعظ والتذكير. وفيه دلالة على ترديد الوعظ في الخطبة. وعن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ: كان يقرأ في العيدين، وفي الجمعة بـ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾، و﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾، وعن سمرة بن جندب: أن النبي ﷺ كان يستغفر للمؤمنين والمؤمنات كل جمعة. رواه البزار بإسناد لين. ورواه الطبراني في «الكبير»، إلا أنه بزيادة: «المسلمين والمسلمات»، وفيه دليل على مشروعية ذلك للخطيب؛ لأنها موضع الدعاء. قيل: يندب ولا يجب.

وقال بعضهم: مواظبته ﷺ دليلُ الوجوب كما يفيده: «كان يستغفر»، قال في «البدر التمام»: وهو الأظهر، والله أعلم.

عن الحكم بن حزن: شهدنا الجمعةَ مع رسول الله ﷺ، فقام متوكئاً على عصا، أو قوس. رواه أبو داود. وتمامُه من السنن: فحمد الله، وأثنى عليه كلمات خفيفات طيبات مباركات، ثم قال: «يا أيها الناس، إنكم لن تطيقوا ـ أو لن تفعلوا ـ كلَّ ما أُمرتم به، ولكن سدّدوا ويسروا»، وفي رواية: «وأبشروا»، وإسناده حسن، وصححه ابن السكن، وابن خزيمة، وله شاهد عند أبي داود من حديث البراء: أنه ﷺ أُعطي يوم العيد قوساً، فخطب عليه. وطوّله أحمد، والطبراني، وصححه ابن السكن. وأخرج الشافعي أنه ﷺ كان إذا خطب يعتمد على عنزته. والعَنَزَة: مثلُ نصف الرمح، أو أكبر، فيه سنان مثل سنان الرمح. وفي الحديث دليل على أنه يندب للخطيب الاعتمادُ على سيف أو نحوه وقتَ خطبته، فإن لم يجد ما يعتمد عليه، أرسل يديه، أو وضع اليمنى على الشمال،

أو على جانب المنبر، ويكره دقُّ المنبر بالسيف، إذ لم يؤثر؛ فهو بدعة. وفيه دليل أيضاً على أنه يكفي هذا القدر منها إن لم يقدر على أكثر من ذلك.

وقال أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ: يكفي: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. وفيه نظر واضح؛ لما تقدم أن روح الخطبة موعظة حسنة، لا الحمد والثناء فقط.

وكان ﷺ كثيراً ما يقول في خطبته: «بعثت أنا والساعة كهاتين» ـ وجمعَ بين السبابة والوسطى ـ، ويقول: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من تركَ مالاً، فلأهله، ومن ترك دَيْناً أو ضَياعاً، فإليَّ وعلي» رواه مسلم. وفي بعض الأخبار: كان يقول: «الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسلَه بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطعِ الله ورسولَه فقد رَشَد، ومن يعصهما، فإنه لا يضرُّ إلا نفسه، ولا يضرُّ الله شيئاً».

وحفظ من خطبة النبي ﷺ من رواية علي بن زيد بن جدعان(١)، وفيها ضعف: «يا أيها الناس! توبوا إلى الله ـ عز وجل ـ قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة، وصِلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة في السر والعلانية، تؤجروا، وتُحمدوا، وترزقوا، واعلموا أن الله ـ عز وجل ـ قد فرض عليكم الجمعة فريضة مكتوبة، في مقامي هذا، في شهري هذا، في عامي هذا، إلى يوم القيامة، من وجد إليها سبيلاً. فمن تركها في حياتي أو

(١) (قوله: علي بن زيد بن جدعان) وقد ضعفه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وقال ابن خزيمة: لا أحتج به لسوء حفظه، وقال سعيد: إنه اختلط، وقيل: كان يقلب الأسانيد. وقال الذهبي: صويلح الحديث. وقال الترمذي: هو صدوق، وصحح له حديثاً في السلام، وحسن له غير حديث.

بعدي جحوداً بها واستخفافاً، وله إمام جائر أو عادل؛ فلا جمعَ الله شمله، ولا بارك له في أمره، ألا ولا صلاة له، ألا ولا وضوء له، ألا ولا زكاة له، ألا ولا صوم له، ألا ولا حج له، ألا ولا برّ له حتى يتوب، فإن تاب، تاب الله عليه، ألا ولا تؤمَّنَّ امرأةٌ رجلاً، ألا ولا يؤمَّنَّ أعرابيٌّ مهاجراً، ألا ولا يؤمَّنَّ فاجرٌ مؤمناً إلا أن يقهره سلطان يخاف سيفه وسوطه».

وكان إذا عرضَتْ له حاجة، أو سأله سائل، قطع خطبته، وقضى الحاجة[١]، وأجاب السائل، ثم أتمها. وكان إذا رأى في الجماعة فقيراً، أو ذا حاجة، أمر بالتصدق، وحرَّض على ذلك. وكان إذا ذكر الله تعالى، أشار بالسبابة. وكان إذا اجتمعت الجماعة، خرج للخطبة وحده، ولم يكن بين يديه حاجب، ولا خادم، ولم يكن من عادته لبس الطرحة، ولا الطيلسان، ولا الثوب الأسود المعتاد. وكان إذا دخل المسجد، سلم على الحاضرين لديه، وإذا صعد المنبر[٢]، أدار وجهه إلى الجماعة، وسلم ثانياً، ثم قعد، وإذ ذاك يشرع بلال في الأذان، وعند فراغه يقوم فيخطب قائماً من غير فاصلة بين الأذان والخطبة، ولم يكن يأخذ السيف والحربة بيده، بل كان يعتمد على القوس والعصا، وذا قبل اتخاذ المنبر، وكان منبره ثلاث درجات، وأما بعد اتخاذ المنبر[٣]، فلم يحفظ أنه اعتمد على

---

(١) (قوله: وقضى الحاجة... إلخ) قال في «الهدي»: وكان ربما نزل عن المنبر للحاجة، ثم يعود فيتمها؛ أي: الخطبة، كما نزل لأجل الحسن والحسين، وأخذهما، ثم رقي بهما المنبر فأتم الخطبة. قال: وكان يدعو الرجل في خطبته، فيقول: تعال يا فلان، اجلس يا فلان، صل يا فلان. نور

(٢) (قوله: وإذا صعد المنبر... إلخ) قال في «الهدي»: ولم يوضع المنبر في وسط المسجد، وإنما وضع في جانبه الغربي قريباً من الحائط، وكان بينه وبين الحائط قدر ممر الشاة. نور

(٣) (قوله: وأما بعد اتخاذ المنبر... إلخ) في شرح الزرقاني على «المواهب» ما لفظه في «سنن أبي داود»: «وكان إذا قام يخطب، أخذ عصا، فتوكأ عليها، وهو على المنبر» انتهى. وفي «زاد المعاد» لابن القيم: ولم يحفظ أنه ﷺ توكأ على سيف، وكثير من الجهلة يظن أنه كان يمسك السيف على المنبر إشارة إلى قيام الدين به، وهو جهل قبيح؛ لأن الوارد العصا والقوس. وفي «سنن ابن ماجه»: أنه ﷺ «كان إذا خطب، خطب على قوس» قال الزرقاني: =

العصا، ولا على القوس، ولا على غير ذلك، وكان يجلس بين الخطبتين لحظة، وإذا فرغ من الخطبة الثانية، أقام بلال الصلاة، والعلماء الذين صنفوا في السنن، واعتنوا بضبط سنن الصلاة، لم يرووا في سنة الجمعة قبل الصلاة شيئاً[1]، وأما بعد صلاة العيد، فكان إذا رجع إلى المنزل، صلى أربعاً، وإن صلى في المسجد، صلى ركعتين. وقال: «من كان منكم مصلياً بعدَ الجمعة، فليصلِّ بعدها أربعاً». قال في «الهدي»: كان إذا صلى الجمعة، دخل إلى منزله، فصلى ركعتين سُنتها، وأمر من صلاها أن يصلي بعدها أربعاً، قال شيخنا ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: إن صلى في المسجد، صلى أربعاً، وإن صلى في بيته، صلى ركعتين. قلت: وعلى هذا تدل الأحاديث. وأقول: إن ركعتي التحية، وصلاة التطوّع يوم الجمعة في المسجد غير سنة الجمعة، فلا تدخل في ذلك، فليعلم.

* * *

= ويقع في بعض نسخ سقيمة «أو سيف»، ولا وجود له في ابن ماجه، ولا غيره فهي خطأ. ا. هـ حسين.

(١) (قوله: قبل الصلاة شيئاً) قال في «الهدي»: وهذا يدل على أن الجمعة كالعيد لا سنة لها قبلها، وهذا أصح قولي العلماء، وعليه تدل السنة، فإن النبي ﷺ كان يخرج من بيته، فإذا رقي المنبر، أخذ بلال في الأذان للجمعة، فإذا كمله، أخذ النبي ﷺ في الخطبة من غير فصل، وهذا كأنه رأي عين، فمتى كانوا يصلون السنة؟! ومن ظن أنهم كانوا إذا فرغ بلال من الأذان قاموا كلهم، فركعوا ركعتين، فهو أجهل الناس بالسنة، وهذا الذي ذكرناه من أنه لا سنة قبلها هو مذهب مالك، وأحمد في المشهور عنه، وأحد الوجهين لأصحاب الشافعي، قال: ولا يجوز إثبات السنن في مثل هذا بالقياس، وأطنب في بيان ذلك فليراجع. نور

الكلام على إدخال أل على حمزة

قال الشامي[1] في «رد المحتار»: سمعت عن بعض شيوخي: أنه كان يقول: إن الخطباء يلحنون هنا ـ أي: في الخطبة الأخيرة ـ مرتين؛ حيث يقولون: وارضَ عن عَمَّي نبيك الحمزة والعباس، بإدخال «أل» على حمزة، وإبقاء منع صرفه، مع أنه لم يُسمع دخول أل عليه، وإذا دخلت، يصرف. انتهى. وإيضاح ذلك على ما حققه شيخنا العلامة، زينةُ أهل الاستقامة، حسينُ بن محسن السبعي ـ عافاه الله تعالى ـ في رسالته: أن كلام الشامي له معنيان: **الأول:** أنه لم يُسمع دخول أل على حمزة، فهو لحن. **الثاني:** أنه إذا أدخل، فليبادر بكسر آخره، ولا يبقه على منع صرفه بالفتحة؛ ليكون آتياً بلحن واحد فقط، وأما إبقاؤه على منع صرفه، فلحنان، هذا مراد الشامي. ويؤيده ما ذكره المحقق المعمَّر ابن يحيى في شرحه على «قطر الندى»: تقع أل زائدة غير معرّفة، وهي نوعان: اللازمة: وهي في الأسماء الموصولة، والأعلام المنقولة؛ كالنعمان، والفضل، **والمرتجلة:** كالسموءَل واليسع، وما كانت علميته بالغلبة؛ كالبيت، والمدينة. وغير اللازمة، وهي أيضاً نوعان: **الأولى:** الداخلة على علم منقول؛ كحارث، وعباس، تقول فيهما: الحارث، والعباس، ويتوقف هذا على السماع، فلا يتأتى في مثل محمد، وصالح، ومعروف، وأحمد، ولا يقع في نحو: يزيد؛ لأن

---

(١) هو العلامة ابن عابدين صاحب «الحاشية».

أصله الفعل، وهو غير صالح لها. الثانية: الداخلة على يزيد في قوله: رأيت الوليد بن اليزيد مباركاً[1]؛ لأن الحال واجب التنكير. انتهى حاصله. ونحوه كلام الحريري في «شرح الفاكهي»، ومثله كلام العلامة دعسين في «شرح الملحة»، وهذا كله مؤيد لما نقله الشامي عن بعض شيوخه، إذ حمزةُ علمٌ منقول من اسم عين، لا يقبل «أل». وأما قول المجد في «القاموس»: الحمزة الأسد إلخ، فلا يلزم من كونه مشتقاً من الحمازة أو الضبط، جوازُ دخولها عليه، إذ هو التعريف اللفظي، والنحاة نظرهم إلى كونه اسماً منقولاً من دون أن يكون مشتقاً، أم لا. انتهى الحاصل منها. وقد صوّب ذلك السيد العلامة سليمان بن محمد بن عبد الرحمن مفتي السادة الشافعية بمدينة زبيدة، وشيخ الإسلام عماد الدين يحيى بن إبراهيم المزجاجي مفتي الحنفية بها، والشيخ الفاضل أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الناصر، والشيخ المحقق الفقيه يحيى مكرم مفتي الشافعية ببندر الحديدة، والسيد البدر الأكمل محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل، والفقيه العلامة علي بن عبد الله الشامي. قال أحمد بن الناصر المذكور: وإذا كان قد روي أنه ﷺ سمع رجلاً يلحن فقال: «أرشدوا أخاكم فقد ضل»، وكذا عمر، وعلي ـ رضي الله عنهما ـ حتى حمل علياً ذلك على وضع النحو، فيجب علينا إرشاد هذا الخطيب، وعليه أن يسمع ويجيب، وإن غرّته عبارة «التسهيل» مع بعض شروحه بقوله: ومثل ذي الغلبة ما قارنت الأداة نقله، أو ارتجاله في المنقول عن مجرد عنها، صالح لها، ملموح من الأصل وجهان: إدخال «أل»، وتركها. ومنَّته عبارةُ «القاموس»: الحمزة: الأسد، وحملته المشاكلة على إدخال أل، وأدى الخطباء الأول عدم زوال العلميتين على بقاء منع الصرف؛ إذ الأول: محمول على معنى أن ذلك يأتي في العربية بوجهين، ومعلوم أنه سماعي لا قياسي. والثاني: من التعريف اللفظي، الذي هو تبديل اللفظ بلفظ مرادف له

---

(١) وتتمته: شديداً بأعباء الخلافة كاهِلُه.

أشهر منه، كما يقال: العقار: الخمر، والحمزة: الأسد، **والثالث:** قصره على السماع، **والرابع:** لم ينطبق عليه الإجماع. انتهى. وزاد السيد محمد الأهدل: لم يسمع دخول أل على حمزة، وبتقدير سماع ذلك يجب جره بالكسر. انتهى حاصله.

* * *

الكلام على ساعة الجمعة

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة، فقال: «فيه ساعةٌ لا يوافقها عبدٌ مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه ـ وأشار بيده يقللها ـ» متفق عليه. وفي رواية لمسلم: «وهي ساعة خفيفة»، وعن أبي بردة عامر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه أبي موسى الأشعري: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هي ـ أي: ساعة الجمعة ـ ما بين أن يجلس الإمام ـ أي: على المنبر ـ إلى أن تقضى الصلاة» رواه مسلم. ورجح الدارقطني أنه من قول أبي بردة. وفي حديث عبد الله بن سلام عند ابن ماجه، وعن جابر عند أبي داود، والنسائي «أنها ما بين صلاة العصر وغروب الشمس»، ورجح في «الهدي» هذين القولين. قال الحافظ في «بلوغ المرام»: وقد اختلف فيها على أكثر من أربعين قولاً، أمليتُها في «شرح البخاري». قلت: ذكر الحافظ في «فتح الباري» عن العلماء ثلاثة وأربعين قولاً، وسردها القاضي العلامة شرف الدين حسين بن محمد المغربي في «البدر التمام»، وسردتُها أنا في «مسك الختام»، وسرد منها الحافظ ابن القيم في «الهدي» أحد عشر قولاً، والسيوطي(١) في نور اللمعة في

---

(١) (قوله: والسيوطي... إلخ) قال السيوطي ـ رحمه الله ـ في «نور اللمعة» بعد ذكر جملة الأقوال في ذلك: قال المحب الطبري: أصح الأحاديث فيها حديث أبي موسى في مسلم، وأشهر الأقوال فيها قول عبد الله بن سلام، قال ابن حجر: وما عداهما ضعيف الإسناد، أو=

خصائص الجمعة» أكثر من ثلاثين قولاً. وهذا المروي عن أبي موسى أحدها، ورجحه مسلم على ما روى عنه البيهقي، وقال: هو أجود شيء في هذا الباب، وأصحه، وقال به البيهقي، وابن العربي وجماعة. وقال القرطبي: هو نص في موضع الخلاف، فلا يلتفت إلى غيره. وقال النووي: هو الصحيح بل الصواب. قال الحافظ ابن حجر: وليس المراد أنها تستوعب جميع الوقت الذي عين، بل تكون في أثنائه لقوله: «يقللها» وقوله: «خفيفة» وفائدة ذكر الوقت أنها تنتقل فيه، فيكون ابتداءُ مظنتها ابتداءَ الخطبة مثلاً، وانتهاؤها انتهاءَ الصلاة.

وأما كونه من قول أبي بردة ـ كما رجحه الدارقطني ـ، فقد يجاب عنه بأنه لا يكون إلا مرفوعاً، فإنه لا مسرح للاجتهاد في تعيين أوقات العبادات. وجمع الحافظ ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ بين حديث أبي موسى، وابن سلام: بأن الساعة تنحصر في أحد الوقتين، وسبقه إلى هذا الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمهم الله تعالى ـ.

كان من عوائده الكريمة ﷺ أن يعظم يوم الجمعة غاية التعظيم، ويخصه بأنواع التشريف والتكريم، ويحفه بأنواع العبادات. انتهى.

وللجمعة خصائص ليست لغيرها من الأيام، ذكرها المجد في «الصراط المستقيم»، وبلغها إلى اثنتين وثلاثين خاصية، وبلغها الحافظ في «الهدي

= موقوف أسند قائله إلى اجتهاد دون توقيف، ثم اختلف السلف أي القولين أرجح، فرجح كلاً مرجحون، فرجح ما في حديث أبي موسى: البيهقي، وابن العربي، والقرطبي، وقال النووي: إنه الصحيح أو الصواب. ورجح قولَ ابن سلام: أحمد بن حنبل، وابن راهويه، وابن عبد البر، وابن الزملكاني من الشافعية. انتهى. ثم قرر ترجيح رواية أبي موسى على قول ابن سلام إبقاء للحديث على ظاهره، وقال: هذه تحقيق حسن، فتح الله به، قال: والذي أستخير الله، وأقول به من هذه الأقوال أنها عند إقامة الصلاة، وغالب الأحاديث المرفوعة تشهد له، ثم أشار إلى ذلك، وقال: هذا ما ظهر لي في هذا المحل من التقرير. انتهى. قال: فائدة: احتج من قال بتفضيل الليل على النهار بأن في كل ليلة ساعة إجابة، كما ثبت في الأحاديث الصحيحة، وليس ذلك في النهار سوى في يوم الجمعة.

النبوي» إلى ثلاث وثلاثين خاصية، والسيوطي في «نور اللمعة» إلى الحادية بعد المئة، وفيها ما يُقبل ويُردّ، فمن شاء الاطلاع عليها، فليرجع إليها، وليس ذكرها هنا من غرضنا في هذا المقام.

* * *

الكلام على صلاة العيدين

اعلم أن النبي ﷺ لازم هذه الصلاة في العيدين، ولم يتركها في عيد من الأعياد، وأمرَ الناس بالخروج إليها، حتى أمرَ بخروج النساء العواتق، وذواتِ الخدور، والحُيَّض، وأمرَ الحيضَ أن يعتزلن الصلاة، ويشهدن الخير، ودعوةَ المسلمين، حتى أمر من لا جلباب لها أن تُلبسها صاحبتُها، وهذا كله يدل على أن هذه الصلاة واجبة وجوباً مؤكداً على الأعيان لا على الكفاية.

والأمر بالخروج يستلزم الأمر بالصلاة لمن لا عذر له بفحوى الخطاب؛ لأن الخروج وسيلة إليها، ووجوب الوسيلة يستلزم وجوبَ المتوسَّل إليه، والرجال أولى من النساء بذلك، بل ثبت الأمر القرآني بصلاة العيد، كما ذكره أئمة التفسير في قوله تعالى ـ: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]؛ فإنهم قالوا: المراد به: صلاة العيد. ومن الأدلة على وجوبها أنها مُسقِطة للجمعة إذا اتفقتا في يوم واحد ـ كما تقدم ـ، وما ليس بواجب لا يسقط ما كان واجباً. وقد ثبت أنه ﷺ لازمَها جماعة منذ شرعت إلى أن مات، وانضم إلى هذه الملازمة الدائمة أمره للناس بأن يخرجوا إلى الصلاة؛ كما في حديث عمير بن أنس، عن عمومة له من الأنصار عند أهل السنن إلا الترمذي، وصححه ابن حبان، وابن المنذر، وابن حزم، وابن السكن، والخطابي، وابن حجر.

أخرج أحمد بن الحسن البناء عن جندب في كتاب: الأضاحي، قال: «كان

النبي ﷺ يصلي بنا يوم الفطر والشمسُ على قِيد رُمحين، والأضحى على قِيد رمح»، هكذا ذكره ابن حجر في «التلخيص»، ولم يتكلم عليه. وأخرج الشافعي في حديث مرسل: أن النبي ﷺ «كتب إلى عمرو بن حزم، وهو بنجران، أن عَجِّل الأضحى، وأَخِّر الفطر، وذَكِّر الناس». وأخرج أبو داود، وابن ماجه: أن عبد الله بن بُسر صاحبَ رسول الله أنكر على الإمام الذي أبطأ بصلاة العيد، وقال: إنا كنا قد فرغنا ساعتنا هذه. ورجال إسناده عند أبي داود ثقات. وقتُهما بعد ارتفاع الشمس قدر رمح إلى الزوال، وقد وقع الإجماع على ما أفادته الأحاديث، وإن كانت لا تقوم بمثلها الحجة، وأما آخِرُ وقتهما، فزوال الشمس. وفي حديث أبي عمير: أن النبي ﷺ «أمر الناس أن يغدوا إلى مصلاهم لمَّا أخبره الركبُ برؤية الهلال» رواه أحمد، وأبو داود، وإسناده صحيح، وأخرجه النسائي، وابن ماجه، وصححه ابن المنذر، وابن السكن، وابن حزم.

وفيه دليل على أن صلاة العيد تُصلى في اليوم الثاني حيث انكشف العيد بعد خروج وقت الصلاة، وهذا الحديث ورد في عيد الإفطار، وقاسوا عليه الأضحى، وفي القياس نظر؛ إذ لم يتعين معرفةُ الجامع.

أصلُ كل صلاة أن تصحَّ فرادى، كما تصح جماعة، وصلاة العيد صلاةٌ من الصلوات، فمن ادعى أنها لا تصح فرادى، كان عليه الدليل، ولا يصلح لذلك أنه ﷺ ما صلاها إلا جماعة، فإن ذلك غاية ما فيه: أن التجميع في العيد أولى، ولا شك في ذلك، ومحل النزاع الصحة، فمن نفاها، فهو المحتاج إلى الدليل، وهكذا الجهر هو الثابت عنه ﷺ، ولكنه لا ينفي صحة الإسرار.

هي ركعتان يجهر فيهما بالقراءة، يقرأ عند إرادة التخفيف: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾، و﴿هَلۡ أَتَىٰكَ﴾، وعند الإتمام ﴿قٓ﴾ و﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾.

أي: إذا أراد أن يقتدي بالقراءة التي كان يقرأ بها رسولُ الله ﷺ صلاةَ العيد، قرأ كما تقدم، فهذا هو المروي عن رسول الله ﷺ في قراءته في العيدين، لم

يصح في كون التكبير بعد القراءة شيء أصلاً، بل لم يكن في ذلك حديث ضعيف، فضلاً عن أن يوجد فيه حديث صحيح أو حسن. وأما تقديم التكبير في الركعتين على القراءة، ففيه حديث عبد الله بن عمر، قال: قال النبي ﷺ: «التكبيرُ في الفطر سبعٌ في الأولى، وخمسٌ في الآخرة، والقراءة بعدَهما كلتيهما» أخرجه أبو داود، والدراقطني، وأخرجه من غير تقديم التكبير على القراءة أحمدُ، وابن ماجه، قال العراقي: إسناده صالح. وقال الترمذي في «العلل المفردة» عن البخاري أنه قال: حديث صحيح. وأخرج الترمذي عن عمرو بن عون المزني: أن النبي ﷺ «كبر في الأولى سبعاً قبل القراءة، وفي الثانية خمساً قبل القراءة»، قال الترمذي: هو أحسن شيء في هذا الباب عن النبي ﷺ. وأخرجه أيضاً الدارقطني، وابن عدي، والبيهقي، وفي إسناده كثير بن عبد الله بن عوف المزني عن أبيه عن جده، قال الشافعي، وأبو داود: إنه ركن من أركان الكذب. وقال ابن حبان: له نسخة موضوعة عن أبيه عن جده، قال ابن حجر في «التلخيص»: وقد أنكر جماعة تحسينه على الترمذي، وأجاب النووي في «الخلاصة» عن المنكرين على الترمذي، فقال: لعله اعتضد بشواهد وغيرها، قال العراقي في شرحه للترمذي: إن الترمذي إنما تبع في ذلك البخاري، فقد قال في كتاب «العلل المفردة»: سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث، فقال: ليس في هذا الباب شيء أصحُّ منه، وبه أقول. انتهى.

وأخرج ابن ماجه عن سعد القرظ: أن رسول الله «كان يكبر في العيدين في الأولى سبعاً قبل القراءة، وفي الأخرى خمساً قبل القراءة»، وفي إسناده ضعف. وهذه الأحاديث يقوي بعضها بعضاً، فتصلح للاحتجاج بها في كون التكبير قبل القراءة، وفي كون التكبير سبعاً في الأولى، وخمساً في الثانية. وقد وردت روايات أخرى في عدد التكبير مقوية لهذه الأحاديث.

وفي المسألة عشرة مذاهب هذا أرجحها.

يكبر في الأولى سبعاً قبل القراءة، وفي الثانية خمساً قبل القراءة، وعملُ الحرمين أرجح.

الحقُّ ما ذهب إليه أهل الحديث: أن التكبير سبع في الأولى، وخمس في الثانية، وهو الذي دلت عليه الأدلة، ولكن يكون التكبير مقدماً على القراءة في الركعتين، كما ثبت ذلك من فعله ﷺ في حديث المزني عند الترمذي، وحسنه ـ كما تقدم ـ. ولم يأت من قال بمشروعية تقديم القراءة في الركعتين أو تأخيرها في الأولى وتقديمها في الثانية بحجة قط.

ولا يكون المؤتم مدركاً للركعة إلا بقراءة فاتحتها، والإتيان بما شُرع فيها من التكبير، وأدلةُ قراءة الفاتحة في كل ركعة فيها ما ينبغي اعتباره هنا، وفي صلاة الجمعة؛ فقد ورد الأمر في الكتاب العزيز بالقراءة، ثم ثبتت السنة بأنه: «لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن»، وفي لفظ: «لا تجزىء صلاة لا يُقرأ فيها بأم القرآن»، وقوله: «لا صلاة» يدل على أن ترك قراءة الفاتحة تبطل به الصلاة؛ لأن المراد: لا صلاة شرعية، فما وقع من صلاة لم يقرأ فيه بأم القرآن، فهو غير صلاة شرعية، وهذا يكفي في الاستدلال على فرضية القراءة بفاتحة الكتاب، بل استلزم عدمها لعدم الصلاة، وهو زيادة على مجرد الفرضية. وعلى فرض ورود دليل يدل على أن هذا النفي لا يتوجه إلى الذات، فقد ثبت أن تقدير الصحة هو أقرب المجازين إلى الذات، فيتعين تقدير الصحة.

هذا على فرض أنه لم يرد ما قدمنا بلفظ: «لا تجزىء صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن»، فكيف وقد ورد وثبت؟ فإن ذلك يقطع النزاع، ويرفع الخلاف، ويدفع في وجه من زعم أن الذي ينبغي تقديره هاهنا هو الكمال. إذا عرفت هذا، فاعلم أنه قد ورد في حديث المسيء من وجه صحيح: أن النبي ﷺ علمه أن يقرأ بأم القرآن، وما شاء الله أن يقرأ، وقال له: «ثم اصنع ذلك في كل ركعة»، وهذا دليل على وجوب الفاتحة في كل ركعة. وقد أخرجه أحمد، وابن ماجه بإسناد

صحيح، وأخرجه أيضاً ابن حبان والبيهقي بإسناد صحيح، فتقرر لك بهذا فرضيةُ قراءة الفاتحة في كل ركعة بالأدلة الصحيحة، فدع عنك القيل والقال، والمجادلةَ بما لا يتفق من المقال عند فحول الرجال؛ فإن كل ذلك لا يسمن ولا يغني من جوع.

عدم الاعتداد بالركعة بمجرد إدراك ركوعها من دون قراءة الفاتحة فيه خلاف لجماعة من الأئمة كما بينه شيخنا العلامة في «شرح المنتقى»، وحقق المقام بما يشفي الأوام. وذكر أيضاً في «طيب النشر على المسائل العشر»، و«الفتح الرباني»، و«السيل الجرار» أبحاثاً وكلاماً في الاستدلال لعدم الاعتداد. ويجعل ما أدركه مع الإمام أول صلاته، وهذا هو الحق، فالهيئة المشروعة في الصلاة لا تتغير بتقديم أو تأخير، بل الأصل الأصيل البقاء، على الصفة الشرعية، فيفعل الداخل مع الإمام بعد أن فاته بعض الركعات ما يفعله لو كان داخلاً معه في الابتداء، أو كان منفرداً.

* * *

الكلام على خطبة العيدين

ندب بعدها خطبتان كالجمعة، هذا هو الثابت عنه ﷺ في الأحاديث الصحيحة.

قال القاضي عياض: هذا هو المتفق عليه بين علماء الأمصار، وأئمة الفتوى، ولا خلاف بين أئمتهم فيه، وهو فعلُ النبي ﷺ، والخلفاء الراشدين من بعده. قال العراقي: إن تقديم الصلاة على الخطبة قولُ العلماء كافة، وإن ما روي عن عمر، وعثمان، وابن الزبير لم يصح عنهم. قال ابن قدامة: لا نعلم فيه خلافاً بين المسلمين إلا عن بني أمية، قال: ولا يعتدّ بخلاف بني أمية؛ لأنه مسبوق بالإجماع الذي كان قبلهم، ومخالف لسنة النبي ﷺ الصحيحة، وقد أنكر عليهم فعلهم، وعدَّ بدعة، ومخالفاً للسنة. انتهى.

وأما كونهما مندوبتين، فلما أخرجه النسائي، وأبو داود، وابن ماجه من حديث عبد الله بن السائب، قال: شهدت مع رسول الله ﷺ العيدَ، فلما قضى الصلاة، قال: «إنا نخطب، فمن أحبَّ أن يجلس، فليجلسْ، ومن أحبَّ أن يذهبَ، فليذهبْ»، وهذا الحديث هو من الأحاديث المسلسلة بيوم العيد، وقد رويته مسلسلاً بإسنادي إلى النبي ﷺ، ولم يرد عن النبي ﷺ أنه قد قعد في خطبة العيد أولاً، بل كان يفرغ من الصلاة، فيقوم يخطب.

وفيه بيان أن الخطبة سنة؛ إذ لو وجبت، وجب الجلوس لها، وقد اتفق

الموجبون لصلاة العيد وغيرهم على عدم وجوب خطبة، ولا أعرف قائلاً يقول بوجوبها.

ورواية عبد الله بن عتبة عند البيهقي بلفظ: من السنة أن يفتتح الخطبة بتسع تكبيرات تترى، وفي الثانية بسبع تكبيرات تترى، إن أراد به سنة النبي ﷺ، فالحديث مرسل، وإن أراد سنة بعض الصحابة، فلا تقوم بذلك الحجة، إلا أن يكون إجماعاً منهم.

وقول غير الصحابي: من السنة كذا، لا تقوم به الحجة، وإنما هو شيء استحسنه الخطباء، وجرت عليه عوائدهم، فظنه مَنْ بعدَهم شرعاً ثابتاً، وكم لهذه من أخوات، في أبواب الديانات!

قال الحافظ ابن القيم: وأما قولُ كثير من الفقهاء: بأنه يفتتح خطبة الاستسقاء بالاستغفار، وخطبة العيد بالتكبير، فليس معهم فيها سنة من النبي ﷺ، والسنة تقتضي خلافَها، وهو افتتاح جميع الخطب بالحمد. انتهى.

وحكم الفطرة في خطبة عيد الفطر لم يثبت في ذلك شيء، لكنه إذا فعل ذلك الخطيب، فهو من البيان الذي شرعه الله تعالى، مع أن لذلك مزيد اختصاص بهذا اليوم، وهكذا ذكر حكم الأضحية وما يجزىء منها، وما لا يجزىء، وبيان وقتها، وما ينبغي للمضحي أن يفعله في أضحيته وقد ثبت عن النبي ﷺ: أنه خطب يوم الأضحى، فذكر مشروعية النحر بعد الصلاة، وأن من نحر قبل الصلاة فليست بأضحية.

وأما كون الخطبة تجزىء من المُحْدِث، فذلك لعدم الدليل على أن يكون الخطيب متطهراً، وأما أنها تجزىء من تارك التكبير، فتاركُ التكبير أبعدُ من البدعة من فاعله، ولم يرد في خطبة العيد ما يدل على ندب الإنصات، وإنما يحسن ذلك من حيث إنه ينبغي للسامع أن يفهمها، وإذا اشتغل بكلام، ولم ينصت، لم يفهمها، وكذلك ما ورد ما يدل على المتابعة في التكبير، ولا ما يدل

في خصوص خطبة العيد على المتابعة في الصلاة على النبي ﷺ، ولكنه ورد ما يدل على مشروعية الصلاة عليه ﷺ عند ذكره، وهو أعم من أن يكون في خطبة العيد أو في غيرها، ولم يخص إلا خطبة الجمعة بوجوب الإنصات فيها.

* * *

الكلام على المأثور في العيدين

من المأثور في العيدين: أن تكون الصلاة في الجبانة[١]، إلا لعذر من مطر أو نحوه؛ لما أخرجه أبو داود بسند لين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «أنهم أصابهم مطر في يوم عيد، فصلى بهم النبي ﷺ صلاة العيد في المسجد»، قال في «التلخيص»: إسناده ضعيف. انتهى.

قال مالك: الخروج إلى الجبانة أفضل، واستدلوا على ذلك بما ثبت من مواظبته ﷺ على الخروج إلى الصحراء. قال الشافعي في «الأم»: بلغنا أن رسول الله ﷺ كان يخرج في العيدين إلى المصلى بالمدينة[٢] وهكذا مَنْ بعده، إلا من عذر مطر ونحوه، وكذا عامة أهل البلدان إلا أهل مكة. انتهى. وأشار إلى أن سبب ذلك سعة المسجد، وضيق أطراف مكة.

ومن المأثور: أن يخالف الإمامُ ومَنْ معه الطريق، فيرجعون في طريق غير الطريق التي جاؤوا منها؛ لما في حديث جابر، قال: «كان رسول الله ﷺ إذا كان يوم العيد، خالف الطريق» أخرجه البخاري، قال الترمذي: أخذ بهذا بعض أهل

---

(١) (قوله: الجبانة) الجبانة والجبان ـ بفتح الجيم وتشديد الموحدة ـ: الصحراء، كذا في «المجمع» ا. هـ.

(٢) (قوله: إلى المصلى بالمدينة) قال في «الهدي»: وهو المصلى الذي على باب المدينة الشرقي الذي يوضع فيه محمل الحاج ا. هـ. نور

العلم، واستحبه للإمام، وبه يقول الشافعي. انتهى. وقال به أكثر أهل العلم، ويكون مشروعاً للإمام والمأموم.

ومن المأثور: رفعُ الصوت بالتكبير، وتعجيلُ الخروج بصلاة الأضحى، وتأخيرُه بصلاة الفطر، وألا يغدو لصلاة الفطر حتى يَطْعَم، ويخرج لصلاة الأضحى قبل أن يطعم، وألا يصلي قبل صلاة العيد ولا بعدها، وأن يلبس أحسنَ ما يجد، ويتطيب بأجود ما يجد، وأن يخرج إلى العيد ماشياً، وأن يستكثر من الموعظة للرجال والنساء، ويرغبهم في الصدقة. قلت: ويزيد في الأضحى الأضحية بأسمن ما يجد، البقرة عن سبعة، والجزور عن عشرة، ويظهر السكينة والوقار؛ لحديث حسن السبط في ذلك عند الحاكم، والله أعلم.

قد ثبت الأمر بالذكر في الأيام المعدودة، قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿ ۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ ﴾[البقرة: ٢٠٣]، وهي أيام التشريق، وثبت عنه ﷺ مطلقُ التكبير، وفي «صحيح مسلم»: أنه ﷺ قال: «والحُيَّضُ يَكُنَّ خلفَ الناس، يُكَبِّرْنَ مع الناس»، وفي «البخاري»: أن أم عطية قالت: كنا نؤمر أن نُخرج الحيض، فيكبرن بتكبيرهم. وثبت في «الصحيح» عن عمر: أنه كان يكبر في المسجد، ويكبر بتكبيره مَنْ في الأسواق، وأنه كان يفعل ذلك مرة بعد مرة في دُبر الصلوات، وفي غيرها من الأوقات.

والحاصل: أن المشروع في أيام التشريق الاستكثارُ من ذكر الله ـ عز وجل ـ خصوصاً التكبير، والمراد: مطلق التكبير، وهو أن يقول: الله أكبر، ويكرر ذلك في الأوقات، ومن جملتها عقب الصلوات، لا تخصيصه بعقب الصلوات، ولا يجعل يوم عرفة من جملة الأيام التي يستحب فيها تكبير التشريق؛ فإن أيام التشريق هي يوم النحر، ويومان بعده، وأما يوم عرفة، فهو من الأيام المعلومات، وهي عشر ذي الحجة التي قال الله تعالى فيها: ﴿ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ ﴾[الحج: ٢٨]، وثبت فيها كما في «البخاري» وغيره من

حديث ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أيامٍ العملُ الصالحُ فيها أحبُّ إلى الله ـ عز وجل ـ من هذه الأيام»؛ يعني: أيام العشر. قالوا: يا رسول الله! ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجلٌ خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجعْ بشيء من ذلك».

وأخرج مسلم من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام أعظم عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ، ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير(١) والتحميد».

دلت الأحاديث على عدم شرعية الأذان والإقامة في صلاة العيدين.

قال العراقي: وعليه عملُ العلماء كافة، وقال ابن قدامة في «المغني»: لا نعلم في هذا خلافاً ممن يُعتدّ بخلافه، إلا أنه رُوي عن ابن الزبير: أنه أذن وأقام. وقيل: إن أول من أذن في العيدين زياد. انتهى. وقيل: معاوية، ولكنه رواه عنه من لا يوثق به. وروى الشافعي عن الزهري، قال: «كان رسول الله ﷺ يأمر المؤذن في العيدين، فيقول: الصلاة جامعة»، قال في «الفتح»: وهذا مرسَل، يعضده القياس على صلاة الكسوف؛ لثبوت ذلك فيها. انتهى. قال في «سبل السلام»: وفيه تأمل. انتهى. قلت: وأخرج هذا الحديث البيهقيُّ من طريق الشافعي.

---

(١) (قوله: من التهليل والتكبير) قال السيد الإمام العلامة محمد بن إسماعيل الأمير في «سبل السلام شرح بلوغ المرام»: أما صفته، ففي فضائل الأوقات للبيهقي بإسناده إلى سلمان: أنه كان يعلمهم التكبير، ويقول: كبروا: الله أكبر، الله أكبر كبيراً، أو قال: كثيراً، اللهم أنت أعلى وأجل من أن تكون لك صاحبة، أو يكون لك ولد، أو يكون لك شريك في الملك، أو يكون لك ولي من الذل، وكبره تكبيراً، الله اغفر لنا. الله ارحمنا. وفي «الهدي»: روي أنه كان يكبر من صلاة الفجر يوم عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد. ا.هـ. نور

دلت الأحاديث على كراهة الصلاة قبل صلاة العيد وبعدها[1]، وإلى ذلك ذهب أحمد، وهو مذهب الصحابة والتابعين، وحكى الترمذي عن طائفة من أهل العلم من الصحابة وغيرهم: أنهم رأوا جواز الصلاة قبل صلاة العيد وبعدَها، قال الحافظ في «الفتح»: والحاصل: أن صلاة العيد لم تثبت لها سنة قبلَها ولا بعدَها؛ خلافاً لمن قاسها على الجمعة، وأما مطلقُ النفل، فلم يثبت فيه منعٌ بدليل خاص، إلا إن كان ذلك في وقت الكراهة في جميع الأيام. انتهى. وكذا قال العراقي في «شرح الترمذي»: وهو كلام صحيح جارٍ على مقتضى الأدلة، وليس في الباب ما يدل على منع مطلق النفل، ولا على ما ورد فيه دليل يخصه، كتحية المسجد إذا أقيمت صلاة العيد في المسجد. وروى أحمد من حديث ابن عمرو مرفوعاً: «لا صلاةَ يومَ العيد قبلَها ولا بعدها»، فإن صح هذا، كان دليلاً على المنع مطلقاً؛ لأنه نفي في قوة النهي، وقد سكت عليه الحافظ فينظر فيه. انتهى. قلت: وتجمع بين هذا الحديث، وحديث أبي سعيد قال: «كان رسول الله ﷺ لا يصلي قبل العيد شيئاً، فإذا رجع إلى منزله، صلى ركعتين» رواه ابن ماجه بإسناد حسن، وأخرجه الحاكم وأحمد. وروى الترمذي عن ابن عمر نحوه، وصححه، وهو عند أحمد والحاكم، وله طريق أخرى عند الطبراني في «الأوسط»، لكن فيه جابر الجعفي، وهو متروك: بأن المراد: لا صلاة في الجبانة، والحديث يدل على أنه يشرع صلاة ركعتين بعد العيد في المنزل، والله أعلم.

* * *

---

(١) قال في «الهدي»: لم يكن هو ﷺ، ولا أصحابه يصلون إذا انتهوا إلى المصلى شيئاً قبل الصلاة، ولا بعدها، قال: ولم يصح في إحياء ليلة العيدين شيء. ا.هـ. نور

جملة القول في العيدين

كان من عادة النبي ﷺ أن يصلي صلاة العيد في المصلى، وهو مكان في ظاهر المدينة، وصلى العيد مرة في المسجد بسبب المطر، وكان يلبس في يوم العيد أجمل ثيابه، وكان له حُلَّة فاخرة برسم العيدين والجمعة، وفي بعض الأحيان كان يلبس برداً مخططاً بخطوط خضر، وبخطوط حمر، وكان يفطر في يوم عيد الفطر قبل الخروج إلى المصلى على تميرات عددهن وتر، ولم يكن يأكل طعاماً إلا بعد المراجعة، وكان يغتسل للعيد(١)، وورد في هذا الباب حديثان، وكلاهما ضعيف، لكن صح عن ابن عمر: أنه كان يغتسل لكل عيد، وشدة مبالغته في متابعة السنة تقتضي أن الحديث في هذا الباب صحيح، وكان يسير إلى المصلى ماشياً، وتُحمل بين يديه العَنَزَة، فإذا بلغ المصلى، نُصبت تُجاهه؛ لأن المصلى لم يكن إذ ذاك له جدار ولا محراب، وكان يؤخر صلاة الفطر، ويعجل صلاة الأضحى. وعبد الله بن عمر الذي كان لا يهمل متابعة السنة في دقيقة، كان يسير من بيته إلى المصلى بعد طلوع الشمس، وكان يكبر في جميع طريق المصلى. وكان النبي ﷺ إذا بلغ المصلى، شرع في الصلاة من

---

(١) (قوله: يغتسل للعيد) قال الحافظ في «الهدي»: وكان يغتسل للعيد، إن صح الحديث فيه، وفيه حديثان ضعيفان: حديث ابن عباس، وحديث الفاكه بن سعد، ولكن ثبت عن ابن عمر ـ مع شدة اتباعه للسنة ـ أنه كان يغتسل يوم العيد قبل خروجه. انتهى.

وقته بلا أذان، ولا إقامة، ولا الصلاة جامعة[١]. والسنة ألا يكون شيء من هذا، وكان يكبر في الأولى سبع تكبيرات متتابعات، يفصل بين كل تكبيرتين[٢] بسكتة خفيفة، ولم يرو بين التكبيرتين ذكرٌ، ولا تسبيحٌ معين. وكان إذا رفع رأسه من السجود إلى الركعة الثانية، شرع في التكبير. ويروى في بعض الأحاديث: أنه والى بين القراءتين، فكبر في الأولى، ثم قرأ وركع، فلما قام في الثانية، قرأ، وجعل التكبير بعد القراءة، لكن هذا الخبر غير صحيح؛ لأن راويه محمد بن معاوية النيسابوري، وهو مجروح[٣] باتفاق أكابر علماء الحديث.

وعن عمرو بن عوف: أن رسول الله ﷺ «كبر في العيد في الأولى سبعاً قبل القراءة، وفي الآخرة خمساً قبل القراءة»، سأل الترمذي البخاريَّ عن هذا الحديث، فقال: ليس في الباب شيء أصحُّ من هذا، وبه أقول. وكان إذا فرغ من الصلاة، قام وخطب قائماً، ولم يك ثَمَّ منبرٌ، لكن ورد في الحديث الصحيح: «فنزل نبي الله»، وهذا يدل على أنه كان يخطب على تل، أو صُفَّة، أو مكان عالٍ يقوم مقام المنبر. وروي في بعض الأحاديث: «على راحلته، وقام متوكئاً على بلال، فأمر بتقوى الله، وحث على طاعته، ووعظ الناس، وذكرهم، ثم مضى حتى أتى النساء، فوعظهن وذكَّرهن»، وفي لفظ: «تصدقوا» فأكثر من تصدق النساءُ بالقرط والخاتم والشيء. فإن كان حاجة يريد أن يبعث بعثاً، يذكره لهم، وإلا انصرف. وكان يفتتح جميع الخطب بحمد الله، ولم يرد في حديث أنه كان يفتتح خطبة العيد بالتكبير. وفي «سنن ابن ماجه» روي عن سعد مؤذن النبي ﷺ:

---

(١) (قوله: ولا الصلاة جامعة) لكن روى الشافعي عن الزهري، قال: كان رسول الله ﷺ يأمر المؤذن فيقول في العيدين: الصلاة جامعة. قال في «الفتح»: وهذا مرسل يعضده القياس على صلاة الكسوف؛ لثبوت ذلك فيها. انتهى. «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار».

(٢) (قوله: بين كل تكبيرتين) قال في «الهدي»: وكان ابن عمر ـ مع تحريه للاتباع ـ يرفع يديه مع كل تكبيرة. ا.هـ. نور

(٣) (قوله: مجروح) قال في «الهدي»: قال البيهقي: رماه غير واحد بالكذب. ا.هـ. نور

أن النبي ﷺ «كان يكثر التكبير بين أضعاف الخطبة»، وفي لفظ: «يكثر التكبير في خطبة العيدين»، وهذا لا يدل على أن الافتتاح كان بالتكبير[1] والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

* * *

(١) (قوله: بالتكبير) ومثله في «الهدي»، قال: وقد اختلف الناس في افتتاح خطبة العيد والاستسقاء، فقيل: تفتتحان بالتكبير، وقيل: تفتتح خطبة الاستسقاء بالاستغفار، وقيل: تفتتحان بالحمد. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: وهو الصواب؛ فإن النبي ﷺ قال: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله، فهو أجذم»، وكان يفتتح خطبه كلها بالحمد. انتهى. قلت: ولم أر أحداً ذكر افتتاح الخطب بالبسملة، مع أن النبي ﷺ قال: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر»، أو كما قال. وهذا الحديث يصلح للاستدلال به على الافتتاح بالبسملة، فمن اطلع على كلام لأحد في ذلك، فليلحقه في هذا المقام. ا.هـ. نور

الكلام على الأضحية

لم يترك ﷺ الأضحية قط. ضحى بكبشين من الضأن ذبحهما بعد صلاة العيد، وقال: «من ذبح قبل صلاة العيد، فَلْيُعِدْ؛ فإنها ليست بقربة، وإنما هي شاة لحم حَصَّلَها لأهله». قال: يجزىء من الضأن ما كان لسنة، ومن غيره ما كان لسنتين فصاعداً، ومجموعُ يوم العيد، وثلاثة أيام التشريق أيامُ ذبح. ومن السنة النبوية أن من قصد الأضحية في يوم العيد ألا يأخذ من شعره إذا هلَّ هلالُ ذي الحجة، ولا من ظفره، وأن يكون كالمحرم، وأن يختار الأضحية السمينة السالمة من العيوب، لا العوراء، ولا العمياء، ولا معضوبة القرن والأذن، ولا مقطوعتها.

وكان من العادة النبوية أن يذبح الضحايا في المصلى. قال جابر: حضرت رسول الله ﷺ، لما فرغ من الصلاة، خطب، ولما فرغ من الخطبة، ونزل من المنبر، جاؤوا بكبش، فذبحه ﷺ بيده، وقال: «بسم الله، والله أكبر، هذا عني وعَمَّن لم يضحِّ من أمتي».

والاقتداء به ﷺ مندوب؛ لأنه لم يرد ما يدل على أن ذلك خاص به، ولا ورد ما يدل على أن ذلك عزيمة على الأمة، فكان مندوباً. وفي الذبح في الجبانة فوائد: منها أن يعلم بذلك الفقراء، فيقصدونه، ويردون عليه، ولاسيما في حق الإمام؛ فإن الناس يعلمون بذبحه لأضحيته حتى يذبحوا ضحاياهم،

فتكون ضحايا مجزئة؛ لما ثبت من أنه ﷺ أمر من نحرَ قبل أن يصلي أن يعيد نحره. وما ثبت لرسول الله ﷺ ثبت للأمة بعده.

وثبت في «سنن أبي داود»: «أنه ضحى بكبشين أقرنين أملحين موجوءين، فلما وَجَّهَهما[1]، قال: «وجهتُ وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أُمرت، وأنا من المسلمين، اللهم هذا منك ولك عن محمد وأمته، باسم الله، والله أكبر»، ثم ذبح، وأمر الناس بالإحسان في الذبح، وقال: «إن الله تعالى كتبَ الإحسانَ على كل شيء، فإذا قتلتم، فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم، فأحسنوا الذِّبحة، وليُحِدَّ أحدُكم شفرته، ولْيُرِحْ ذبيحته». ومن الإحسان ألا يذبح بحضور البعض، وألا يشرع في السلخ إلا بعد كمال الموت. انتهى.

قلت: ذهب الجمهور إلى أن الأضحية غيرُ واجبة، وذهب الأقلُّون إلى وجوبها، والحق ما قاله الأقلون، كما رجحه الشوكاني ـ رحمه الله ـ في «السيل»، ولكن هذا الوجوب مقيد بالسَّعَة، فمن لا سعةَ له، لا أضحيةَ عليه، ويقتصر في العيوب على ما ورد عن الشارع؛ لأن الأصلَ ما جوّز الشارعُ التضحيةَ به، ولا يخرج عن ذلك إلا ما استثناه. وقد ورد عن الشارع مالا يجزىء، فينبغي العملُ على ذلك، وهي: العوراء، والمريضة، والعرجاء، والكسرى، والمقابلة، والمدابرة، والشرقاء، والخرقاء.

---

(١) (قوله: فلما وجههما... إلخ) قال الشوكاني في «السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار»: قوله: وندب الاستقبال. أقول: ليس على هذا دليل، لا من كتاب، ولا من سنة، ولا قياس، وما قيل من أن القول بندب الاستقبال في الذبح قياس على الأضحية، فليس بصحيح؛ لأنه لا دليل على الأصل حتى يصلح للقياس عليه، بل النزاع كائن في الأصل كما هو كائن في الفرع، والندب حكم من أحكام الشرع، فلا يجوز إثباته إلا بدليل تقوم به الحجة ا.هـ سيد علي حسن خان ولد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ.

وجميعُ الأحاديث المطلقة والمقيدة تدل على أن أقل ما يجزىء في الأضحية الجَذَعُ من الضأن، وأنها تجزىء عن أهل البيت، كما تجزىء عن الواحد وحدَه. وقد حكى الترمذي في «سننه»: أن الشاة تجزىء عن أهل البيت، قال: والعمل على هذا عند بعض أهل العلم، وهو قول أحمد، وإسحق، واحتجا بحديث: أن النبي ﷺ ضحى بكبش، فقال: «هذا عمن لم يضح من أمتي». وقال بعض أهل العلم: لا تجزىء الشاة إلا عن نفس واحدة، وهو قول ابن المبارك وغيره من أهل العلم. انتهى. فعرفت بكلام الترمذي هذا عدم صحة ما زعمه النووي، وابن رشد، والمهدي في «البحر» من أن الشاة لا تجزىء إلا عن ثلاثة، والحق أنها تجزىء عن أهل البيت، وإن كانوا مئة نفس.

ولم يثبت أن النبي ﷺ ضحى بوحشي، ولا جوّز التضحية به، وهذا يكفي. وثبت أن النبي ﷺ كان يذبح أضحيته بيده الشريفة، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، فمن أراد القيام بحق هذه القربة المتواترة، والشريعة الواضحة، فليفعل كما فعل رسول الله ﷺ ولا مانع من شرعٍ، ولا عقلٍ من الاستنابة، والمنعُ من ذلك بمجرد قاعدة فقهية لا يعرف له أصل، وإنه ﷺ قد استناب علياً ـ كرم الله وجهه ـ في ذبح البعض، كما أن ذلك ثابت في الصحيح. وملازمته ﷺ للتضحية بالكبش أو الكبشين ـ مع وجود الإبل في عصره، وكثرتها ـ يدل على أفضليتها في الأضحية، وإن كانت مفضولة من وجه آخر. وثبت عنه ﷺ: أنه قال: «كُلوا وادَّخروا وائْتِجروا»؛ أي: اطلبوا الأجر بالصدقة. وفي لفظ: «تصدقوا»، والكلام على ذلك يطول جداً، فليرجع إلى المطوّلات.

* * *

الكلام على صلاة الكسوف والخسوف

وهي صلاة الآيات. وقد رويت هذه الصلاة من فعله ﷺ على أنواع، لكن أصح ما ورد فيها: ركعتان، في كل ركعة ركوعان، هذا هو الثابت في «الصحيحين»، وغيرهما من طرق، ثم دون هذا في الصحة ـ مع كونه صحيحاً ـ في كل ركعة ثلاث ركوعات، وكذا: ركعتان، في كل ركعة أربع ركوعات، ثم دون هذا في الصحة: ركعتان، في كل ركعة خمس ركوعات، وورد: ركعتان، في كل ركعة ركوع، وورد أن صلاة الكسوف تكون كأحدث صلاة صلاها[١]. فهذه ست صفات.

اختيار الأصح منها على الصحيح هو دأب الراغبين في الفضائل، العارفين بكيفية الدلائل، وقد أورد على هذه الروايات المنسوبة إلى فعله ﷺ إشكال، هو أنه لم يصلها ﷺ غير مرة واحدة، فكيف تشعبت الروايات إلى هذه الصفات؟

وقد ذكروا في الجمع وجوهاً[٢] ليس هذا موضع ذكرها. وإذا تقرر لك أن مخرج هذه الأحاديث متفق عليه، وأن القصة واحدة، عرفت أنه لا يصح هاهنا

---

(١) (قوله: كأحدث صلاة صلاها) المراد: أنها كسائر النوافل بلا إطالة في الركوع؛ بخلاف الصور الخمس المتقدمة منه.

(٢) قال المجد في «الصراط المستقيم»: ثبت (١) في ذلك ستة أوجه، ثم ذكرها فليراجع. ا.هـ. نور (١) قوله: قال المجد في «الصراط المستقيم» صوابه: قال أبو العباس بن تيمية في «الصراط المستقيم».

أن يقال كما قيل في صلاة الخوف: إنه يأخذ بأي الصفات شاء، بل الذي ينبغي هاهنا أن يأخذ بأصح ما ورد، وهو ركوعان في كل ركعة؛ لما في الجمع بين هذه الروايات من التكلف البالغ. ثم اعلم أنه قد اجتمع هاهنا في صلاة الكسوف الفعلُ والقول، ومن ذلك قوله ﷺ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما كذلك، فافزعوا إلى المساجد»، وفي رواية: «فصلُّوا وادعوا»، والظاهر الوجوب، فإن صح ما قيل من وقوع الإجماع على عدم الوجوب، كان صارفاً، وإلا فلا.

الثابت عنه ﷺ في هذه المرة التي صلى فيها صلاة الكسوف: أنه صلاها جماعة، وجهر فيها بالقراءة، ولكن أمره ﷺ بالصلاة يتناول صلاة الفرادى، وصلاة الإسرار، مع أنه قد ثبت من حديث سمرة عند أحمد: أن النبي ﷺ «صلى بهم في الكسوف لا يسمعون له صوتاً»، وقد صححه الترمذي، وابن حبان، والحاكم، ولكن رواية الجهر أصحّ وأكثر. وراوي الجهر مُثْبِت، وهو مقدَّم على النافي.

ثبت الإسرار، والجهرُ أصح، والقيامُ بهذه السنة جماعةً أفضل، وليست الجماعة شرطاً فيها؛ لما في الأحاديث الصحيحة بلفظ: «صلوا»، ولما في حديث قبيصة الهلالي يرفعه: أنه ﷺ قال: «إذا رأيتم ذلك، فصلوها كأحدث صلاة صليتموها من المكتوبة» أخرجه أحمد، والنسائي.

وقد ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ: أنه قال في الكسوف: «فإذا رأيتم ذلك، فادعوا الله، وكبروا، وتصدقوا، وصلوا»، وفي لفظ آخر فيهما: «فافزعوا إلى الله تعالى ودعائه واستغفاره»، وفي لفظ لهما: «فإذا رأيتموها، فادعوا الله، وصلوا حتى تنجلي».

* * *

الكلام على صلاة الاستسقاء

لم يثبت عنه ﷺ أنه صلى صلاة الاستسقاء زيادة على ركعتين، ولا ثبت ذلك من قوله، وقد كان تارة يقتصر على الدعاء؛ كما في استسقائه يوم الجمعة، فإنه لم يصل غير ركعتي الجمعة بعد أن استسقى حالَ خطبة الجمعة. ووجهُ ما ذهب إليه من قال: إنها كصلاة العيد، ما أخرجه أحمد، والنسائي، وابن ماجه من حديث ابن عباس، قال: «خرج رسول الله ﷺ في الاستسقاء متواضعاً مُتَبَذِّلاً متخشِّعاً متضرِّعاً، فصلى ركعتين كما يصلي في العيد»، فظن القائل بذلك أن هذه الصلاة كصلاة العيد من جميع الوجوه.

استسقى النبي ﷺ لأمته مرات على أنحاء كثيرة، لكن الوجه الذي سنه لأمته: أن خرج بالناس إلى المصلى، فصلى بهم ركعتين، جهر لهم فيهما بالقراءة، ثم خطب، واستقبل فيهما القبلة يدعو، ورفع يديه، وحوّل رداءه، فجعل الأيمنَ على الأيسر، والأيسرَ على الأيمن. وروي أنه قلبه ظهراً لبطنٍ، وحوّل الناس معه. أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن زيد، وأصله في «الصحيح»، وهذه الصلاة مسنونة، سنت عند الجدب، بلا أذان، ولا إقامة؛ لعدم ورود ما يدل على الوجوب، وهي ركعتان بعدهما خطبة تتضمن الذكرَ والترغيبَ في الطاعة، والزجرَ عن المعصية، ويستكثر الإمامُ ومَنْ معه من الاستغفار، والدعاء برفع الجدب.

وقد كان ﷺ «يرفع يديه في الاستسقاء حتى يُرى بياضُ إبطيه»، وكان الصحابة ومَنْ بعدهم يستسقون بأهل الصلاح، ولاسيما مَنْ كان من قرابة النبي ﷺ كما فعل عمر؛ فإنه استسقى بالعباس.

لم يرد في ذلك ـ أي: تلاوة المأثور ـ شيء يصلح للتمسك به، لا في حال الخطبة، ولا في حال الرجوع، ولكن روى سعيد بن منصور في «سننه» عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: أنه خرج يستسقي، فلم يزد على الاستغفار، فقالوا: ما رأيناك استسقيت، فقال: لقد طلبتُ الغيث بمَجاديح السماء[1]، ثم قرأ: ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾[نوح: ١٠، ١١].

اعلم أن روح هذه الصلاة وأساسَها وعمادَها الذي لا تقوم بدونه هو الاستكثار من الاستغفار قبلَها وبعدَها، وإخلاص التوبة من الذنوب التي يقارفها الإنسان، والخروج من التبعات والظلامات في الدماء والأموال والأعراض، وذلك غير مختص بفرد من الأفراد، بل يفعله كل أحد، ويُشرع للإمام أو من يقوم مقامه أن يخطب الناس، ويذكرهم بما يفعلونه من الأسباب الموجبة للرحمة؛ وقد روي عنه ﷺ: أنه خطب قبل الصلاة، وخطب بعدها، فالكل سنة.

* * *

(١) (قوله: بمجاديح السماء) هي: أنواؤها، كذا في «القاموس»، وقال في «مجمع البحار»: وهي جمع مجدح ـ بكسر الميم ـ، وهو نجم، وقيل: هو الدبران، وقيل: ثلاثة كواكب كالأثافي، وهو عند العرب من الأنواء الدالة على المطر. شبه الاستغفار بها مخاطباً لهم بما يعرفونه، لا قولاً بالأنواء ا.هـ.

الكلام على مسائل النكاح

قد عُلم بنصوص الكتاب والسنة، وبإجماع الأمة: أن الزنا حرام، وكذلك ما يؤدي إليه، وما هو مقدمة له، فمن خشي على نفسه الوقوع في هذا، وجب عليه دفعُه عن نفسه، فإن كان لا يندفع إلا بالنكاح، وجب عليه ذلك، وإن كان يُدفع بمثل الصوم، أو السفر، أو التقليل في طعامه وشرابه، أو أكل غير ما فيه دسومة من الأطعمة، لم يجب عليه النكاح؛ لإمكان دفع المعصية بدونه.

النكاحُ من آكدِ السنن، وقد أمر الله سبحانه به في كتابه العزيز، وثبت في السنة الصحيحة في «الصحيحين» وغيرهما: أن النبي ﷺ قال: «يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة، فليتزوج»، وصح عنه ﷺ في «الصحيحين» وغيرهما النُهي عن التبتل. وقال فيما صح عنه في «الصحيحين»، وغيرهما: «لكن أصومُ أفطر، وأنامُ وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي، فليس مني».

والحاصل: أن النكاح سنة مؤكدة، فلا وجهَ لجعل بعض أقسامه مباحاً، فإن ذلك دفع في وجه الأدلة، وردّ للترغيبات الكثيرة في صحاح الأحاديث وحسانها. نعم من كان فقيراً لا يستطيع القيام بمؤنة الزوجة، فله رخصة في ترك هذه السنة الحسنة؛ لقوله ـ عز وجل ـ: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[النور: ٣٣]، على ما في تفسيرها من الاختلاف.

إن انتهض حديث: «واجعلوه في المساجد» للحجة، نُدب العقد في

المسجد، وإلا، فالمساجد إنما بنيت لذكر الله تعالى، والصلاة، فلا يجوز فيها غيرُ ذلك إلا بدليل يخصص هذا العموم، كما وقع من لعب الحبشة بحرابهم في مسجده ﷺ وهو ينظر، وكما قرر مَنْ كان ينشد الأشعار فيه.

الأدلة الدالة على اعتبار الولي، وأنه لا يكون العاقد سواه، وأن العقد من المرأة لنفسها بدون إذن وليها باطل، قد رويت من طريق جماعة من الصحابة، فيها الصحيح والحسن، وما دونهما فاعتباره متحتم.

وقد ذهب إلى اعتبار الولي جمهورُ السلف والخلف.

والوليُّ المعتبر في النكاح يكفي فيه الواحد، وإذا تشاجروا، فالولاية للسلطان.

الأحاديث الواردة في اعتبار الولي فيها التصريح بالنفي بلفظ: «لا نكاح إلا بولي» رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، وصححاه، فأفاد انتفاء النكاح الشرعي بانتفاء الولي، وما أفاد هذا المفاد، اقتضى أن ذلك شرط لصحة النكاح؛ لأن الشرط ما يلزم من عدمه عدمُ المشروط، كما تقرر في الأصول، فالولي شرط من شروط النكاح التي لا يصح إلا بها إذا كان موجوداً، وإلا، فولاية ذلك إلى السلطان.

ظاهر الأحاديث المقتضية للنفي: أن الإشهاد شرط للنكاح، لا يصح بدونه، قال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ، ومَنْ بعدَهم من التابعين وغيرهم، قالوا: لا نكاحَ إلا بشهود. ولم يختلف في ذلك من مضى منهم إلا قومٌ من المتأخرين من أهل العلم، وإنما اختلف أهل العلم في هذا إذا شهد واحد بعد واحد، فأجازه أهل المدينة، وقال أكثر أهل العلم من الكوفة: يشهد الشاهدان معاً عند عقد النكاح.

لم يرد ما يدل على أن المهر شرطٌ من شروط العقد، أو ركنٌ من أركانه، ولو كان العقد لا يصح إلا بالمهر، لم يقل ـ الله عز وجل ـ: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ

ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ ﴾[البقرة: ٢٣٦]؛ فإن هذه الآية تفيد أن العقد قد يقع قبل فرض المهر، ويؤيد هذا ما أخرجه أبو داود من حديث عقبة بن عامر: أن رسول الله ﷺ «زوّجَ امرأةً من رجل شهدَ بدراً، ولم يفرض لها صداقاً، حتى إذا حضرته الوفاة، قال: إن زوجتي فلانة لم أفرض لها صداقاً، وإني أشهدكم أني قد أعطيتها سهمي من خيبر، فباعته بعد موته بمئة ألف».

الحاصل: أن الأدلة قد دلت على أنه يصح أن يكون المهر قليلاً بدون تقييد بمقدار، بل ما كان له قيمة[١]، صحَّ أن يكون مهراً؛ فإن حديث: «ولو خاتماً من حديد»، وكذلك حديث المرأة التي تزوجت بنعلين، وأقرها رسول الله ﷺ وكذلك حديث: «ولو أن رجلاً أعطى امرأة صداقاً ملء يديه طعاماً، كانت حلالاً»، وكذلك حديث عبد الرحمن بن عوف: «تزوجَ امرأةً على وزن نواة من ذهب» يدل على عدم التقيد بحدّ في جانب القلة، والأحاديث المذكورة هي في الأمهات، فالأول متفق عليه، والثاني أخرجه أحمد، وابن ماجه، والترمذي، وصححه، والثالث أخرجه أحمد، وأبو داود، والرابع أخرجه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، فهذه الأحاديث تدل على أنه لا حد للمهر في جانب القلة، بل إذا كان ما له قيمة، صح أن يكون مهراً. وأما في جانب الكثرة، فكذلك أيضاً لا حدَّ له، ولذلك ذكر الله القنطار، وكانت مهور زوجاته ﷺ لكل واحدة اثنتي عشرة أوقية ونصفاً عن خمس مئة درهم، فمن زعم أن المهر لا يكون إلا كذا فعليه الدليل الصحيح، ولا ريب أن المغالاة في المهور مكروهة.

المعتبر: هو الكفاءة في الدين والخلق، لا في النسب، لكن لما أخبر ﷺ بأن حسب أهل الدنيا المال، وأخبر كما ثبت في «الصحيح» عنه: «أن في أمته ثلاثاً من أمر الجاهلية: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء

---

(١) قوله: (بل ما كان له قيمة. . . إلخ) بل يصح بتعليم قرآن كما ورد في الحديث. ا.هـ.

بالنجوم»، كان تزويج غير الكفء في النسب والمال من أصعب ما ينزل بمن لم يؤمن بالله واليوم الآخر، ومن هذا القبيل استثناء الفاطمية، وجعل بنات فاطمة ـ رضي الله عنها ـ أعلى قدراً، وأعظم شرفاً من بنات رسول الله ﷺ لصلبه. فيا عجباً كلَّ العجب من هذه التعصبات الغريبة، والتصلبات على أمر الجاهلية، وإذا لم يتركها من عرف أنها من أمور الجاهلية من أهل العلم، فكيف يتركها من لم يعرف ذلك؟! والخير كل الخير في الإنصاف، والانقياد لما جاء به الشرع. ولهذا أخرج الحاكم في «المستدرك»، وصححه عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «أعلمُ الناس أبصرُهم بالحق إذا اختلف الناس».

قد تشعبت المذاهب في امرأة المفقود إلى شُعَب ليس عليها أَثارةٌ من علم، لاسيما التحديدات بمقادير معلومة من الأوقات، والكل محض رأي، وعندي أن تحريم نكاح المُحْصَنة وردَ به النص القرآني، وأجمع عليه جميع المسلمين، بل هو معلوم من ضرورة الدين، وامرأة المفقود مُحْصَنة، فالأصلُ الأصيل تحريمُ نكاحها، وإذا لم يكن لها ما تستنفقه، وكان إمساكُها حينئذ، واستلزامُها على استمرار نكاح الغائب فيه إضرار بها؛ كان ذلك وجهاً للفسخ، وهكذا إذا طالت مدة الغيبة[1]، وكانت المرأة تتضرر بترك النكاح، فالفسخُ لذلك سائغ. وإذا جاز الفسخ للعُنَّة، فجوازه للغيبة الطويلة أولى؛ لأنه قد علم من نصوص الكتاب والسنة تحريمُ الإمساك ضراراً، والنهيُ للأزواج عن الضرار في غير موضع، فوجب دفعُ الضرار عن الزوجة بكل ممكن، وإذا لم يمكن إلا بالفسخ، جاز ذلك، بل وجب.

---

(١) قوله: (وهكذا إذا طالت مدة الغيبة. . .إلخ)، وهكذا إذا طال حبس الزوج في السجن، أو دام له الحبس، وكانت المرأة تتضرر بعدم النفقة، فالفسخ لذلك سائغ ـ إن شاء الله تعالى ـ، ومن أعظم الشقاق أن يكون الخصام بينهما في النفقة، وإذا لم يكن وضع الضرر عنهما إلا بالتفريق، كان ذلك إلى القاضي، أو إلى من يقوم مقامه من أهل العلم، والله أعلم. ا.هـ.

لم يصح في ذلك ـ أي: النثار ـ شيء. ولا بأس بنثر شيء من المأكولات، فهو من جملة الإطعام المندوب، إنما الشأن في الحكم بمشروعية انتهابه، مع ورود الأحاديث الصحيحة بالنهي عن النهبى. والظاهر أن هذا نوع منها، ولم يرد ما يدل على التخصيص، لا من وجه صحيح، ولا حسن، بل ولا ضعيف ينجبر.

لم يثبت في هذا شيء، والحديث المروي في ذلك قد تكلم عليه في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة»، وقد ذكره ابن حجر في «التلخيص»، وعزاه إلى البيهقي، قال: وفي إسناده ضعف وانقطاع. قال: ورواه الطبراني في «الأوسط» من حديث عائشة نحوه، وفيه بشر بن إبراهيم. انتهى. قلت: وكان متهماً بالوضع. ورواه الغزالي، والرازي، والقاضي حسين أحدُ أصحاب الشافعي من حديث جابر: أن النبي ﷺ حضر في إملاك[1]، فأتى بأطباق عليها جوز ولوز وتمر، فنثرت، فقبضنا أيدينا، فقال: ما لكم لا تأخذون؟ فقالوا: لأنك نهيت عن النهبى، فقال: إنما نهيت عن نهبى العساكر، خذوا على اسم الله، فجاذبنا، وجاذبناه. وهذا موضوع لا شك فيه، وهؤلاء الذين رووه ليسوا من أهل الرواية. فانتهاب النثار إن لم يكن حراماً، يصدق اسم النهبى عليه، فأقل الأحوال أن يكون مكروهاً[2].

ينبغي أن يكون هذا اللفظ الذي وقع به العقد بلفظ النكاح أو التزويج، أو ما يفيد هذا المفاد مما يتعارف به الناس بينهم، وما يفهم من الأعراف المصطلحة

---

(١) قوله: (في إملاك)، الإملاك: النكاح. ا.هـ

(٢) قوله: (فأقل الأحوال أن يكون مكروهاً) قال المجد في «الصراط المستقيم»(*): الهدي حيناً وحينا. يقول: من له حاجة فليقطع لنفسه، واستدل بعضهم بهذا على الانتهاب في النثار. انتهى. قلت: وفيه نظر. ا.هـ. نور

(*) قوله: (قال المجد في «الصراط المستقيم» هو لشيخ الإسلام أبي العباس بن تيمية ـ رحمه الله ـ.

بين قوم مقدَّم على غيره؛ لأن التفاهم بينهم هو باعتبار ذلك الاصطلاح، ولم يأت في الكتاب والسنة ما يدل على أنه لا يجزىء في هذا إلا لفظ أو ألفاظ مخصوصة. وقد روي عن النبي ﷺ: أنه قال في الواهبة نفسَها له لمن زَوَّجَه: «ملكتكها بما معك من القرآن»، وروي بلفظ: «زوجتكها»، وفي لفظ: «زوجناكها»، وفي لفظ: «أنكحناكها».

لا يتم العقد إلا بلفظ الإيجاب والقبول، ولكن إذا تقدم السؤال، كان مغنياً عن القبول، كما في حديث: زوجنيها يا رسول الله، قال: «زوجتكها»، وقد كان مثل هذا هو الغالب في أيام النبوّة.

قد دلت على مشروعية الوليمة الأحاديثُ الصحيحة الثابتة في «الصحيحين»، وغيرهما، وقد صح أنهﷺ أولمَ على نسائه، وصح أنه أمر من تزوّج بالوليمة؛ كما قال لعبد الرحمن بن عوف: «أَوْلِمْ ولو بشاة»، وهو في «الصحيحين»، وغيرهما من حديث أنس. وقد ثبت الترخيص في طرف من اللهو في العرس، وقد ذكر صاحب «المنتقى» الأدلةَ على ذلك. وتكلم الشوكاني في «شرحه» عليها، ومن خالفه في ذلك؛ فقد خالف ما كان ثابتاً معلوماً، ومن جوّز اللهو في غير هذا الموطن؛ فقد خالف ما يدل عليه الكتابُ، العزيز، والسنةُ المطهرة.

* * *

الكلام على البسملة، وهي قوله سبحانه:
(بسم الله الرحمن الرحيم)

البسملة: مصدرُ بسمل: إذا قال: بسم الله، والتسمية: مصدر سَمَّى إذا ذكر الاسم. ومثل بسمل هَلَّلَ وحَيْعَلَ وحَوْقَلَ وحَمْدَلَ وحَسْبَلَ، إذا قال: لا إله إلا الله، وحيَّ على الصلاة، ولا حول ولاقوة إلا بالله، والحمد لله، وحسبنا الله. وحكى الحريري، جَعْلَفَ: إذا قال: جُعلت فداءك، اشتقت هذه الأفعال من هذه الكلمات طلباً للاختصار في التعبير عنها. عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمر ذي بالٍ لا يُبدأ فيه بـ: بسم الله الرحمن الرحيم، فهو أبتر» رواه ابن حبان في «صحيحه»، والمراد من كونه أبتر؛ أي: ناقصاً؛ أي: لا يكون معتبراً في الشرع، ألا ترى أن الأمر الذي ابتدىء فيه بغير اسم الله غيرُ معتبر شرعاً، وإن كان تاماً حساً؟ قاله الفناري شيخ الكافيجي شيخ السيوطي. والبسملة مندوبة في كل أمر مندوب أو مباح، واتفقوا على جواز كتبها أول كتب العلم والرسائل، واختلف في كتابتها في أول ديوان الشعر، فمنعه جماعة، واختار الكافيجي جوازه إن كان في الديوان مواعظ أو حكم. انتهى. قال السيوطي: أما قصيدة يرفعها الشاعر إلى ممدوحه، فلا سبيل إلى كتابتها. وأقلها: باسم الله، وأكملها: بسم الله الرحمن الرحيم. انتهى.

والاسم عند البصريين مشتق من السمو، وهو العلو. وقال الكوفيون: من

الوسم، والسمة، وهي العلامة، والأول هو الأصح، وإليه نحا ابن معطي في «الألفية»، وفيه لغات.

و(الله): عَلَمٌ عربي مُرْتَجَل جامد عند الأكثر، خاصٌّ لذات الواجبِ الوجود، تفرد به الخالق البارىء سبحانه، لم يطلق على غيره، ولا يشرَكُه فيه أحد. قال الله تعالى ـ: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾[مريم: ٦٥]. وعند الزمخشري: اسم جنس صار علماً بالغلبة، والأول هو الصحيح، وبه قال الشافعي، ومحمد بن الحسن، والخطابي، وإمام الحرمين، والغزالي، حكاه البلقيني في «الكشاف». وحكي أن الأشعري رُئي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، فقيل: بماذا؟ قال: بقولي بعلمية الله. وقال ابن جماعة في كتابه «صفوة النقاد في شرح الكوكب الوقاد»: قال ابن دريد: هذا من الخوض فيما لا يعلم. وقيل: مشتق، ثم اختلفوا. وهو أعرف المعارف، حكي أن سيبويه رُئي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: خيراً كثيراً؛ لجعلي اسمَه أعرفَ المعارف. قال المحققون: إنه اسم الله الأعظم. وقد ذكر في القرآن في ألفين وثلاث مئة وستين موضعاً، حكاه السيوطي في «رياض الطالبين»(١).

و(الرحمن الرحيم): من الصفات الغالبة، والمشهور أن الرحمن عربي مشتق، وقيل: عبراني، وفيه من المبالغة ما ليس في الرحيم. قال أبو علي الفارسي: الرحمن يختص به ـ سبحانه وتعالى ـ. قال السيوطي: ولم يقرأ أحد فيهما إلا بالجر، والقراءة سنة متبعة. انتهى. قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾[الإسراء: ١١٠]. وهي آية من الفاتحة عند

---

(١) قوله: (في رياض الطالبين) قال في آخرها: فرغت من هذا الكتاب يوم الخميس عاشر المحرم سنة ست وستين وثمان مئة. قلت: وهذه هي السنة التي أجيز فيها بتدريس العربية. وقد ألف فيها، وكان أول شيء ألفه هذا التأليف، كما نقله تلميذه الشمس الداودي المالكي ـ رحمهما الله ـ، ونفع بهما آمين. قال: وأوقف عليه شيخه شيخ الإسلام، وصالح بن شيخ الإسلام السراج البلقيني، وكتب عليه تقريظاً كما رأيته بخطه. ا.هـ. نور

الشافعي؛ لما روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأتم الحمدَ، فاقرؤوا: بسم الله الرحمن الرحيم، إنها أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني، وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها» رواه الدارقطني. ومن كل سورة سوى (براءة)؛ لأنه لا يرسم في المصحف إلا ما هو من القرآن، ولهذا لا تُرسم الاستعاذة المأمورُ بها في الابتداء لكل قراءة، ولا لفظ (آمين) المأمور به في ختم الفاتحة. ولما روى مسلم عن أنس مرفوعاً، وفيه قال: «أُنزلت عليَّ آنفاً سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾»... الحديث.

ومذهب أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ ومالك: أنها ليست آية من الفاتحة، ولا من غيرها، وإنما كتبت للفصل والتبرك، واستدلوا بحديث أنس، وهو أن النبي ﷺ، وأبا بكر، وعمر كانوا يفتتحون الصلاة بـ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾. وله ألفاظ. والجواب عن ذلك بوجوه:

الأول: أنه ثبت عن أنس الجهرُ بها عن رسول الله ﷺ بطرق صححها الدارقطني، والحاكم، وغيرهما. قال الشافعي في «الأم»: بلغني أن ابن عباس كان يقول: إن رسول الله ﷺ كان يفتتح القراءة بـ: بسم الله الرحمن الرحيم.

الثاني: أن المراد بافتتاح الصلاة بالحمد: أنه كان يبتدىء بالفاتحة قبل السورة، قاله الشافعي في «الأم». قال بعضهم: هذا من أحسن الأجوبة. وفهم الراوي من ذلك تركَ البسملة فيه، وروى بالمعنى، فأخطأ. قال السيوطي: ولو لم يكن فيه إلا تطرق الاحتمال.

الثالث: أن الحديث فيه دلالة على ترك الجهر بها في بعض الأوقات، وفعلوا ذلك لبيان الجواز، ولذا ترجم مسلم: باب: حجة من قال: لا يجهر بالبسملة. واتفقوا على أن الفاتحة سبع آيات: **الأولى:** البسملة عند من يجعلها من الفاتحة، **وابتداء الآية الأخيرة:** ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾، ومن لم يجعلها

من الفاتحة؛ قال: ابتداؤها: ﴿الحمد لله﴾، والأخيرة: ﴿غير المغضوب عليهم﴾.

ومذهب الشافعي: أنه يُسن الجهرُ بها في الصلاة الجهرية، والسرُّ بها في السرية، ومذهب أبي حنيفة: السر بها مطلقاً، ومالك: لا يراها سراً ولا جهراً، ومن لا يراها آية، يبسمل تبركاً، وفصلاً بين السور، وإنما سقطت من (براءة)؛ لأنها أمان، وليس في (براءة) أمان. وفي تفسير «فتح البيان»: أحاديث الترك، وإن كانت أصح، ولكن الإثبات أرجح مع كونه خارجاً من مخرج صحيح، فالأخذ به أولى، ولاسيما مع إمكان تأويل الترك، وهذا يقتضي الإثبات الذاتي؛ أعني: كونها قرآناً، والوصفي؛ أعني: الجهر بها.

والحاصل: أن البسملة آية من الفاتحة، ومن غيرها من السور، وحكمها من الجهر والإسرار حكم الفاتحة، وبهذا يحصل الجمع بين الروايات. ا.هـ. وإن شئت تنقيح البحث والكلام على أطرافه استدلالاً ورداً، وتعقباً ودفعاً، ورواية ودراية، فعليك بـ«نيل الأوطار» للشوكاني ـ رحمه الله ـ. قال ابن مسعود: من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر؛ فليقرأ البسملة؛ ليجعل الله له كلَّ حرف جُنَّة من كل واحد. وروي أن رجلاً كتب إلى عمر ـ رضي الله عنه ـ: إن بي صداعاً لا يسكن، فابعث لي دواء، فبعث إليه قلنسوة، فكان إذا وضعها على رأسه، سكن صداعه، وإذا رفعها عاوده الصداع، فتعجب ففتحها، فإذا كاغد فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم)، والله أعلم.

* * *

الكلام على الاستعاذة، وهي قول القائل:
(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)

اعلم أن أصل **الاستعاذة:** قولُه تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[النحل: ٩٨] عبر عن إرادة الفعل بلفظ الفعل إقامةً للمسبب مقام السبب، ومعناها: طلبُ الإعاذة من الله تعالى؛ كالاستخارة والاستعانة والاستغاثة.

والشيطان: فَيْعال؛ من شطن يشطن: إذا بعد. وقيل: فَعْلان، من شاط يشيط: إذا هلك. ويقال لكل متمرد من الإنس والجن والدواب: شيطان. وأما العفريت، فهو المارد من الجن.

والرجيم: بمعنى مرجوم بالبعد والطرد. وقيل: يرجم بني آدم بالسيئات. وأصل الرجم بالحجارة. ويقال للقول بمعنى الظن، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾[الكهف: ٢٢]. قال ابن قاسم: المراد بالشيطان: إبليس وجنوده، فأل فيه للجنسية. والاستعاذة تطهر القلب عن كل شيء شاغل عن الله، ومن لطائفها: أن قوله إقرارٌ من العبد بعجزه وضعفه، وبقدرة الباري على دفع جميع المضرات، والمختار منها: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وقال الشافعي: وأي لفظ استعاذ به أجزأه، كذا في «الأم»، وفي تفسير «فتح البيان»: واختلفوا في لفظها المختار، ولا يأتي بكثير فائدة. انتهى. **قلت:** ولفظها على اختلافه خبرٌ، ومعناه الدعاء؛ أي: اللهمَّ أعذْني، وهي مندوبة خارج الصلاة، تابعة للقراءة، إن سراً فسر، وإن جهراً فجهر،

وروي إخفاؤها مطلقاً؛ لأنه دعاء. والإسرارُ به أفضل. وقيل: فرض، فإذا نسي القارىء، ثم تذكر، تعوذ، وابتدأ من أول، أو من موضع وقفه. وقيل: كانت واجبة عليه ﷺ، ثم تأسينا به. وهي قبل القراءة سنة عند الجمهور، ومستحبة في الصلاة، ويستحب الجهر بها في الجهرية عند الشافعية، ويكره تركها عامداً. نص على ذلك الشافعي في «الأم»، ومحلها قبيل القراءة. ونقل عن أبي هريرة، والنخعي، وابن سيرين: أنها بعد القراءة؛ لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾[النحل: ٩٨]، ذكر الاستعاذة بعد الفراغ، والفاء للتعقيب. روى مسلم: أن رجلين تسَّابا بحضرة النبي ﷺ، فغضب أحدهما غضباً شديداً، وانتفخت أوداجه، فقال رسول الله ﷺ: «إني أعلم كلمة لو قالها، لذهبَ ذا عنه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، وفي هذا فضل الاستعاذة، والله تعالى أعلم.

والحمد: هو الوصف الجميل على الجميل الاختياري للتعظيم، وإطلاق الجميل الأول؛ لإدخال وصفه تعالى بصفاته الذاتية؛ فإنه حمدٌ له، وتقييد الثاني بالاختيار؛ لإخراج المدح، فيكون على هذا أعمَّ من الحمد مطلقاً. وقيل: هما أخوان، وذكر قيد التعظيم؛ لإخراج ما يؤتى به من المشعِرات بالتعظيم على سبيل الاستهزاء والسخرية، ولكنه يستلزم اعتبار فعل الجَنان، وفعل الأركان في الحمد؛ لأن التعظيم لا يحصل بدونهما. وأجيب بأنهما فيه شرطان، لا جزآن، ولا جزئيان، ومن هاهنا يلوح صحة ما قاله الجمهور من أن «الحمد» أعمُّ من الشكر متعلقاً، وأخصُّ مورداً، لا كما زعمه البعض من أن «الحمد» أعمُّ مطلقاً؛ لمساواته الشكرَ في المورد، وزيادته عليه بكونه أعمَّ مطلقاً. ومما ينبغي أن يعلم هاهنا: أن «الحمد» يقتضي متعلقين، هما: المحمودية، والمحمود عليه، **فالأول**: ما حصل به الحمد، **والثاني**: الحامل عليه؛ كحمدك لزيد بالكرم في مقابلة الإنعام، وقد يكون التغاير اعتبارياً مع الاتحاد ذاتاً؛ كالحمد منك لمنعم

بإنعامه عليك في مقابلة ذلك الإنعام؛ فإن الإنعام من حيثُ الصدورُ من المنعم محمود به، ومن حيث الوصولُ إليك محمودٌ عليه. هذا وقد وردت الأحاديث الصحيحة الكثيرة في فضائل التحميد، وهي مدونة في كتب السنة، لا حاجة لنا إلى ذكرها هنا.

* * *

الكلام على الصلاة[1]

إردافُ الحمد لله ـ عز وجل ـ بالصلاة على رسوله ﷺ؛ لكونه الواسطة في وصول الكمالات العلمية والعملية إلينا من الرفيع ـ عز سلطانه، وتعالى شأنه، وذلك؛ لأن الله تعالى لما كان في نهاية الكمال، ونحن في نهاية النقصان، لم يكن لنا استعداد لقبول الفيض الإلهي؛ لتعلقنا بالعلائق البشرية، والعوائق البدنية، وتدنُّسنا بأدناس اللذات الحسية، والشهوات الجسمية، وكونه تعالى في غاية التجرد، ونهاية التقدُّس، فاحتجنا في قبول الفيض منه ـ جل وعلا ـ إلى واسطةٍ له وجهُ تجرُّد، ونوعُ تعلق، فبوجه التجرد يستفيض من الحق، وبوجه التعلق يفيض علينا، وهذه الواسطة هم الأنبياء، وأعظمُهم رتبة، وأرفعهم منزلة: نبينا ﷺ، فذكرُه ﷺ عقبَ ذكره ـ جل جلاله ـ في الكتب والخطب تشريفٌ لشأنه، مع الامتثال لأمر الله سبحانه، ولحديث أبي هريرة عند الرهاوي بلفظ: «كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه بحمد الله، والصلاة عليّ، فهو أقطع»، وكذلك التوسُّل بالصلاة على الآل والأصحاب؛ لكونهم متوسطين بيننا وبين نبينا ﷺ؛ فإن ملاءمة الآل والأصحاب لجنابه أكثرُ من ملاءمتنا له.

والصلاة في الأصل: الدعاء، وهي من الله تعالى الرحمةُ، هكذا في كتب اللغة. وقال القشيري: هي من الله تعالى لنبيه تشريفٌ وزيادةُ تكرمة، ولسائر

---

(١) في الأصل: الكلام على التصلية، وما أثبتناه أصوب.

عباده رحمةٌ. قال في «شرح المنهاج»: إن معنى قولنا: اللهم صلِّ على محمد: عَظِّمْه في الدنيا بإعلاء ذكره، وإظهار دعوته، وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته، وتضعيف أجره ومثوبته.

وهاهنا أمر مشكل في الظاهر، هو أن الله أمرنا بأن نصلي على نبيه ﷺ، ونحن أحلنا الصلاة عليه في قولنا: اللهمَّ صلِّ على محمد، وكان حق الامتثال أن نقول: صلينا على النبي، وسلَّمنا، فما النكتة في ذلك؟

قال في «شرح المنهاج»: فيه نكتة شريفة، كأننا نقول: يا ربنا أمرتنا بالصلاة عليه، وليس في وسعنا أن نصلي صلاة تليق بجنابه؛ لأنا لا نقدر قدرَ ما أنت عالم بقدره ﷺ، فأنت تقدر أن تصلي عليه صلاة تليق بجنابه. انتهى.

وقد وردت في فضائل الصلاة عليه وآله وسلم أحاديث كثيرة.

* * *

الكلام على (أما بعد)

أما: حرف بسيط فيه معنى الشرط، مؤوّل بـ: مهما يكنْ من شيء، فكذا، ولذلك يجاب بالفاء؛ كما في «الجنا الداني» للمرادي، وفي «المغني»: أنها حرف شرط وتفصيل وتوكيد. وقال حفيد العصام عليُّ بنُ صدر الدين في «حاشيته على شرح العصام السمرقندية» في الاستعارات: ذهب أبو حيان وغير واحد إلى أنها ليست حرف شرط، بل حرف متضمن للشرط، وذهب آخرون إلى أنها حرف شرط، منهم: ابن هشام في «مغنيه». انتهى. وأفاد الدماميني في «حاشية المغني»: أنه صرح غير واحد من النحاة أنها تضمنت معنى الشرط. قال البهاء السبكي في «شرح التلخيص»: إنها من الأدوات التي يحصل بها التعليق، وليست شرطاً، وبذلك صرح شيخنا أبو حيان، ونقل عن بعض أصحابه: أنها حرف إخبار مضمن معنى الشرط. ا.هـ. **قلت:** هو قول ابن السيد. ودل على كونها حرفَ شرط، لزومُ الفاء بعدها؛ وهي لا تحذف من جوابها إلا لضرورة الشعر، أو ندور، كما في «صحيح البخاري»: «أما بعد ما بالُ رجال» إلخ. وحذفت في التنزيل في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم﴾[آل عمران: ١٠٦]، فحذف القول استغناء بالمقول، فتبعته الفاء في الحذف، ورب شيء يصح تبعاً، ولا يصح استقلالاً. وقيل غير ذلك، قيل: وإنما كان لزومها كلياً وإن كان للشرط أكثرياً، ليدل على تضمنها معنى الشرط، كما في «حاشية الشلبي على

المطول» و«حاشية لطف الله على المختصر» والحق أن لزومها أيضاً أكثري لا كلي.

وبعد: كلمة عربية فصيحة، كما قال الحلبي وغيره. وقال العلامة العدوي في «تنبيه المصباح»: بعد: ظرف مبهم، لا يتم معناه إلا بالإضافة لغيره، وهو زمان متراخ عن السابق، يقال: جاء زيد بعدَ عمرو؛ أي: متراخ زمانُه عن زمان مجيء عمرو. قلت: وفي «حاشية الشيخ علي عطية على شرح خطبة أبي شجاع» لابن قاسم: قد صار حقيقة عرفية في الزمان المتأخر، ولو بدون تراخ. انتهى. وأفاد العلامة الشيخ خالد الأزهري في «شرح التوضيح»: أنها ظرف زماني كثيراً إن أضيفت إلى زمان، نحو: صمت يوم السبت بعد يوم الجمعة، ومكاني قليلاً إن أضيف إلى مكان، نحو: دار زيد بعد دار عمرو، ويصح اعتبارهما في الواقع في صدور الكتب، فهو زماني باعتبار زمن النطق، ومكاني باعتبار مكان الرقم. انتهى.

وأما حكم الإتيان بـ (أما بعد)[1]، فقال الفاضل المحقق إسماعيل بن غنيم الجوهري في «جواهر العقد»: هو سنة؛ اقتداء برسول الله ﷺ، فإنه كان يأتي بها في خطبه وكتبه، كما ثبت في صحيح الأخبار عن الأئمة الأخيار، بل رواه الحافظ عبد القادر الرهاوي عن أربعين صحابياً. انتهى. وفي «حاشية العلامة الحفناوي على شرح ضابط الاستعارة» للسيد العارف عيدروس ما لفظه: قال بعضهم: يستحب الإتيان بـ (أما بعد) في الخطب، والمكاتبات؛ اقتداء برسول الله. انتهى. وأفاد الحلبي في «شرح رسالة القاضي زكريا» في الكلام على البسملة: أن النووي صرح باستحباب الإتيان بـ (أما بعد) في نحو الخطب؛ لأنه ﷺ وأصحابَه كانوا يأتون بها في خطبهم ومكاتباتهم. انتهى. قال العلامة

---

(١) قوله: (وأما حكم الإتيان بـ: أما بعد... إلخ) قلت: وفي «حاشية العلامة المدابغي على شرح الشيخ خالد الأزهري على الأجرومية»: وأما معناها ـ يعني: بعد ـ، فهي نقيض قبل، وتكون ظرف زمان كثيراً، ومكان قليلاً. انتهى. نور

المحقق محمد بن عثمان المرغني الحسيني في «مطالع السعد»: وهي أحد الأمور السبعة(١) التي ينبغي للمؤلف أن يذكرها في خطبة تأليفه، وأفاد في «جواهر العقد» في وجه عدم ورودها في القرآن الكريم؛ أنها لم تجىء لإشعار التعليق المستفاد من (أما) بقيام الجهل بالمتكلم، وفيه نظر. الأولى هو التعليل بالاختصار. انتهى. ويؤتى بها في الخطب ونحوها؛ للانتقال من غرض إلى غرض آخر مغايرٍ للأول، ولو بالنوع، فلا تكون إلا بين كلامين، ولو تقديراً(٢) ولا يسوغ الإتيان بها في أول الكلام، ولا في آخره، بل بين كلامين متغايرين بينهما مناسبة في الجملة، فلا يقال: أما بعد (بسم الله الرحمن الرحيم)، ولا بعد فراغ الواقعة(٣) في الكتب (أما بعد). ثم قيل: أول من تكلم بها: داود النبي ـ عليه السلام ـ، وهو المراد بفصل الخطاب عند شريح، والشعبي في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [صٓ: ٢٠]، قاله صاحب «التحقيق»، وردّ بأنه لم يثبت عنه تكلم بغير لغته. وقيل: قس بن ساعدة الإيادي أسقف نجران، وكان

---

(١) قوله: (وهي أحد الأمور السبعة. . . إلخ) قلت: الستة الباقية: أحدها: البسملة؛ اقتداء بالكتاب العزيز، وعملاً بالسنة المطهرة. ثانيها: الإتيان بالحمد كذلك. ثالثها: الإتيان بالشهادتين؛ لما روى أبو داود، والترمذي بإسناد صحيح عن أبي هريرة رفعه: «كل خطبة ليس فيها تشهد، فهي كاليد الجذماء»؛ أي: القليلة البركة، كذا في «التحفة» لابن حجر المكي، والإتيان بهما سنة، كما قيل. رابعها: الإتيان بالصلاة على رسول الله ﷺ؛ لخبر: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة علي فهو أبتر»؛ أي: ممحوق البركة، وليعلم أن التأليف إسلامي. خامسها: ذكر السبب الباعث على التأليف؛ ليعلم أنه لم يعمله عبثاً. سادسها: ذكر اسم المؤلف؛ ليتمكن من العزو إليه عند إرادته. نور

(٢) قوله: (فلا تكون إلا بين كلامين، ولو تقديراً) أقول: ولابد أن يكون الكلامان مختلفين معنى. ا.هـ.

(٣) قوله: (ولا بعد فراغ الواقعة. . . إلخ) أقول: وأما ما قبل (أما بعد) الواقعة في الكتب، فهو مغاير لما بعدها، إذ المقصود مما قبلها ثبوت الابتداء بالبسملة، والحمدلة، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ والمقصود مما بعدها الأوصاف الشريفة للمؤلف، والسبب الباعث على التأليف، والله أعلم. ا.هـ.

من علماء العرب وبلغائها، وأعقلُ من سمع به منهم، وهو أول من خطب على عصا، وكتب: من فلان إلى فلان، وأول من قال: (أما بعد)، وأول من أقر بالبعث من غير علم، وأول من قال بالبينة على من ادعى، واليمين على من أنكر، وكان يضرب به المثل في الخطابة والبلاغة، ومن أمثالهم: (أبلغُ من قُسّ). انتهى المراد من بعض شروح «المقامات الحريرية»، وقيل: أول من تكلم بها سَحْبانُ بن وائل، وهو الذي يضرب به المثل في الخطابة والفصاحة. يقال: أخطبُ من سحبان. قال حمزة الأصفهاني في أمثاله: هو رجل من باهلة، وهو الذي يقول:

لقد علمَ الحَيُّ اليَمانون أَنني إذا قلتُ: أما بعدُ أَني خطيبُها

وقيل: كعب بن لؤي أحدُ أجداد النبي ﷺ، وهو أول من جمع قومه يوم الجمعة، وكان يعظ قومه، ويذكرهم بمبعث رسول الله ﷺ. وقيل: يعرب بن قحطان بن هود ـ عليه السلام ـ، وهو أول من نطق بالعربية، وتكلم بها. وقيل: هو أول من ألهم العربية المحضة، فأبلغ، وأوجز، واختصر، وأشار إلى المعنى، ومن اسمه اشتقت العربية. وقال بعضهم: أول من تكلم بها يعقوب حين جاءه مَلَك الموت، قال: (أما بعد)، فإنا ـ أهلَ البيت[1] ـ موكَّل بنا البلاء. انتهى. وأما آدم عليه السلام، فقال في «شرح جواهر العقد»: لم يقل به أحد فيما علمت، وإنما ذكرته على وجه الاحتمال، وجملة الأقوال فيها سبعة، وقد جمعتها في قولي:

فهاكَ خلافاً في الذي قَدْ تقدَّما بنطقٍ بـ: أَمَّا بعدُ فاحفظْ لتفهما

---

(١) قوله: (أما بعد: فإنا ـ أهل البيت ـ. . . إلخ). ورد ذلك في خبر ضعيف، ففي «السعادات المكية»: أن هذا القول أورده الدارقطني في غرائب مالك بسند ضعيف، وقال: لهذا يدل على أن أول من تكلم بها يعقوب، لا داود ـ عليهما السلام ـ، وقد حمل على أن الأولية فيه نسبية. انتهى.

فــداود يعقــوب فــآدم أقــرب[1]   فقـــس سحبـــان فكعـــب فيعـــرب

والكلام على هذه اللفظة ـ أعني: (أما بعد) ـ يطول جداً، ولا يسعه المقام، فإن شئت الزيادة، فارجع إلى «رسالة العلامة المرغني»، فإنها اشتملت على سبعة وعشرين مبحثاً تتعلق بهذه الكلمة بناءً وإعراباً، وبياناً وبديعاً وأحوالاً، وغير ذلك، وهي نفيسة جداً. هذا وأقول: اللهم اجمعْ لنا بين خيرَي الدنيا والآخرة، واغفرْ لنا، فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة، فإنه لا مرجُوَّ سواك، ولا مَدْعُوَّ إلا إياك.

لـو لـم تـردْ نيـلَ مـا أرجـو وأطلبُـه   من فضلِ جودِكَ ما ألهمتَني الطَّلبا

وصلى الله تعالى على من به يبدأ الذكر الجميل ويُختم، وعلى آله وأصحابه وسلم.

* * *

---

(١) قوله: (فأدم أقرب) حاصله: أنه لما كان آدم ـ عليه السلام ـ علم الأسماء كلها، ومنها ما ذكر، فلزم أنه تكلم بها، ولا يقال: لا يلزم من تعليمه نطقه، لأنه أبو البشر، وقد ثبت نطقه بجميع ما علمه من الأسماء، فالحق أن أول من نطق بها على الإطلاق آدم ـ عليه السلام ـ، والأولية بالنسبة إلى غيره إضافية. ا.هـ.

الخطبة الأولى من شهر الله المحرم[١]

الحمد لله الذي جعل في اختلاف الليل والنهار آياتٍ لأولي الألباب، وجعل الشمس ضياءً والقمر نوراً، وقدَّره منازلَ لتعلموا عدد السنين والحساب.

نحمدُه على نعمه التي أَرْبَت على ذَرات التراب، وقطرات السحاب، ونشهد أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، شهادةً واقيةً من سوء العذاب، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي اصطفاه وأنزل عليه الكتاب، صلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ما جن ظلام[٢] وطلع شهاب[٣].

أما بعد: أيها الناس! فأوصيكم ونفسي بتقوى الله وصيةً لي ولكم جامعة، وموعظة لأولي الألباب موقظة نافعة، وأحثكم[٤] على اغتنامها؛ فإن الأوقات سيوف قاطعة، والمنايا سهام في كل آونة واقعة، والنفوس رمايا[٥] السهام،

---

(١) إعلام: هذا الكتاب فيه خمس خطب لكل شهر، ودائرة الخطب التي تقرأ في آخر كل خطبة بعد الخطبة الأولى إلى الخامسة هي في آخر جملة الخطب للعام، فعلى الخطيب أن يقرأها بعد الخطبة الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة، ولا يغلط ولا يسهو، ولا يظن أنه ليس لهذه الخطب دائرتها. ا.هـ.

(٢) قوله: (ما جن ظلام) الظلام: أول الليل كما في «المصباح»، و«الصحاح»، وذهاب النور على ما في «القاموس». ا.هـ. نور

(٣) قوله: (شهاب) ككتاب: شعلة من نار ساطعة، والمراد به هاهنا: النجم. ا.هـ. نور

(٤) قوله: (وأحثكم) من باب قتل. ا.هـ.

(٥) قوله: (رمايا) جمع رمية، وهي ما يرمى من الحيوان، ذكراً كان أو أنثى؛ كعطية =

وأعراض أغراض الليالي والأيام، والدنيا سحابة صيف تقلَّع[١]، وما منحت ريا وسراب بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.

فاستيقظوا ـ رحمكم الله ـ بقوارع العبر، وتدبروا مواعظ الكتاب؛ فإنهن صوادق الخبر، وتفكروا في حوادث الأيام؛ فإن فيها المزدجر، وتأملوا دور الزمان عصراً فعصراً، أيام تتلو أياماً، وشهر يتلو شهراً، وسنة تجيء قادمة وتذهب أخرى، وأوقات تُطوى فتخرب عمراناً وتعمر قفراً، وتعير مرة وتسلب[٢] أخرى، مواعظ تنادي العاقل بلسان الحقيقة جهراً، فاحذروا زخارف هذه الدنيا المُضِلَّة، واعلموا أن من تَكَثَّر منها لم يزددْ من الله إلا قِلَّة، فتزوَّدوا منها التقوى؛ فإنها خير زاد، وخذوا أُهبة[٣] التحول، وانتبهوا من سِنَة الرقاد[٤] قبل أن تُناخ لكم ركاب التحويل[٥]، وينادى بكم: الرحيلَ إلى الآخرة الرحيل، ألا وإنكم في أول شهور العام، وغرّة الشهر المبارك الحرام، شهر كان نبينا ﷺ يحب فيه الصيام، ويحيي لياليه بالقيام.

فرحم الله امرأً أحيا فيه سُنَّةً مأثورةً، وصحبه بالأعمال الصالحة المبرورة، فراقب مَنْ هو عليه رقيب شهيد، وحاسب نفسَه قبل ملاقاة الحساب الشديد، فلمثل هذا فليعمل العاملون، ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

جعلني الله وإياكم ممن قام بحق الواجبات والسنن، واجتنبَ الفواحش

= وعطايا. ا. هـ. «مصباح».

(١) قوله: (تقلع) بحذف إحدى التاءين. ا. هـ.

(٢) قوله: (وتسلب) من باب قتل. ا. هـ. نور

(٣) قوله: (أهبة) ـ بالضم ـ العدة. ا. هـ.

(٤) قوله: (من سنة الرقاد). قال في «القاموس»: الرقد: النوم؛ كالرقاد، والرقود ـ بضمهما ـ، أو الرقاد خاص بالليل. ا. هـ.

(٥) قوله: (ركاب التحويل) الركاب؛ ككتاب: الإبل، واحدتها راحلة. ا. هـ.

ما ظهر منها وما بطن. إن أبلغ الكلام الحكيم، وأجمعه لبيان التحليل والتحريم كلامُ ربنا السميع العليم، وهو يقول، وقوله الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٣٦].

بارِكَ الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفرَ الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

الخطبة الثانية لشهر الله المحرم

الحمد لله الذي جعل مكارم الأخلاق من أعمال الجنان، وجعل حسنَ الخلق أفضل شيء يوضع في الميزان. نحمده على نعمه؛ فإنه تعالى يحب أن يُحمد بكل لسان، ونشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له الملكُ المنان، شهادةً من شهد بها، فهي له نجاة وأمان، وكلمة لا يسبقها عملٌ ولا تترك ذنباً على الإنسان، ونشهد أن محمداً عبدُه ورسوله، المبعوثُ بالحنيفية السمحة إلى الأحمر والأسود من أنس وجان، الذي أُعطي فواتحَ الكَلِم وجوامعَه، واختار الله له خيرَ الكلام القرآن، أوَّل الناس خروجاً إذا بُعثوا، وخطيبُهم إذا وفدوا إلى الملك الديان. اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الذين هم لأهل الأرض أمان.

أما بعد: فيا أيها الناس! اتقوا الله؛ فإن من اتقى الله وقاه، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاه، ومن تاب تاب الله عليه وهداه، ومن رضي عن الله رضي الله عنه وأرضاه، ومن ذكر الله ذكره الله فيمن عنده، ومن نصر الله نصره الله وأعزَّ جنده، ومن أذل نفسه في طاعة الله جعل الله العزَّ شعارَه، ومن أقال نادماً عثرتَه[1] أقال الله عِثاره، ومن أنظر معسراً إلى ميسرة أنظره الله بذنبه، ومن فرج عن مؤمن

---

(١) قوله: (عثرته) العثرة: المرة، ويقال للزلة: عثرة؛ لأنها سقوط في الإثم ا.هـ. «مصباح».

كربة فرج الله عظيم كربه، ومن رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار، ومن أكرم قِبْلَةَ الله أكرمه الله في دار القرار.

واعتصموا بكتاب الله، واهتدوا بهدي نبيه وشمائله الحسان، فقد كان كثيرَ الصمت، دائمَ الفكر، متواصلَ الأحزان، وكان لا يجزي على السيئة بمثلها، ولكن بالتصفح والغفران، وكان رحيماً بالمؤمنين، شديداً على أهل البغي والعدوان. وكان أحبُّ العمل إليه ما دام عليه صاحبُه في كل أوان، وكان إذا توضأ أو اغتسل بدأ من جسده الشريف بالأيمان. وكان لا يلهيه عن الصلاة شيء، ولا يشغَلُه[1] عنها شان، وكان يحث على الطاعة، وينهى عن تلقي الركبان، وكان ينهى عن الغيبة والنميمة والكذب والبهتان. وكان يقول: «من ترك الجمعة[2] ثلاثاً، طبع الله على قلبه، وجعل قلبه قلب منافق خوان»، وورد أنه قال: «من تركها من غير عذر، فلا جمعَ الله شمله، ولا بورك له في أمره، ألا ولا صلاةَ له، ألا ولا حجَّ له، أو ولا بِرَّ له، ألا ولا صدقة له»، وورد أنه قال: «ما من ثلاثةٍ في قرية ولا بَدْو لا تقام فيهم الجماعة، إلا استحوذ عليهم الشيطان[3]». جعلني الله وإياكم ممن اهتدى بهدي هذا النبي الكريم، والرسول الذي هو بالمؤمنين رؤوف رحيم. ألا وإن أحسنَ الكلام كلامُ الملك العلام،

---

(١) قوله: (ولا يشغله) شغله الأمر: من باب نفع. ا.هـ. «مصباح».

(٢) قوله: (من ترك الجمعة) رواية أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي: «من ترك ثلاثَ جمع تهاوناً بها، طبع الله على قلبه»، ذكره في «المشكاة»، ولفظ الطبراني: «من ترك ثلاث جمعات من غير عذر، كتب من المنافقين»، وفيه جابر الجعفي، وهو ضعيف عند الأكثرين. ذكره في «مجمع الزوائد» ولفظ أبي يعلى عن ابن عباس قال: «من ترك الجمعة ثلاث جمع متواليات، فقد نبذ الإسلام وراء ظهره»، ورجاله رجال الصحيح كما في «مجمع الزوائد». ا.هـ.

(٣) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم، لكن بلفظ: «لا تقام فيهم الصلاة» بدل «الجماعة»، وقد جاء بلفظ: «لا تقام فيهم الجماعة» أيضاً كما في «التلخيص»، وفي «الجامع الصغير»، وغيرهما. ا.هـ.

والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢].

باركَ الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم. فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

الخطبة الثالثة من شهر الله المحرم

الحمد لله الذي لم يزل بالنعم منعِماً، وبالمعروف معروفاً، وبالإحسان محسِناً، وبالكرم موصوفاً، كلَّ يوم هو في شأن، يكشف كرباً، ويغفر ذنباً، ويُغيث ملهوفاً، ويَجْبُرُ[1] كسيراً، ويُجير خائفاً، ويرسل بالآيات تخويفاً، نحمدُه ونستغفره، ونسأله السلامةَ من حمل العصيان، وإن كان الحمل[2] خفيفاً.

ونشهد أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةً خالصة للذي فطر السموات والأرض حنيفاً، ونشهد أن سيدَنا محمداً عبدُه ورسوله، خلقه الله سيداً كريماً صادقاً، أميناً شريفاً عفيفاً. اللهمَّ فصلِّ وسلمِّ على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه صلاةً وسلاماً تزيدهم بهما تفضيلاً وتشريفاً.

أما بعد: أيها الناس! فأوصيكم ونفسي بتقوى الله العزيز الحميد، فاتقوه حق تقاته، واحذروا بطشه الشديد، واعلموا أنه معكم حيثما كنتم، فلازموا أدبَ العبيد، وتدبروا كتابه القرآن المجيد، وما أودعه من الزواجر والوعد والوعيد ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، وانظروا في مخلوقات ربكم بعين الاعتبار، وتفكروا في أسمائه وصفاته يا أولي الأفكار،

---

(١) جبرت العظم جبراً، من باب قتل: أصلحته.

(٢) حملت المتاع حملاً؛ من باب ضرب، والحِمْل ـ بالكسر ـ: ما يحمل على الظهور ونحوه. ا.هـ. «المصباح المنير»

فهو العظيم الذي خضعت[1] لعظمته[2] الرقاب، والحكيمُ الذي حارَ في حكمته أولو الألباب، والرحيمُ الذي يرحم من عباده الرحماء، والكريمُ الذي يستمد من إفضاله الكرماء، تقدست أسماؤه وصفاته عن الأشباه، وجَلَّت محامدُه، وتَمَّت كلماتُه التي لا يحيط بها سواه، وتذكروا بِرَّه[3] كيف بدأكم بالنعم قبلَ الاستحقاق، ومنحكم ما لا يحصى من أنواع الأرزاق.

وكم كشف ضُراً، وسترَ عاصياً، وقد بارزه بأنواع الفساد ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]، فاستعدوا للقاء هذا الرب الجليل، وأعدوا للقدوم عليه من صالح العمل كلَّ جميل، وفكروا في أنفسكم، وما اشتملت عليه من العيوب، وحاسبوها على ما اكتسبته من الذنوب، فأيُّ نفسٍ منكم لم تحمل ظلماً؟ وأيُّ جارحةٍ من جوارحكم لم تقترف إثماً؟ وأيُّ عملٍ من أعمالكم يليق بذلك المقام؟ وأيُّ وقت من أوقاتكم تَمَحَّضَ للطاعة وخلا عن الآثام؟ لقد جنيتم على أنفسكم بالذنوب جناية عظمى، وهضمتم[4] بالمعاصي قدرَها عند الله هضماً، فَلَيِّنوا قلوَبكم بذكر الموت عساها أن تَلين، وعظوها بذكر القبر وفتنته؛ فإنهما لَحَقُّ اليقين، وذكِّروها يومَ يقوم الناس لرب العالمين ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ: ٤٠]، ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].

---

(١) أي: ذلت واستكانت، والخضوع قريب من الخشوع، إلا أن الخشوع أكثر ما يستعمل في الصوت، والخضوع في الأعناق، كذا في «المصباح».

(٢) العظمة ـ محركة ـ، وكرمانة، والعظموت؛ كجبروت: الكبر، والنخوة، والزهو، وأما عظمة الله تعالى، فلا توصف بهذا، ومتى وصف عبد بالعظمة، فهو ذم.

(٣) ـ بالكسر ـ: الصلة والجنة والخير، والاتساع في الإحسان، والحج، و ـ بالفتح ـ: من الأسماء الحسنى. «القاموس».

(٤) هضمه هضماً؛ من باب ضرب: دفعه عن موضعه، فانهضم. وقيل: هضمه: كسره، وهضمه حقه: نقصه. «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير»

جعلني الله وإياكم من الفائزين بثوابه، الآمنين من غضبه وعقابه، ألا وإن أفضل الكلام كلامُ الملك الديان، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٥، ٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم. فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

الخطبة الرابعة من شهر الله المحرم

الحمدُ لله الذي تفرَّدَ بكل كمال، وتفضَّل على عباده بجزيل النوال، بيده الخيرُ كلُّه، فله الحمد على كل حالٍ، وفي كل حال.

نحمدُه على ما منح من النعماء، ونشكره في البُكَر والآصال، ونشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، إلهٌ تقدس عن الأشباه والأمثال، وجلَّ عن صفات المُحْدَثين من الفناء والزوال، والتحوُّل والانتقال، جوادٌ لا يبخل، وغني لا يفتقر، وكريم يبتدىء بالإحسان قبل السؤال.

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المنعوتُ بالخُلُق العظيم، وشرفِ الخلال، اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه خيرِ صحبٍ وآل.

أما بعد: يا أيها الناس ما للعيون إلى زهرة الدنيا الدنية قد مدت؟ وما للنفوس في طلب العاجلة قد جَدَّت؟ وما للآذان عن سماع المواعظ قد سُدَّت؟ وما للقلوب لكثرة المعاصي قد أظلمت واسودت؟ إن في كتاب الله لأعظمَ زاجر، وإن في مواعظ الأيام والليالي لعبرةً لذوي البصائر، ركائب أمواتٍ تُزْعَج عن مقصورات القصور، ثم تُحمل إلى مضائق القبور، فكم قد شاهدتم من جثث أعيانٍ[1] في بقاع القاع قد صُفَّت! وكم عاينتم من نواعمِ أبدانٍ في مدارج

(١) قوله: أعيان؛ أي: الأكابر من الناس.

الأكفان قد لُفَّت! وكم أبصرتم من عرائس أجسادٍ إلى الألحاد قد زُفَّت، فيا لها غاية يستبق إليها العباد! ومضماراً يتناوبه منهم جوادٌ بعد جواد! ويا له من هولٍ شديدٍ بعده أهوال شداد! فتنة قبورٍ، ونفخ في الصور، وبعثرة القبور، وحشرٌ إلى موقفٍ جُثيٍ[(١)] على الركب، وموقف السلامة والعطب[(٢)]، وموقف قطيعة الأنساب، وضيعة الأحساب، وخضوع الرقاب، وانسكاب العبرات، وتصاعد الزفرات. ذلك موقف يُنشر فيه الديوان، ويُنصب فيه الميزان، ويُمد الصراط على النيران. وحينئذٍ يقع الامتياز، فبين ناجٍ قد فاز، وهالكٍ قد انقطع به المجاز ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]. فاستعدوا ـ رحمكم الله ـ وإياي لهذه الأهوال، ولا تغرنكم كواذب الآمال؛ فإن ما توعدون لآت، وليس بين العبد وبين القيامة إلا الممات، فأكثروا ـ رحمكم الله ـ ذكرَ هاذِمِ اللذات، واستعدوا للآخرة قبل الممات. فعنه[(٣)]: «كفى بالموت واعظاً»[(٤)]، و«كفى بالموت مزهِّداً[(٥)] في الدنيا، ومرغِّباً في الآخرة». جعلني الله وإياكم ممن قضى في الطاعة الأوقات، وغفر لي ولكم ما فرط[(٦)] من السيئات.

إن أنفع الكلام كلامُ الملك العلام. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى

---

(١) جثا: كدعا ورمى جثواً وجثياً ـ بضمهما ـ: جلس على ركبتيه: أو قام على أطراف أصابعه.

(٢) عطب عطباً، من باب تعب: هلك. «المصباح المنير».

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد. «الجامع الصغير».

(٤) عن أبي أمامة: «كفى بالموت واعظاً، وكفى باليقين غنى» رواه الطبراني. «الجامع الصغير».

(٥) زهد في الشيء، وزهد عنه زهداً أو زهادة بمعنى: تركه، وأعرض عنه، فهو زاهد، ويتعدى بالتضعيف، فيقال: زهدته فيه وهو يتزهد. «المصباح».

(٦) من باب قتل بمعنى: سبق. «المصباح».

ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١، ٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم. أقول قولي، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه الغفور الرحيم. فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

الخطبة الخامسة من شهر الله المحرم

الحمدُ لله الذي افتتح بحمدِه الكتاب، والحمدُ لله الذي يُنال بحمده الثواب، نحمدُه على ما منح فهو المنعِم الوهاب، ونستغفره ونتوب إليه؛ فإنه ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ [غافر: ٣].

ونشهد أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، عليه توكلت، وإليه متاب، شهادةً شهد اللهُ بها لنفسه في محكَم الكتاب، شهادة أرغمَ بها أنفسَ كلِّ جاحدٍ مرتاب.

ونشهد أن محمداً عبدُه ورسوله، [جاء] بالحق، وفصل الخطاب، نبيٌّ شُقَّ له القمر، ورُدَّت له الشمس، وقد كادت تتوارى بالحجاب، اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وأصحابه ما أَفَلَ شهاب، وطلع شهاب.

أما بعد: فيا أيها الناس! اتقوا الله حق تقاته كما أمركم في محكم الكتاب، وأكثروا ذكره؛ فإن ذكره يعدل عتقَ الرقاب، واحذروه كما حذركم نفسه، فإنه شديد البطش سريع الحساب، وتأدّبوا بآداب نبيكم؛ فإنها أكمل الآداب، وتخلقوا بمحاسن أخلاقه، فأحسنُكم أخلاقاً أقربُكم من ربِّ الأرباب، وراقبوا الله فهو المطلع على ما ظهر، وما أُرخيت عليه الستور، وأُرصدت دونه الأبواب. واحذروا الدنيا؛ فإنها كظلٍ زائلٍ، أو طودٍ مائلٍ، وكلمح سراب. وبادروا بالأعمال الصالحة؛ فإن الأوقات تمر بكم مرّ السحاب. ابن آدم! واللهِ إنَّ

أمرَك لشيءٌ عجاب، وحالك إذا حققت كثيرُ الخطأ قليل الصواب، تقارف المعصية، وتؤخِّر المتاب، وتسوِّف بالعمل تنتظر المشيب، وقد أضعتَ الشباب، وتفرح بمضيِّ الأيام، وذهابُهنَّ لك ذَهاب، وتعمِّرُ الدنيا، وإنما خُلقت للخراب، وتنسى الموت، وقد أزعج عنك كثيراً من الأحباب، وتذكر فلا تتذكر، وإنما يتذكر أولو الألباب، فوا أسفاً لقلوبٍ ضُرب عليها من الغفلة بباب، ونفوسٍ مشغولةٍ بلذات الطعام والشراب، وعقولٍ ذاهلةٍ عن المعاد وأهواله الصعاب، لاهيةٍ عن أمرٍ لا شكَّ في لقائه ولا ارتياب، وخطبٍ لا يُدفع بالعشائر ولا يُمنع بالحجاب، وقبرٍ مظلم وِساده اللَّبِنُ، وفراشُه التراب، وموقفٍ تشخص فيه الأبصار وتخضع الرقاب، وعرضٍ عظيمٍ تظهر فيه الخطايا وينكشف الحجاب، وجزاء لا محالة على الحسنات بالثواب، وعلى المعاصي بالعفو والعقاب! جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين، وجنبنا وإياكم مواردَ الظالمين، إن أنفع ما عولج به داءُ الشك والارتياب، كلامُ ربنا الذي أنزل على عبده الكتاب، والله يقول، وقوله الحق المبين: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٦ـ٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين؛ إنه هو الغفور الرحيم. فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

الخطبة الأولى من شهر صفر الخير

الحمد لله الذي تعاظمَ ملكوتُه فاقتدَر، وتعالى جبروته فقهر، الذي أعز مَنْ شاء ونصر، ورفع أقواماً بحكمته، وخفض أقواماً أُخَر، نحمدُه على نعمه التي تربو على ذرات الرمل، وقطرات المطر، ونشهدَ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، العليمُ بما بَطَنَ وما ظهر، ونشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه ومجتباه من البشر، نبيٌّ شُقَّ عن صدره وشُقَّ له القمر، نبي ظللته الغمام[1]، وأجابت لدعوته الشجر، نبي أيده الله بمعجزات الآيات والسور، اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه القادات الخِيَر.

أما بعد: فيا أيها الناس! اتقوا الله في الورود والصَّدَر، وراقبوه فيما بطنَ من الأمور وظهر، واعبدوه حقَّ عبادته في الآصال والبُكَر، واذكروه على كل حال، فإنه يذكر مَنْ له ذكر، واشكروا نعمه، فقد تكفل بالمزيد لمن له شكر، وخافوا مقامه، واحذروا بطشه كلَّ الحذر، وارجوا بِرَّه، فهو أرحمُ بكم من كل رحيم وأَبَرّ، واستغفروه لذنوبكم؛ فإن كل صغيرٍ وكبيرٍ مُسْتَطَر، واستقيلوه عثراتِكم؛ فإنه يُقيل بفضله مَنْ عثر، وارغبوا فيما أعدّ للطائعين من جناتٍ ونَهَر، فيها ما لا

---

(١) قوله: (ظللته الغمام) تظليل الغمام عليه ﷺ كان قبل النبوة من باب الإرهاص؛ أي: مقدمة للنبوة. وأما إجابة الشجر له، فقد روى قصة ذلك مسلم، وابن ماجه من حديث ابن مسعود، فليراجع. ا.هـ.

عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وارهبوا ما رهبكم من النار التي لا تُبقي ولا تذر، وازهدوا في الدنيا التي نفعُها مشوب بالضرر، وفرحُها مقرون بالترح[(١)]، وصفوُها ممزوجٌ بالكَدَر، وانظروا لأنفسكم فيها حقَّ النظر، واتعظوا بمواعظ الحوادث والغِيَر[(٢)]، وتأملوا ما فيها من الآيات والعبر، فقد شاهدتم من آياتها ما فيه مُزْدَجَر، وقد عاينتم وقائعَها بأهلها وليس العِيانُ كالخبر، كم حضرتم فيها عند مُحْتَضَر[(٣)]، وكم شَيَّعتم من الراحلين عن قصورها إلى بطون الحُفَر، ونقلتموه من الفُرُش الوثيرة[(٤)] إلى خشونة المَدَر، فتأهبوا لمثل ما حل بهم، فإنكم على الأثر، وتزودوا زاد التقى؛ فأنتم على سفر، وبادروا بالأعمال الصالحة فالأعمارُ في قِصَر، وما أمرُ الساعة إلا كلمح البصر، وتذكروا مرارة الموت، والساعةُ أدهى وأَمَرّ، وجاهدوا أنفسكم بسلاح التقوى، فإنه قرينُ الظفر، وجاهدوا أعداءكم من الشياطين والأهواء بصدق اللجأ إلى رب البشر، وأطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم فيما بطن وظهر، وشمروا لإعلاء كلمة الله فيما نهى وأمر ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، وكفى به لمن اعتبر، جعلني الله وإياكم ممن [أ]خلص له فيما أعلن وأسر، ووفقنا لما يحبه من العمل، فإنه خالق القوى والقدر، إن أرفع الكلام الذي يدهش[(٥)] الألباب والفكر، كلامُ ربنا الذي أنزل على نبيه محكَمَ السور، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨] أعوذ

---

(١) الفرح ـ محركة ـ: السرور، والترح ـ محركة ـ: الهم، نقيض الفرح. ق

(٢) غِيَر الدهر؛ كعنب: أحداثه وأحواله المغيرة، وورد في حديث الاستسقاء: «ومن يكفر الله يلقى الغير»، كذا في «التاج».

(٣) المحتضر ـ بالفتح ـ: من حضره الموت. «مصباح».

(٤) الوثيرة: اللينة.

(٥) دَهِش دَهَشاً، فهو دَهِش؛ من باب تعب: ذهب عقله حياء أو خوفاً، ويتعدى بالهمزة، فيقال: أدهشه غيره، وهذه هي اللغة الفصحى، وفي لغة يتعدى بالحركة فيقال: دهشه خطب؛ من باب نفع، فهو مدهوش، ومنهم من منع الثلاثي. «المصباح المنير».

بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

الخطبة الثانية من شهر صفر الخير

الحمد لله رب العالمين الذي أعاد وأبدى، نحمده على ما منح من الإنعام وأسدى، ونستهديه، فإنه لا يضل من هداه، ومن أضله فلن يُهدى، ونستغفره لذنوبنا التي لا تُحصى عَدّا.

ونشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له إلهاً واحداً أَحَداً فرداً، شهادةً ترغم بها أنف من كفر عناداً وجحداً، شهادةً ندخرها للمعاد ونتخذ بها عنده عهداً.

ونشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسوله أَكْرِمْ به رسولاً وعبداً، نبي أمده الله بإمداداته الربانية مدّا، نبي أنطق الله بنبوّته ضباً وظبياً وحجراً صَلْداً، صَلِّ اللهمَّ وسلِّم على سيدنا محمد، وعلى آله الذين أكسبهم شرفاً ومجداً، وعلى أصحابه الذين جعلهم أمثلَ طريقةً وأقوم سبيلاً وأهدى.

أما بعد: فيا بنَ آدم! هذا أوانُ جِدّك[1] إن كنت مُجِدّاً، وهذا زمان استعدادك إن كنت مستعِداً، فتأهبْ لنفسك؛ فإنك لا تستطيعُ للموت ردّا، وبادر بصالح عملك، فإن الساعاتِ تقدُّ[2] الأعمارَ قدّا، وأعدَّ الزاد، فإن السفر طويل إن كنت

---

(١) قوله: (جدك) الجد ـ بالكسر ـ: الاجتهاد في الأمر، وقد جد في الأمر يجد ـ بالكسر ـ، ويجد ـ بالضم ـ جداً، وأجد يُجد: اجتهد وحقق، ومنه يقال: جاد مجد؛ أي: مجتهد. ا.هـ. «القاموس».

(٢) قوله: (تقد) قددته قداً: من باب قتل: شققته طولاً. وتزاد فيه الباء، فيقال قددته بنصفين فانقدَّ. ا.هـ.

معدّا، يا لاهياً والحِمُام إليه يسعى مجداً، يا مشغوفاً بالدنيا التي لا يجد من فراقها بُدّا، يا راكناً إليها وقد أهلكت قبله أباً وجدّاً، يا مهملاً للتزود وركائبُ الرحيل به تُحدى، يا من حُدَّت له الحدودُ فلم يختر حدّا، يا من يضيع عمره وأنفاسُه تُعدُّ عليه عدّا، يا منهمكاً في جمع المال، وهو يموت فرداً فيبعث فرداً، يا من جَعلت الذنوب بين قلبه وبين الموعظة سدًّا، يا قاسي القلب فما نفعه وعظُ الواعظ ولا أجدى، يا من يبادر مولاه الذي يعلم ما أسرَّ وما أبدى، يا كَسِلاً عن الطاعات ولم يألُ في المعاصي جهداً، يا ناظماً خرزات الأمل في سلك المنى عقداً، يا متعِباً في جمع المال بدنَه كدحاً[(١)] وكَدًّا. من لك إذا سافرت سفراً بعيداً، واستبدلت عن القصور لحدا؟ وافترشت بعد لين فراشك ترباً[(٢)] خشناً وحجراً صلداً؟ وكيف بك إذا سألك المَلَكان فلم تستطع جواباً وردّا؟ وما حيلتك إذا بعثت من قبرك إلى ربك فردا؟ ومن لك إذا طال المقامُ وامتد يوم القيامة مدا؟ أم من لك إذا دعيت للعرض عليه يا من لحدوده طالما تعدّى؟!

جعلني الله وإياكم من الآمنين، وأدخلنا بفضله في عباده الصالحين، إن أشرف الكلام كلامُ الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾ [مريم: ٧٦].

---

(١) قوله: (كدحاً) قال أبو إسحق: الكدح في اللغة: السعي والحرص والدؤوب في العمل في باب الدنيا والآخرة. قال ابن مقبل:

وما الدهرُ إلا تارتان فمنهما ... أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح

أي: تارة أسعى في طلب العيش وأدأب ا.هـ. «تاج العروس».

(٢) قوله: (ترباً) الترب والتراب والتربة ـ بالضم في الثلاثة ـ ا.هـ. «تاج العروس».

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم. فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

الخطبة الثالثة من شهر صفر الخير

الحمد لله على ما منح من إفضاله الكامل الوافر، الخالقِ الرازقِ الأولِ الآخر. نحمده بجميع محامده على إفضاله البسيط المتواتر، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المبدع الناظر. ونشهد أن محمداً عبدُه ورسوله المنتقى من أشرف العناصر، اللهم صَلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ، وعلى آله قرناء الكتاب إلى اليوم الآخر، وعلى أصحابه نجوم الاهتداء للمنهج الظاهر.

أما بعد: فأوصيكم عبادَ الله ونفسي بتقوى الله في الموارد والمصادر، وأحضكم على الطاعة، فإنها خير ما أُعد لليوم الآخر، وأحذركم الدنيا فإنها عَرَض حاضر، يأكل منها البر والفاجر، وإنما أيامها ولياليها مراحل إلى المقابر، وأحثكم على مراقبة مولاكم فإنه علام السرائر، وأنهاكم عن مخالفته باقتراف الجرائر، وملابسة كبائر الذنوب والصغائر.

فاستحيوا من الله الذي تَحَبَّبَ إليكم بإنعامه المتكاثر، وتعرّف إليكم بما رادفه من إفضاله الوافر، فإن نعمه تعالى قد عمت الباطن والظاهر، وإن نعمه قد شملت البادي والحاضر، ولا يحصر أقلّها حاصر، كيف وهي مع صعدات الأنفاس، وهجس[1] الخواطر، ومع حركات الألسن ولمحات النواظر،

---

(١) قوله: (وهجس). هجس الأمر بالقلب هجساً؛ من باب قتل: وقع وخطر، فهو هاجس. ا.هـ. «المصباح المنير».

وما بكم من نعمةٍ فمن الله فهل من حامدٍ شاكر؟ وهل من خائفٍ لله وذاكر؟ وهل من معظِّمٍ لنواهي الله والأوامر؟ وهل من معتبرٍ بالمواعظ والزواجر؟ وهل من ناظرٍ في آيات الله البواهر؟ وهل من متعظٍ بكتاب الله فإنه أعظم زاجر؟ إن في ذلك لذكرى لمن كان يرجو الله واليوم الآخر. وهل من صابرٍ على الطاعات فطوبى للصابر؟ وهل من مستعدٍ للقائه يوم تُبلى السرائر، يومَ ذُبول الشفاه وظمأ الهواجر، يوم الآزفة إذا القلوب لدى الحناجر، يوم لا تنفع الأموال ولا الذخائر. جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين، وجنبنا موارد الظالمين.

إن أحسن الكلام كلامُ الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[العصر: ١، ٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من العذاب الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم. فاستغفروه.

❋ ❋ ❋

الخطبة الرابعة من شهر صفر الخير

الحمدُ لله الذي يسبح بحمده مَنْ في الأرض والسموات، والحمد لله بكل حمدٍ حَمِدَ به نفسه، أو عَلَّمَه أحداً من المخلوقات، نحمده على ما منح من نعمه السابغات.

ونشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً ترفع قائلها أعلى الدرجات. ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤيَّد بالمعجزات، اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه الأئمة الثقات.

أما بعد: فيا أيها الناس! إن ما توعدون من الآخرة لآت، وإنكم في دارٍ هي محل العبر والآفات، وأنتم على سفرٍ، والطريق كثيرة المخافات، فتزوّدوا من دنياكم قبل الممات، وتداركوا هفواتكم قبل الفوات، وحاسبوا أنفسكم وراقبوا الله في الخلوات، وتفكروا فيما أراكم من الآيات، وبادروا بالأعمال الصالحات، واستكثروا في أعماركم القصيرة من الحسنات، قبلَ أن ينادي بكم منادي الشتات، قبل أن يفجأكم[1] هاذم[2] اللذات، قبل أن يتصاعد منكم الأنين والزفرات، قبل أن تنقطع قلوبكم عند فراق الدنيا حسرات، قبل أن يغشاكم من غم الموت الغمرات، قبل أن تزعجوا من القصور إلى بطون الفلوات، قبل أن

(١) قوله: (يفجأكم) فجأه؛ كسمعه ومنعه فجئاً وفُجاءة: هجم عليه. ا.هـ.

(٢) قوله: (هاذم). هذم يهذم: قطع، وأكل بسرعة. ا.هـ. «القاموس».

يُحال بينكم وبين ما تشتهون من هذه الحياة، قبل أن تتمنوا رجوعكم إلى الدنيا لتعملوا وهيهات.

فاتقوا الله حق تقاته، فإن فيها النجاة قبل الممات، وتعرضوا لنفحات ربكم، فإن له تعالى في أيام دهركم نفحات، وتوبوا إليه فإنه يقبل التوبة، ويعفو عن السيئات. فرحم الله أقواماً بادروا الأوقات، وتداركوا الهفوات، عيونهم مشغولة بالدمع، وألسنتهم مسجونة بالصمت عن فضول الكلمات، وأكفُّهم مكفوفة بالخوف عن تناول الشهوات، وأقدامُهم مقيَّدَة بقيود المحاسبات، فتيقظوا ـ رحمكم الله ـ للحاقهم من سِنَة الغفلات، واعملوا مثل أعمالهم تنالوا الدرجات.

فيا من لم يتصف بهذه الصفات، كيف ترجو لحاقهم وأنت كثير المخالفات؟ أما قرع سمعَك قولُ الله في محكم الآيات: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ [الجاثية: ٢١]؟ جعلني الله وإياكم ممن بادر الأوقات، وسارع إلى الخيرات، إن أكمل المواعظ نفعاً، وأعظمَها في القلوب وقعاً، كلامُ من شَقَّ لكلٍّ منا بصراً وسمعاً، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم. فاستغفروه.

* * *

الخطبة الخامسة من شهر صفر الخير

الحمدُ لله المرتفع عن إدراك الأبصار الناظرة، المنزَّه عن التخيلات والأوهام الخاطرة، العالم تحتَ أمواج البحار الزاخرة، كعلمه بحركات خلقه الظاهرة، الذي جعل الموت أول منازل الآخرة، فأقام به القوي والضعيف تحت قدرته القاهرة. أحمده على نعمه وآلائه المتواترة، وآياته الباهرة المتظاهرة، حمداً أدفع به حلول كل فاقرةٍ، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، شهادة صادرة عن طوية غير مرتابة ولا فاترة. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بالآيات الباهرة، والمفضل بالمقامات الفاخرة، الذي ألف بين القلوب المتنافرة. اللهم فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمد وعلى آله وعترته الطاهرة، وعلى أصحابه الأنجم الزاهرة.

أما بعد: فيا أيها الناس! إن سبيل العافية عافية[1] لقلة سُلاَّكها، وإن علل القلوب القاسية مؤذِنة بهلاكها، وإن حُلَلَ الذنوب بادية على سُوقة الأمة وأملاكها، وإن رسل المنون قانصة لا تفلت أحداً من شِباكها. فما للعيون ناظرة ولا تبصر؟ وما للقلوب قاسية ولا تفكر؟ وما للعقول طائشة ولا تشعر؟ وما للنفوس ناسية ولا تذكر؟ أغرها إنظارها وإمهالها؟ أم بشرها بالنجاة أعمالها؟ أم لم يتحقق عندها من الدنيا زوالها؟ كلا ولكن شملت الغفلة، فاستحكم على

---

(١) قوله: (عافية) أي: مندرسة. ا.هـ.

القلوب أقفالها، فكأن قد كشف الموت لأهل الغفلة قِناعه، وأَطلق على صحاح الأجسام أوجاعه، وحقق بكل الأنام إيقاعه، ولم يملك أحد منكم دفاعه، فخفق من المنزول به فؤادُه، وانمحق من ناظره سوادُه، وقلق[1] لهول مصرعه عُوّادُه، ورحمه أعداؤه وحسادُه، وأزف[2] عن أهله ووطنه بعادُه، والتحقَ بذل اليتم أولاده، فيا له من واقع في كُرَب الحشارج[3]، حتى أدرج في تلك المدارج، وقدم على الله ذي المعارج، في منزل لا يبرح منه مَنْ نزله، حتى يلحق آخرُ الخلق أَوَّلَه. أفيظن ظانٌّ أن الله خلق الخلق ليهملَه؟! كلا، واللهِ ليبعثَنَّه مَنْ أماته؛ ليسأله عن الرسول ومَنْ أرسلَه، وعن القرآن ومن أنزله، وعن الحرام الذي أكله، وعما اجترحه في دنياه وفعله، ثم ليوفَّين كلُّ عاملٍ منكم عملَه، ويقابَل كلٌّ بما عليه وله، علم ذلك من علمه، وجهلَه مَنْ جهله. جعلني الله وإياكم ممن إذا أُمر قبل، وإذا زُجر وَجِل. إن أحسن الكلام على الإطلاق كلامُ ربنا الرحيم الخلاق، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١ ـ ٣].

بارَكَ الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه.

* * *

---

(١) قوله: (قلق)؛ من باب تعب: اضطرب. ا.هـ.

(٢) قوله: (أَزف) أي: قرب. ا.هـ.

(٣) قوله: (الحشارج) جمع الحشرجة، وهي الغرغرة عند الموت، وترداد النفس. ا.هـ. «القاموس».

الخطبة الأولى من شهر ربيع الأول

الحمد لله الكريمِ الرؤوفِ الرحيمِ المجيد، والحمدُ لله الذي بحمده تُستفتح أبوابُ المزيد، نحمده كما يجب لجلاله، وكما ينبغي له من التحميد، ونشهد أنْ لا إله إلا الله العزيزُ الحميد، شهادةً ننجو بها من الفزع الأكبر يومَ العيد. ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله البشيرُ النذيرُ الشهيد، اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أئمة العدل والتوحيد.

أما بعد: أيها الناس! فأوصيكم ونفسي بتقوى الله فاتقوه، وأحثكم على مراقبته فإنكم ملاقوه، واحذروه كما حَذَّرَكم نفسَه في الكتاب، واذكروه كما أمركم يا أولي الألباب، واستغفروه؛ فإنه غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، واشكروه فكم أفاض عليكم من جزيل نعمه، وإياكم والمعاصي؛ فإنها مفاتح غضب الله ونِقَمِه، ولا تشغلنكم دنياكم عن أداء المسنون والمفروض، ولا تغرنكم، فإنها لا تساوي عند الله جناح بعوضٍ. كيف يَغتر بها، ويَطمئن إليها مَنْ تنصرم أيامه ولياليه؟ أم كيف يطيب فيها عيشُ مَنْ لا يدري متى الموتُ والله مفاجيه.

فيا واقفون والأيامِ والليالي بكم سائرة، إن فيما تشاهدون من العبر لموعظةً زاجرة، فما للقلوب عن قبول المواعظ نافرة؟ وما للنفوس معرضة عن التذكرة كأنها بها ساخرة؟ وما للهمم عن العمل الصالح فاترة؟ أغرتكم الأماني، والآمالُ

الحاضرة؟ أما علمتم أن كل جزءٍ من الزمان يذهب بمثله من الأعمار؟ أما تحققتم أن العمر رأس مال الإنسان وأن ربحه العمل؟ أما تبين لكم أن ما فات لا عوض عنه ولا بدل؟ فوا عجباً لواقفٍ هو في حال وقوفه يرحل، ولمن يسار به ولا يدري إلى أي الدارين يُحمل، ولمن وُعظ بالمواعظ الصادقة فلم يقبل، ولمن نودي بالرحيل وأُمر بالتزود فأهمل، ولمن يسيء عمله، وقد علم أنه سيجازى بما يعمل، والعجب أيضاً ممن يرى فعل الموت بالأتراب، ثم لا يمهد لنفسه في بيوت التراب.

فاستيقظوا ـ رحمكم الله ـ من الغفلة والسِّنَة، وكونوا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وبادروا وأنتم في مكان الإمكان وفُسَح المُهَل، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حسابٌ ولا عمل، واجتنبوا المعاصي؛ فالفائز مَنْ كان لها مُجانِباً، ولازموا التوبة إلى الله؛ فالسعيد من لم يزل إليه تائباً.

جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين، وجنبني وإياكم موارد الظالمين، إن أحسن الكلام كلامُ الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

الخطبة الثانية من شهر ربيع الأول

الحمدُ لله المنتقمِ مِمَّن خالَفَه، المهلِكِ مَنْ آسَفَه[1]، المتوحِّدِ في قهره، والمنفردِ بعزِّ أمرِه، أحمدُه حمد شاكرٍ لما أولاه، مستقيل مما جناه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، شهادةَ يقينٍ لا شكَّ فيه، وقول إخلاص عما يقول الكافر ويفتريه، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسوله الذي استأمنه على علم الغيب، وَبَرَّأَه من كل دنسٍ وعيبٍ، اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أفضلَ الصلوات وأزكاها، وأنزِلْهم من منازل الكرامة أعلاها.

أما بعد: فيا أيها الناس! إنه ليس أحد أكرم على الله من نبيِّه، ولا أشرفَ عنده من محمدٍ نجيِّه وحبيبه وصفيِّه، ولن يؤخَّر عند انقضاء مُدَّتِه، ولن يعمَّر عند حضور منيته، ولقد أتاه في مثل شهركم هذا من رسل ربه الكرام، الموكَّلين بقبض نفوس الأنام، فجذبوا روحه الزكية لينقلوها، وعاجلوها ليرحلوها إلى رحمةٍ ورضوان، ورَوْحٍ وريحانٍ، وروضات الجنان، وخيراتٍ حِسانٍ، فاشتدَّ لذلك كربُه وأنينه، وترادف[2] قلقه وحنينه، واختلف بالانقباض والانبساط

---

(١) قوله: آسفه؛ من أسف، مثل غضب وزناً ومعنى؛ أي: أغضبه. ا.هـ.

(٢) قوله: (وترادف)؛ أي: تتابع. ا.هـ.

شمالُه ويمينه، وعرق لهول مصرعه جبينُه، فبكى لمنظره مَنْ حضره، وانتحب لمصرعه مَنْ أبصره، فلم يدفع الجزع[1] عنه مقدوراً، ولا راقب الملَكُ فيه أهلاً ولا عشيراً، بل امتثل ما كان به مأموراً، واتبع ما وجد في اللوح مسطوراً. هذا وهو أول من تنشق عنه الأرض، وصاحبُ الشفاعة يوم العرض، وأكرمُ أهل السماء وأهل الأرض، وعلى يقينٍ من السلامة في المعاد، وثقةٍ بالكرامة يوم الأشهاد. فكيف مَنْ لا يعلم متى الرحيل؟ ولا يتحقق أين المقيل؟ ولا يدري على ما يقدم، ولا بما عليه في القيام يحكم.

فيا خلفَ مَنْ قد دبَر، ويا بقيةَ مَنْ قد غبر، ويا جُدُدَ[2] الآجال، وعبيدَ الآمال! أما تتعظون بمصرع سيد المرسلين، وإمام المتقين، وحبيب ربِّ العالمين؟! أتظنون أنكم في الدنيا مخلدون؟ أم تَحْسَبون أنكم من الموت مُحَصَّنون؟ ساء ما تتوهمون، هيهات هيهات إنكم إذاً لمغرورون، وجِدُّوا لله الرحيل، فاحْتَقِبوا زاداً كافياً، ووجب السؤال، فأعِدُّوا جواباً شافياً، فكأنْ قد نعق بكم ناعق الشتات، ودارت عليكم رحى الآفات، وعصفت فيكم ريح الممات، فلن تستطيعوا نقصاً من السيئات، ولا زيادة في الحسنات.

جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين، وجنبني وإياكم موارد الظالمين. إن أحسن الكلام كلامُ الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤، ٣٥].

(١) قوله: (الجزع) ـ محركة ـ: نقيض الصبر. ا.هـ.

(٢) قوله: (ويا جدد) جمع جديد، مثل سرير وسرر، بمعنى: مقطوع. يقال: حبل جديد؛ أي: مقطوع. ا.هـ.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

الخطبة الثالثة من شهر ربيع الأول

الحمد لله مجلِّي السماء ببديعِ المصابيح، ومغذِّي الملائكةِ بحلاوة التسبيح، الـذي شهـدت بتـوحيـده عجـائـبُ المصنـوعـات، ونطقـت بتحميـده غـرائـبُ المبدوعات، وسبح له الخلق باختلاف اللغات، فسبحانَ مَنْ لا يساويه أحدٌ في الأرض والسموات، أحمده، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له شهادة باسقة[1] الفروع، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله أرسلَه من أرجح العرب ميزاناً، وأوضحِها بياناً، وأعلاها مقاماً، وأحلاها كلاماً، وأوفاها ذِماماً[2]، فأوضح الطريقة، ونصح الخليقة، وشهر الإسلام، وكسر الأصنام، وأظهر الأحكام، وحذر الحرام، وعمَّ بالإنعام. اللهمَّ فصلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، وعلى أزواجه وذريته في كل محفلٍ ومقامٍ.

أما بعد: أيها الناس! ارمقوا[3] العواقب بمُقَل الفِكَر، وانظروا لأنفسكم

---

(١) قوله: (باسقة)؛ أي: فروعها طويلة، يقال: بسقت النخلة بسوقاً؛ من باب قعد طالت، فهي باسقة. ا.هـ.

(٢) قوله: (ذِماماً) الذمام ـ بالكسر ـ: ما يذم به الرجل على إضاعته من العهد. ا.هـ. «المصباح المنير».

(٣) قوله: (ارمقوا) رمقه بعينه رَمْقاً؛ من باب قتل: أطال النظر إليه. ا.هـ.

أجملَ النظر، وادرّعوا لأهوالكم مدارع[1] الحذر، واحتقبوا[2] زاداً كافياً لبعد السفر. فما لكم عن الرشد ناكبين، وفي مواطن الجِدِّ لاعبين، وأحلامُ المنايا بكم صادقة، وسهام الرزايا بكم واثقة؟! ألا غاسلاً قلَبه بفيض مدمعه؟ ألا موقظاً قلبه بذكر مرجعه؟ ألا مشفقاً من مفاجأة هجوم مصرعِه، ألا متأهباً لركوب هول فزعه، ألا ممهداً لطود وحشة مضجعه[3]، قبل أن تخلو المنازل من أربابها، وتؤذِنَ الديارُ بخرابها، وتُهتكَ الحلائلُ لعظم مصابها، وتَنْدُبَ على فراق أحبابها، وتلتحق الأجسادُ بترابها، قبل أن تقبل الساعة بفجائعها وتنشر[4] الخلائق لحسابها، وترتهن باكتسابها، وتنكر القبائل معارف أنسابها. يومئذ تذهلُ كلُّ مرضعة عما أرضعت، وتُجازى كلُّ عاملةٍ بما صنعت، ذلك يوم زال غِشُّه[5] ونفاقه، وطال الشرُّ ووثاقه، وعسر على المذنبين مساقه، وتجلى للحكومة فيه خلاقه؛ فيا فوزَ مَنْ عامله بأحسن المعاملات، ويا خسارة من بارزه بالخطايا والسيئات؛ فإلى متى تتماطلون عباد الله بالعمل، وتطمعون في بلوغ الأمل! وتغترون بفسحة المهل! ولا تذكرون هجومَ الأجل؟! فرحم الله امرأً أقدم الحذر، وأمعن النظر قبل أن يفارق الأوطان، ويعدم[6] الإمكان، ويدرج في مدارج الأكفان، ويدخل في خبر كان، جعلني الله وإياكم من الفائزين، وجنبني وإياكم موارد الظالمين. إن أحسن الكلام كلام الله الملك العلام، والله يقول،

---

(١) قوله: (مدارع) جمع مِدْرعة؛ كمكنسة، وهو ثوب كالدراعة، ولا يكون إلا من صوف. ا.هـ.

(٢) قوله: (واحتقبوا)؛ أي: ادخروا.

(٣) قوله: (مضجعه) ـ بفتح الميم والجيم ـ: موضع الضجوع.

(٤) قوله: (وتنشر) نشر الموتى نشوراً؛ من باب قعد: حيوا، ونشرهم الله يتعدى ولا يتعدى، ويتعدى بالهمزة أيضاً ـ.

(٥) قوله: (غشه) غشه غشاً من باب قتل، والاسم: غش ـ بالكسر ـ: لم ينصحه، وزين له غير المصلحة. ا.هـ.

(٦) قوله: (ويعدم) عدمته عدماً؛ من باب تعب: فقدته. ا.هـ.

وقوله الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[النحل: ٩٨].
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[آل عمران: ١٨٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من العذاب الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

❋ ❋ ❋

الخطبة الرابعة من شهر ربيع الأول

الحمدُ لله الذي عَمَّتْ رحمتُه كلَّ شيءٍ ووَسِعَت، وتمَّت نعمتُه على العباد وعَظُمَت، مَلِكٌ ذلَّت لعزته الرقابُ وخضعت، وهابت لسطوته الصعابُ وخشعت، وارتاعت من خشيته أرواحُ الخائفين وجزعت[1]، كريمٌ تعلقت برحمته قلوبُ الراجين فطمعت[2]، بصيرٌ بعباده يعلم ما كنّت الصدورُ وأودعت، عظيمٌ عَجَزَت[3] العقولُ عن إدراك ذاته فتحيرت.

نحمده على نعم توالت علينا واتسعت، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، شهادةً تنجي قائلَها من النار يوم تذهل كلُّ مرضعةٍ عما أرضعت، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي جاهد في الله حق جهاده حتى علت كلمة التوحيد وارتفعت، اللهمَّ فصلِّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ما ابتهلت الوفود بالمشاعر العظام ودعت.

أما بعد: أيها الناس! تأهبوا للانتقال من دار الرحيل والزوال، وتنافسوا في اكتساب ما يوصل إلى دار المَقيل والظلال، وارغبوا في صالح الأعمال،

---

(١) قوله: (وجزعت) من باب تعب. ا.هـ.

(٢) قوله: (طمعت) طمع فيه وبه؛ كفرح، طمعاً وطماعاً وطماعية: حرص عليه، فهو طامع وطَمِع. ا.هـ. «القاموس»

(٣) قوله: (عَجَزت) من باب ضرب. ا.هـ.

واعلموا أنكم عما قليلٍ راحلون، وإلى الله صائرون، ولا يغني هنالك إلا عمل صالح قدمتموه، أو حسنُ ثوابٍ أحرزتموه، فإنكم تقدمون على ما قدمتم، وتجازَوْن على ما أسلفتم، فلا تصدنكم زخارفُ دنيا دنيةٍ، عن مراتبِ جناتٍ علية، واكتسبوا مراضي الرحمن؛ فإنها أربح المكاسب، واجتنبوا موارد العصيان؛ فإنها وخيمة العواقب، وحاذروا مواعيد الآمال؛ فإنها آمال كواذِب.

ألا وإن الدنيا قد خَطَمَتْكم بخِطامها[1] وأنتم عليها مقبلون، وصَدَقَتْكم حوادثُ أيامها وأنتم لها مكذِّبون، كم تُحَذرون من الغفلة فلا تحذرون، وتُذَكرون بالآخرة ولا تذكرون، ويوضَّح لكم الصواب ولا تبصرون، ويُفصح لكم في الخطاب ولكن لا تشعرون؟! إلى كم للدنيا تعدون؟ وأنتم عما قليلٍ في الموتى تُعَدون؟ ولا تتأهبون للآخرة ولا تستعدون، أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون؟ فرحم الله امرأً تأهَّبَ للقدوم على الله في يوم يفوز فيه الأبرار، ويسعدون[2]، ويشقى فيه الفجار ويُبْعَدون[3]، ذلك يوم يخسر[4] فيه المُبْطِلون، وينجو فيه الأبرارُ الصادقون، ويفرح فيه المتقون، ويربح[5] فيه المخلصون، يومَ لا ينفع الظالمين معذرتُهم ولا هم يُستعتبون.

جعلني الله وإياكم ممن أخلص لله في الأعمال، وأسعدني وإياكم في الدارين بحسن النوال. إن أحسن الكلام كلامُ الله الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، وقالَ عزَّ من قائلٍ عليم: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟

---

(١) قوله: (بخطامها) الخطام مثل كتاب.

(٢) قوله: (ويسعدون) من باب تعب.

(٣) قوله: (يبعدون) بعد بعداً؛ من باب تعب: هلك.

(٤) قوله: (يخسر) من باب علم.

(٥) قوله: (يربح) من باب تعب. ا.هـ.

﴿خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من العذاب الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

الخطبة الخامسة من شهر ربيع الأول

الحمدُ لله الذي يجب أن تُشكر نعمتُه، ويتعين أن تُحْذَرِ نِقْمَتُه، ويَحْتِمُ[1] أن يُخاف عذابُه وسطوتُه، من قابلَ إحسانَه بالإساءة نادت عليه شِقْوَتُه.

أحمده حمداً تقتضيه قدرتُه، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا لعل أن تعمَّنا رحمتُه، وأشهد أنْ لا إله إلا اله وحدَه لا شريك له، وكيف يشاركه شيء وكلُّ الأشياء خليقته؟ وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي خُتمت النبوة والرسالة بنبوته ورسالته، ودَمَّر الله به المعتدين، وأنذر به العاصين حتى قامت على الخلائق حُجَّتُه، ولم يزل ﷺ يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويحرض على ذلك لتمتثل أمته. اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه، وأَدِمْ ذلك بمدد لم تنقض مدتُه.

أما بعد: أيها الناس! اقترب للناس حسابُهم، وكأن الجهول قد نُسخت رجعتُه، وحق على العصاة عذابُهم، وكأنها هانت على الجريء مهجتُه، وأزفَ واللهِ مآبُهم، وقد استولت على الشقي غفلتُه، واشتغل المغرور بالدنيا شغلَ مَنْ لا تأتيه آخرتُه، واحتفل باللهو واللعب، ولم يشعر أن لذته تستهلكه، و[أ]همل حقوقَ المولى حتى كأن لم تجب عليه طاعتُه، وأسدلَ المذنبُ حجابَ الستر من السوء، وقد كشفه علمُ الله ومراقبتُه.

---

(١) قوله: (ويحتم) من باب ضرب، حتم عليه الأمر حتماً: أوجبه جزماً. ا. هـ.

أيها النائم! سيوقظك الموت وسَكْرَتُه، ويضمُّك القبر وتوحشك ظلمتُه، ويسألك إلهك وتشغلك مسألتُه، وتلتئم أعضاؤك فتظهر من كل عضوٍ زلته، وتُطوى صحيفتك، ويا ويحَ مَنْ تطوى على المساوىء صحيفته! وتعرض روحك على الله وقد حفت به الملائكة، وأُحضرت النار، واعتبرت الأوزار، وشَخَصَت[1] الأبصار، وضَمَّت الأولين والآخرين حضرتُه. ويقال للعاصي: يا ناقض العهد! أين عظمةُ الله وحرمتُه؟ من ذا الذي يجترىء على الله، وقد حَقَّت عليه كلمتُه؟ فاللهَ اللهَ أوصيكم ونفسي بتقوى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بحسب ما تطيقه قوةَ أحدكم وقدرتُه. وتوبوا إلى الله قبل أن يُغلق بابُ التوبة، وتُرد على العبد توبتُه. جعلني الله وإياكم ممن أعطي مسألتَه، وغفر لكل عبدٍ منّا زلته.

إن أحسن الكلام المنظوم، وأبينَ اللفظ المرقوم، كلامُ ربنا الحيِّ القيوم، والله تعالى يقول، وقوله الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨]، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١-٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

---

(١) قوله: (وشَخَصت) شخص؛ كمنع، شخوصاً: ارتفع. ا.هـ.

الخطبة الأولى من شهر ربيع الثاني

الحمد لله الذي أحاط بحوادث الدنيا والآخرة خُبْراً، وجعل لكل شيءٍ قَدْراً، وأسبل على الخلائق رعايته ستراً.

أحمده على نعمائه شكراً، وأسلِّم لقضائه صبراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً أُعدها ليوم القيامة ذُخراً، واستمدُّها على الأعداء نصراً، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله إلى البرية عُذراً ونُذراً، فدعا إلى الله سراً وجهراً، ونشر رحمته على العالمين نشراً، اللهم صلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه، وأَدِمْ لهم أجراً.

أما بعد: فأوصيكم عبادَ الله ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله، فإن تقواه عروة ما لها انفصام، وقدوة يأتَمُّ بها الكرام، وجذوةٌ تضيء بها الأفهام، من تعلَّق بها حمته محذورَ العاقبة، ومن تحقق بحملها وَقَتْه شرورَ كل نائبةٍ، وأحذركم دار فرقةٍ ما لها أسلاف، وقرارَ حُرقةٍ ما لها انصراف، وأمانيَّ رجعةٍ ما لها إسعاف. فانهضوا عبادَ الله في استعمال ما يقربكم من دار القرار، وارفضوا[1] من الأعمال ما يدنيكم لدار البوار، فإنها المصيبة الجامعة، والعقوبة الواقعة، يا لها داراً انقطع من الرجال رجاءُ حلالها، وامتنع من الفناء بقاء نكالها، وشعارُ أهلها الويلُ الطويل، ودِثارُهم البكاء والعويل، وسرابيلهم الخزيُ الوبيل، ومَقيلُهم

---

(١) قوله: و(ارفضوا)؛ أي: اتركوا، من باب ضرب، وفي لغة من باب قتل.

الهاويةُ وبئسَ المَقيل، يُقَطع منهم الحميم أمعاءً طالما وَلِعَت بأكل الحرام، وتُضعضع منهم الجحيمُ أعضاءً طالما أسرعت إلى اكتساب الآثام، قد انهلت عليهم الأَنَّات[1]، وحَلَّت بهم المَثُلات، فجلودهم محددة بالعذاب، ووجوههم مسودة لسوء الحساب، والزبانيةُ يدخلون عليهم من كل باب، ويقولون: لا مرحباً بكم إنَّ لكم لشرَّ مآب، ينادون إلهاً غرَّهم في العاجلة حلمُه فخالفوه، وحق عليهم في الآجلة حكمُه لما آسَفوه، يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]، فيجيبهم بعد حين، إجابة دعوة ذي قوةٍ متينٍ: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]. فحينئذٍ ينقطع عندها ـ واللهِ ـ تأميل المذنبين، ويجتمع التنكيل على المكذِّبين، ويرتفع في النار عويلُ المعذَّبين ﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت: ٢٤].

أبعدني الله وإياكم عن دار غضبه، وأسعدني وإياكم بإتيان ما أمر به. إن أحلى ما أُنصت لترديده، وأولى ما أُخذ بوعده ووعيده، كلامُ مبدىء الخلق ومعيدِه، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[الجاثية: ٢١]، ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[الجاثية: ٢٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم. فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

(١) قوله: (الأنات) جمع أنة بمعنى: الأنين.

الخطبة الثانية من شهر ربيع الآخر

الحمد لله مثيبِ الطائعين على صالح العمل أجزلَ الثواب، ومجيبِ الداعين فهو أكرمُ مَنْ أجاب، يغفر الزلات، ويُقيل العثرات، ويجتبي إليه من يشاء، ويهدي إليه من أناب، يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، فإلى متى يؤخر المتاب؟!.

أحمده على نعمه التي فاضت على ذرات التراب، وقطرات السحاب، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، شهادةً لا يحجُبها عن الإخلاص حجاب، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسوله، أرسله بأسمحِ دينٍ وأفصحِ كتاب، فرض الفرائضَ، وسَنَّ السننَ، وبينَ الآداب. اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه خيرِ آلٍ وأكرمِ أصحاب.

أما بعد: أيها الناس! جدّ بكم الرحيل وأنتم للإقامة عاملون، ونَدَبَكم[1] ربكم إلى الآخرة وأنتم عنها غافلون، وحَذَّركم عن التهافت في الدنيا وأنتم مع الآمال مائلون، وطلبكم لوليمة دار السلام وأنتم عن الإجابة متشاغلون. يا لها داراً تشوقت إلى طالبيها، فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين لمن جدّ فيها، فيها من الخير المُدَّخَر ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشرٍ، حصباؤها اللؤلؤ والجوهر، وترابها الزعفران والعنبر، سقفُها عرشُ الرحمن، فظلُّها ممدود، وماؤها

---

(١) قوله: (وندبكم)؛ أي: دعاكم. ا. هـ.

جارٍ في غير أُخدود، سُرُرُها عالية الرتب، وبناؤها لَبِنَة من فضةٍ، ولبنة من ذهب، فيها أنهار ذكر الله لها في كتابه العزيز نعتاً ووصفاً من ماء غير آسنٍ وأنهارٌ من لبنٍ لم يتغير طعمه، وأنهار من خمرٍ لذةٍ للشاربين، وأنهار من عسلٍ مُصَفى، فُتحت منها الأبواب، وزُخرفت للمتقين فيها القِباب، وغردت الأطيار، واطردت الأنهار. وأصبح أهلُها في روضةٍ يُحْبَرون، على الأرائك ينظرون، لمثل هذا فليعمل العاملون.

فيا أهلَ العقول! تدبروا القرآن ببصائر الإيمان، واشتروا الأمان بمرضاة الرحمن، وتقربوا بالصالحات إلى الجنان، تفوزوا بالقبول(١) والغفران، وامحوا سوابق العصيان بلواحق الإحسان، وتخلصوا عن الهوان، واندبوا(٢) أعمالاً ماضية، ونفوساً عاتية طاغية، ألا آذانٌ واعية؟ ألا أقدامٌ في طاعة الله ساعية؟ ألا نفوس لحقوق الله مراعية؟ ألا قلوب إلى قبول المواعظ داعية، قبل هجوم الداهية، يوم تُعرضون لا تخفى منكم خافية؟ جعلني الله وإياكم من الفائزين، وأدخلنا برحمته في عباده الصالحين. إن أحسن الكلام كلامُ الملك العلام، واللهُ يقول، وقوله الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من العذاب الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

* * *

---

(١) قوله: (بالقَبول) بالفتح، والضم لغةٌ حكاها ابن الأعرابي، وبابه تعب.
(٢) قوله: (واندبوا) ندبت المرأة الميت ندباً، من باب قتل.

الخطبة الثالثة من شهر ربيع الثاني

الحمد لله الذي خلق الخليقة وأعمالَها، وردَّها بنورِ الهداية عن الغواية[١] وأمالَها، وأمدَّها بالعناية الربانية فقصَّرَ آمالَها. أحمده حمدَ مَن احتسى[٢] من النعم زُلالها، واكتسى سِرْبالَها. وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، شهادةً تُثبت الأقدامَ إذا زُلزلت الأرض زِلزالها، وأَخرجت الأرض أثقالها، وقال الإنسان ما لَها.

ونشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله، أرسله والجاهليةُ تشرع ضلالَها، فلم يزل ﷺ يُكثر جِدالها، ويُضيق مَجالَها، ويعرف خيلَها ورجالها، حتى عرفت حرامهَا، وعافت الدنيا إذْ عرفت زوالَها. اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه ما خالفت الجَنوب في الهُبوب شَمالَها[٣].

أما بعد: أيها الناس! ما لأمواه العيون غائضة[٤]؟ وما لأفواه الذنوب فائضة[٥]؟ وما للهمم عن طلب النجاة رابضة[٦]؟ وما للنفوس في ميدان

---

(١) قوله: (غوى) يغوي غياً، وغوى غَواية، ولا يكسر.
(٢) قوله: (احتسى)؛ أي: شرب.
(٣) قوله: (شَمالها) بوزن سَلام، وهذا هو الأكثر، وفيه أربع لغات أُخر، كذا في «المصباح».
(٤) قوله: (غائضة)؛ أي: ذاهبة.
(٥) قوله: (فائضة)؛ أي: سائلة.
(٦) قوله: (رابضة)؛ أي: قاعدة متوانية.

الشهوات راكضة[1] ؟ وما للأهواء في مجاري الزلات خائضة؟ وما للعزائم إلى مقابل التوبة ناهضة؟ أذهبَ الصوابُ عن السلاك، أم عَظُمَ المصابُ ووقع الهلاك؟.

لقد أفصحتِ الرسلُ لولا صَمَمُ القلوب، ووَضَحَت السبلُ لولا كدرُ الذنوب. ألا وإن الطريق سحيق، فاشتملوا زاداً فاضلاً، وإن الحساب دقيق، فاعملوا عملاً مناضلاً[2]، وإن العذاب حريق، فأعدوا ولاءً شاملاً، وإن السؤال حقيق، فأسيلوا دمعاً سائلاً، واغتنموا نفائسَ أوقاتٍ تسير بكم سيراً حثيثاً، وأياماً وليالي طالما أرتكم عبرة وأسمعتكم مواعظها حديثاً، لقد أخبرَتْكم بما أخلَت من الديار، وما أحلَّت بالقرون من قبلكم، وأعفت من الآثار. ألم تركم كيف أوردت الأترابَ مصارعَ المنايا، ألم توصل إليكم من الأخبار قوارعَ الرزايا؟ أما دهتكم في أنفسكم بكثيرٍ من الآلام؟ أما أذاقتكم في أنفسكم مرارة الأسقام؟ فلو فكرتم في الدنيا، لعلمتم أنكم في إدبار منها حثيثٍ، وإقبالٍ من الآخرة غيرِ بطيءٍ ولا مَكيث. فكأن الليل والنهار وقد وقفا بكم على الآجال، وأزالا عنكم غرورَ الآمال، وكشفا عنكم أغطيةَ الأبصار، ووصلا بكم إلى دار القرار، فيا حسرةَ منتقلٍ إلى دارٍ لم يتخذْ بها منزلاً، ولم يقدم إليها من الصالح عملاً! فرحم الله امرأً وَسَّعَ من القبور مَضيقاً، واتخذَ من العمل الصالح صديقاً، وصدق ربه فبعثه صِدّيقاً، فطيبوا نفساً بمعاملة الله، فإنكم تربحون، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون.

جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين، وجَنَّبَني وإياكم مواردَ الظالمين. إن أحسن الكلام كلامُ الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

---

(١) قوله: (راكضة)؛ أي: ساعية.

(٢) قوله: (مناضلاً)؛ أي: مقابلاً لضده من الأعمال.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٥ : ٤٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من العذاب الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

* * *

الخطبة الرابعة من شهر ربيع الثاني

الحمد لله الملكِ القهارِ العظيمِ الجليل، والحمد لله الذي أنفذ قضاءه في مخلوقاته، وحَسْبُنا الله ونِعْمَ الوكيل، سبحانَ مَنْ جعل الدنيا دارَ زوالٍ ورحيلٍ، والآخرةَ دارَ نعيمٍ أو عذابٍ وَبيلٍ، وكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلق له، وعلى الله قصدُ السبيل.

أحمده على إحسانه الشامل الجزيل، وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ولا وزيرَ ولا عديل، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المؤيَّدُ بمعجزات التنزيل، والمَصونُ دينُه عن التحريف والتبديل، اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه صلاةً وسلاماً يُبلغان قائلَهما نهايةَ التأميل.

أما بعد: أيها الناس! ما هذا الانتظار وقد قرب الرحيل؟ وما هذا الاغترار وقد أزف التحويل؟ أما ترون المنايا كيف أنشبت الأظفار؟ واستلبت من الأمة الخيار؟ وأن الرزايا قد طَبَّقَتْ أرجاءَ الأرض والأقطار، فمحتْ من المجالس الآثار، فأصبحت عُرا الإيمان منفصمة(١)، وقُوى التقوى مُنْقَصِمة، فاتقوا الله عبادَ الله حقَّ تقاته، وبادروا بالسعي إلى مرضاته، وأقلقوا القلوب من مراقد غَفَلاتها، واعدلوا بالنفوس عن موارد شهواتها، وذللوا جموحَها بذكر هجوم

---

(١) قوله: (منفصمة) الفصم ـ بالفاء والقاف ـ: الكسر.

مماتها، وتخيلوا فضائحها يوم تعرف بسماتها، وترقبوا داعياً من جو السماء تُنشر به الرِّمَم، وتزول معه التُّهَم، ويطول عنده الأسف والندم، يا له من داعٍ يُسمع العظامَ البالية، ومنادٍ يجمع الأجسامَ المتلاشيةَ من حواصل الطيور وبطون السباع، وقرارِ الوهاد، ومتونِ البقاع، حتى يستقيم كلُّ عضو في موضعه، ويقومَ كلُّ شخصٍ من مصرعه، فتقومون أيها الناس ليوم الكَرَّة[1]، بوجوه من الثرى مُغْبَرَّة، وألوانٍ من هول ما ترون مُصْفَرَّة، حفاةً عراةً كما بدأكم أولَ مرة، فيُسْمِعُكم الداعي، وينفذُكم البصر، قد ألجمَكم العرقُ وغَشِيَكم القَتَر، ومادت الأرض فهي بما عليها ترجُف، وبُسَّتِ الجبال فهي برياح القيامة تنسف، وشَخَصَت الأبصار، فما ترى من عين تطرِف[2]، وغصَّ بأهل السموات والأرض الموقِف. فبينما الخلائق متطلعو أنبائها، وقوفاً صفوفاً والملائكةُ على أرجائها، إذ أحاطت بهم ظلماتٌ ذاتُ شُعَب، وغَشِيَهم منها شُواظٌ ولَهَب، وسمعوا لها جرجرةَ[3] زفيرٍ وصَخَب، فعند ذلك يجثو الظالمون على الرُّكَب، ويُشفق المراؤون من سوء المنقلَب، وتطرق[4] الأنبياء لسلطان الرَّهَب، وينادى: أين عبدُ الله وابنُ أمته، وأين المسرفُ على نفسه بخطيئته؟ فيُعرف من بين الخلائق بسَمْتِه، ويحضر مطالباً بإقامة حجته. فخاب واللهِ هناك من كان على نفسه مسرفاً، ولم يجد من خلطائه وأخلائه ناصراً ولا مُسْعِفاً، بل يجد الحاكمَ له وعليه عدلاً ومنصفاً ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾[الكهف: ٥٣]. زحزَحنا الله وإياكم عن النار، وأدخلنا بفضله ورحمته دار

---

(١) قوله: (الكرة)؛ أي: الرجعة.

(٢) قوله: (تطرِف) تتحرك، من باب ضرب.

(٣) قوله: (جرجرة) يقال: جرجر فلان الماء في حلقه: إذا جرعه جرعاً متتابعاً يُسمع له صوت، والجرجرة: حكاية ذلك الصوت، وهذا هو المشهور عند الحذاق.

(٤) قوله: (وتطرق)؛ أي: يسكتون ولا يتكلمون، ويرخون أعينهم ينظرون إلى الأرض. ا.هـ.

القرار. إن أحسن ما فاه به اللسان، كلامُ مَنْ خلق الإنسانَ وعلَّمه البيان. والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٤٢، ٤٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم، وأجارني وإياكم من العذاب الأليم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم. فاستغفروه.

❋ ❋ ❋

الخطبة الخامسة من ربيع الثاني

الحمد لله الذي لا تدركه الأوهام والظنون، ولا تحويه الأفكار والعيون، خلق الإنسان من صلصالٍ من حَمَأٍ مسنون، إنما أمرُه إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون، يرحم من يشاء، ويعذب من يشاء، وإليه تقلبون ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾[الروم: ٢٠].

أحمده حمداً يتقرب به المتقون، وأشهد أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدهَ لا شريك له، شهادةً تنفع قائلَها يومَ لا ينفع مالٌ ولا بنون، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبدُه ورسوله، النبيُّ العربي الأمين المأمون. اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون.

أما بعد: عباد الله! رحل الأحباب إلى القبور وسترحلون[١]، وتركوا الأموال والأوطان وستتركون، وتجرَّعوا كأسَ الفراق وستُجَرَّعون، وقَدِموا على ما قدّموا من الحسنات والسيئات وسَتَقْدَمون، وتأسَّفوا على زمان الإمهال وستأسفون، وشاهدوا ما لهم عن المَنون وستُشاهدون، ووقفوا ببصائرهم وستقفون، وسُئلوا عما عملوا وستُسألون، ويودُّ أحدهم لو يفتدي بالمال وستَوَدّون، فبادِروا بالمتاعب قبل يوم الحساب وخيبة الظنون، فكأنكم بأيام الشباب قد استلبتها أيدي المنون، وقد أظلكم من فجأة الموت ما كنتم توعدون ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ

(١) قوله: (سترحلون) من باب: منع؛ أي: : ستنتقلون.

﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾[الزمر: ٦٨]. فكيف بك يا بن آدم إذا نفخ في الصور، وبُعث ما في القبور، وحُصِّل ما في الصدور، وضاقت الأمور، وظهر المستور، وخرج الخلائق من بطون القبور؟ فإذا هم قيام ينظرون؛ يا له من يوم عظيم! عَظَّم اللهُ فيه الزلزال، وسُيرت فيه الجبال، وترادفت الأهوال، وتقطعت الآمال، وقلَّ الاحتيال، وخسر أصحاب الشِّمال، وخرجوا من القبور بنفخة الصور؛ فإذا هم قيام ينظرون، فذلك يومٌ تَزِلُّ فيه الأقدام، وتتبلَّد فيه الأفهام، ويطول فيه القيام، وتظهر الآثام، وتخرج الخلائق من اللحود أحياءً بعد شرب كأس المنون، فإذ هم قيام ينظرون، فهو يوم القيامة، يوم الحسرة والندامة، ويوم الزلزلة وأخذ الظُّلامة[1] وفيه يشاهد العاصي ذنوبه وآثامه.

يوم يخرجون من الأجداث بالانبعاث إلى ما يوعدون، فإذا هم قيام ينظرون، يوم تُبلى السرائر، وتُكشف الضمائر، وتظهر الجرائر، وتعمى البصائر، ويفتضح أهل الكبائر، ويبعث مَنْ في القبور فيخرج البرَّ والفاجر، إلى الموقف يُهرعون، فإذا هم قيام ينظرون! جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين، وجَنَّبنا مواردَ الظالمين. إن أحسن الكلام كلامُ الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[التوبة: ١٠٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من العذاب الأليم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم. فاستغفروه.

---

(١) قوله: (الظُّلامة) بوزن ثُمامة: ما تظلمه الرجل، وأراد ظلامه ومظالمته؛ أي: ظلمه. ا.هـ. «القاموس».

الخطبة الأولى من شهر جمادى الأولى

الحمد لله الذي أسعدَ بجواره مَنْ خافه واتقاه، وأبعدَ من ناره من أصعده وانتقاه، أحمدُه على ما أفاض من نعمه وأبقاه، وأشهد أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةً معدَّةً للشدائد يومَ ألقاه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله، أرسله دليلاً على سبيل الرشاد، وكفيلاً بإنجاز الميعاد، ومذكِّراً بيوم المَعاد، ومحذِّراً من أهوال يوم التّناد، فدلَّ على التجارة الرابحة، وشَرَّعَ مناهَج السُّبُل الواضحة، وألزمَ الحجة بالدلائل اللائحة، حتى رَفَلَ الدينُ في أذياله، واعتدل الحقُّ في جميع أحواله، اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله المطهرين من الدَّرَن، وأصحابه أولي الفضل والمِنَن.

أما بعد: أيها الناس! اهتفوا[1] بالقلوب لعلها أن تستيقظ من وَسَن الرُّقاد، واصرفوا أَعِنَّةَ أهواء النفوس عن موارد الإبعاد، واقتفوا في دار النُّقْلَة[2] والزوال آثارَ الزهَّاد، فقد ناحت الدنيا على أهلها بألسن الانقلاب، ولاحت لكم من الآخرة شواهدُ الاقتراب، وأنتم عما أَضَلَّكم منها غافلون؛ وبما غَرَّكم وأَلهاكم عنها متشاغلون؛ كأنكم بحقيقة معرفتها جاهلون، أو كأنكم إلى غيرها راحلون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فارفُضوا ـ رحمكم الله وإياي ـ ما أنتم عنه منقلبون،

---

(١) قوله: (اهتفوا) هتف به هتفاً؛ من باب ضرب: صاح به ودعاه. ا.هـ.

(٢) قوله: (النقلة) ـ بالضم ـ: الانتقال. ا.هـ.

وانهضوا في التزوُّد لما أنتم إليه صائرون؛ فإن أمامكم صيحةً تُلحق الأحياءَ منكم بالأموات، وتَذهل معها النفوس عن ملابسة اللذات، وتسيل من العيون سِجالُ[1] العَبَرات، وتُشغل الجوارح عن اكتساب الحسنات، وتدارك الهفوات، ألا وإن وراءها صيحةَ العرض، الجامعةَ لأهل السماء وأهل الأرض، في صعيد صعب المَرام، ضَنْك المُقام، حَرِجِ اللِّزام، تُصَمُّ فيه الأسماع من دور القلوب، وتَحَفُّ فيه الأفزاعُ بأهل الذنوب، وترجُف القلوب، ويتجلى فيه الربُّ القادرُ لمحاسبة المربوب، فمن الناهضَ ـ عبادَ الله ـ بردٍّ لَجوب، عند وقوع السؤال لفصل الخطاب؟ عند دعاء الداعي وهتك الأستار وتشتت الأنساب؟ هنالك يسمعون النداء من قبل الجبار ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[غافر: ١٦]. اليوم أحمل حملةَ الكتاب على حكم الكتاب، اليوم تُجزى كل نفسٍ بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب.

أظلنا الله وإياكم في ذلك اليوم بظلِّ عرشِه، وأعاذنا وإياكم من غضبه وبطشه. إن أحسن الكلام كلامُ الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[الزمر: ٦٨ـ ٧٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

* * *

---

(١) قوله: (سجال) جمع سَجْل: وهي الدلو العظيمة المملوءة. ا.هـ.

الخطبة الثانية من شهر جمادى الأولى

الحمدُ لله الذي جعل الحمدَ لجميل نِعَمِه مفتاحاً، وأفصحَ به في أرضه وسمائه إفصاحاً، أحمده حمداً ينشر علينا من رحمته جَناحاً، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له شهادةً يُدرك الشاهد بها فلاحاً، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله المأخوذُ ميثاقُه على الأمم أشباحاً، والمبعوثُ في داجي ظُلَم الجهل مصباحاً، والموضِحُ سبلَ الحق لأهل الحق إيضاحاً. اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه مساءً وصباحاً.

أما بعد: فأوصيكم ـ عبادَ الله ـ ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله رحمكم الله.

أيها الناس! حل قضاء مَنْ كان للموت غريماً، وجَلَّ مُصابُ من أصبح على سخط[1] مولاه مقيماً، وقلَّ بقاءُ مَنْ كان الدهر بفَنائه زعيماً، وذلَّ من اتخذَ الحرصَ على دنياه نديماً، لقد بَلَّغكم النذيرُ إنذاره لو سمعتم، وأفاض الله عليكم مِنَنَه وإنعامه فأضعتم، فراقبوا الله واتقوه ما استطعتم، فإن تقوى الله حرز للهلكات واقٍ، وكنز للمحيا والممات باقٍ، من اتخذها

(١) قوله: (سخط) السخط ـ بالضم ـ، وكعنق، وجبل: ضد الرضا على ما في «القاموس». وقال أبو البقاء: هو لا يكون إلا من الكبراء والعظماء دون الأكفاء والنظراء. ا.هـ.

صاحباً، كانت له في ظُلَم القيامة نوراً، ومن نبذها جانباً، ركب من الندامة مركباً عَثوراً. فرحم الله امرأً خفض من جناحه، ونزع عن سوء اجتراحه وافتضاحه، فإن لكل أجلٍ كتاباً، ولكلِّ غائبٍ إياباً، ولكلِّ عملٍ ثواباً. وعند الموت يَغَصُّ المرء بريقه، ويتبين له مَخْضُ[1] حمله من مَذيقه، ويشغله بشقه[2] ما نزل به عن ولده وشقيقه، كيف لا، وقد أصبح شماتةَ عدوه ورحمةَ صديقه؟! يا له أسيراً لا يُرتقب له الفداء، ومرقوباً لا يُسمع له النداء، وربعاً[3] لا تُجبر مصيبته، وغائباً لا تُنتظر أَوبتُه، فعليكم ـ عباد الله ـ بتقوى الله، فإنكم تمضون، وإلى ما أفضى أوائلكم تُفيضون، وبأنياب المنية شيئاً فشيئاً تعرضون، وعلى مَنْ لا تخفى عليه منكم خافية تُعرضون، فما لكم في التأهب لسفركم لا تمضون؟ كأن الأصحاء منكم لا يمرضون[4]، أو كأن الأحياء منكم لا ينقصون، أو كأنكم لا تدرون لسخط مَنْ تتعرضون، ولا تعلمون عهدَ مَنْ تنقضون، أو كأنكم على ثقةٍ بفوز المتاب تقضون. هيهات هيهات ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾[صٓ: ٦٨]. نزع الله منا ومنكم غِلَّ القلوب، ورفع عنا وعنكم كلَّ مرهوبٍ، وجمعَ لنا في الدارين كلَّ محبوب. إن أحسنَ الكلام كلامُ الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ۝٥٦ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[العنكبوت: ٥٦، ٥٧].

---

(١) قوله: (مخض) إلخ؛ أي: خيره من شره. ا.هـ.

(٢) قوله: (بشقه) ـ بالكسر ـ: الشقيق، والجانب، واسم ما نظرت إليه. ا.هـ. هكذا بهامش الأصل، ولكن المناسب أن يفسر الشق بالمشقة كما في قوله تعالى ـ: ﴿بشق الأنفس﴾ [النحل: ٧]؛ أي: يشغله ما نزل به بسبب المشقة الحاصلة به عن ولده إلخ. ا.هـ. مصححه.

(٣) قوله: (وربعاً) الربع: النعش. ا.هـ.

(٤) قوله: (يمرضون) من باب تعب. ا.هـ.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

الخطبة الثالثة من شهر جمادى الأولى

الحمد لله الذي هدم بالموت مشيدَ الأعمار، وحكم بالفناء على أهل هذه الدار، فجعلهم أغراضاً لسهام الأقدار؛ ووَكَّلَ بهم أمراضاً تُزعجهم عن القرار؛ ولم يخصَّ بها الفقراء دونَ ذوي اليسار، بل هي آيات الله عدلٌ بالبادين والحُضَّار. أحمده على نعمه، وأعوذ به من العتوِّ والإصرار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً منجية من عذاب النار، مبوئةً من شهدَ بها دار القرار، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بأيمَنِ شعارٍ وأنورِ مَنارٍ، وأظهرِ إعلانٍ وإسرار، مؤيَّداً بالمهاجرين والأنصار؛ منصوراً بالملائكة المقربين الأبرار، اللهم فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه آناءَ الليل وأطرافَ النهار.

أما بعد: فيا أيها الناس! إن قوارع الأيام خاطبة، فهل أُذُنٌ[1] لعِظاتها واعية؟ وإن فجائع الحمام صائبة، فهل نفسٌ لجهاتها مُراعية؟ وإن مطامع الآمال كاذبة، فهل هِمَّةٌ إلى التنزُّه منها داعية؟ وإن طوالع الآجال واجبة[2]، فهل قدمٌ إلى التردُّد للخيرات ساعية؟ ألا فاسرحوا بثواقب الأسماع والأبصار، في نواحي الجهات

---

(١) قوله: (أذن) الأذن ـ بالضم وبضمتين ـ. ا. هـ.

(٢) قوله: (واجبة)؛ أي: واقعة. ا. هـ.

والأقطار، فما ترون في جموعكم إلا الشَّتات، أو تسمعون في ربوعكم إلا فلانٌ مات، أين الآباء الأكابر، والأبناء الأصاغر؟ وأين المعين المناصر، الخليط المعاشر؟ عثرت واللهِ بهم العواثر(١)، وأبادتهم السنينُ(٢) الغوابر، وبترت أعمارَهم الحادثاتُ البواتر، واختطفتهم عقباتٌ كواسر(٣)، وخَلَت من شيوخهم المشاهدُ والمحاضر، وعدمت من أجسامهم تلك الجواهر، وطفئت من وجوههم الأنوارُ الزواهر، وابتلعتهم الحُفر والمقابر إلى يوم السرائر. فلو كشفت عنهم أغطية الأجداث بعد ليلتين أو بعد ثلاثٍ، لرأيتم الأحداق على الخدود سائلة؛ والألوان من ضيق اللحود حائلة، وديدانَ الأرض في نواعم الأبدان جائلة، والرؤوس الموسدة على الأيمان زائلةً، ينكرها مَنْ كان بها عارفاً، وينفر عنها من لم يزل بها آلفاً. فرحم الله امرأً بادر بالإقلاع عن السيئات، وواصل الإسراع في الخيرات، قبلَ انقطاع مَدَد الأوقات، وطيِّ الصحائف المستودعات، ونشرِ فضائح الاقتراف والجنايات، فلا تغتر بحياة تقود إلى الممات، فوربِّ السماء والأرض إنَّ ما توعدون لآتٍ. طهر الله قلوبَنا من دنس الشبهات، واستعملنا بالباقيات الصالحات. إن أحسن الكلام كلام الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ [يونس: ١٠١، ١٠٢].

---

(١) قوله: (العواثر) فارسيته سكندريها. ا.هـ.

(٢) قوله: (السنين) بثبوت الياء في الأحوال كلها، وجعل النون حرف إعراب، تنون في التنكير، ولا تحذف مع الإضافة، كأنها من أصول الكلمة، وهذه لغة غير لغة إعرابها كالجمع المذكر السالم. ا.هـ.

(٣) قوله: (كواسر)؛ أي: ضامات أجنحتهن للوقوع. ا.هـ.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

الخطبة الرابعة من شهر جمادى الأولى

الحمد لله الدائمِ بلا زوالٍ، القائمِ بعميم الفضلِ والنوال، والمتصرفِ في عباده باختلاف الأحوال، المتوحدِ بالعظمة والجلال، المنفردِ بالقدم والبقاء والكمال، المتعالي عن الأشباه والأمثال، لا إله إلا هو الكبيرُ المتعال، أحمده حمداً يحفظ النعم عن الزوال، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، شهادةً تبلِّغُ نهاية الآمال، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله، أرسله هادياً من الضلال، وداعياً إلى شرف الخلال، ومرشداً إلى صالح الأعمال، ومحذّراً من الجحيم والنَّكال، ومبشِّراً بالنعيم والظِّلال، اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه خيرِ صحبٍ وآل.

أما بعد: أيها الناس! عليكم بتقوى ربكم ذي الجلال، فبتقواه تُنال الدرجات، وتزكو الأعمال، وأكثروا من ذكره على توابع الإنعام والإفضال، فبذكره تطمئنُّ القلوب، فاذكروه بالغدوّ والآصال، واشكروه شكراً يقيد النعم عن التحوُّل والانتقال، وخذوا زاداً من الحياة الفانية إلى الحياة الباقية المؤبدة في مدة الإمهال، واعلموا أن الدنيا سريعة الذهاب والزوال، فاستقصروا أجلاً آخرُه الموت وإنْ طال، واستشعروا أملاً يحجُبه الفوتُ أن يُنال، فلو لاحتْ لكم طلائع الآجال، لافتضحت عند ذلك خوادعُ الآمال، فكم تحملون الأوزار وهي ثقال، وكم تبادرون بالمعاصي ذا الجلال، وكم تشتغلون بالتسويف والآمال،

وكم تتبعون الشهوات وهي خيال، وكم تطمعون في البقاء وقد أَفِدَ[1] الانتقال، وكم قيدتكم الأماني بالتواني في الأعمال، وكم أنذركم مَنْ رحل من الأحباب بالارتحال! فاغتنموا ـ رحمكم الله وإياي ـ أيام أعماركم الفانية، فسيندم واللهِ أهلُ القلوب القاسية إذا فاز المتقون وخسر المبطلون ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]. فرحم الله امرأً تيقظ من وَسَن الرقاد، وصحا من سُكْر غَيِّه فسلكَ سبيل الرشاد، وتزوَّدَ ليوم المعاد، يومَ قيامِ الأشهاد، يوم الحشر والتناد، فأفيقوا ـ رحمكم الله ـ من سكرات الشهوات، واحذروا أن يستفزكم الشيطان بالهفوات، وطهروا دَرَنَ الذنوب بفيض العَبرات، وأثيروا حزنَ القلوب بذكر يوم الحسرات، فكأنكم قد وردتموه عراةً باديةً أجسامُكم، حفاةً ظامئة أكبادُكم، سُكارى من طول الوقوف، حَيارى من هَوْل يومٍ مَخوف، قد باينكم العشير، وأسلمكم الظهير، وفرّ الولد، وبرز الله الواحدُ الأحد ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥]، ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص: ٨٨].

جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين، وجنبني موارد الظالمين. إن أحسن الكلام كلامُ الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[الجاثية: ١٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

* * *

---

(١) قوله: (أَفِدَ)؛ أي: قَرُبَ. ا.هـ.

الخطبة الخامسة من شهر جمادى الأولى

الحمد لله المنفردِ في كبريائه وتعاليه، المستحقِّ للتمجيد والتقديس والتسبيح والتنزيه، الذي قطع بالموت عذرَ المعتذرين، وقمع به كِبْرَ المتكبرين، وحسمَ به أطماعَ الطامعين، وحكمَ به على الخلق أجمعين. أحمده حمداً يكون لجلاله تمجيداً، ولنواله معيداً، وعن نَكاله محيداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةَ مَنْ لا يتخذ من دونه معبوداً، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله بشيراً ونذيراً وشهيداً، اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه صلاةً توجب لهم من فوائده مزيداً، وتقلدهم فرائدَ مِنَنِه تقليداً.

أما بعد: أيها الناس! من استمع لخطوب الأيام، غني عن خطب الأنام، ومن ارتدع عن ركوب الآثام، رقي أعلى درجات الكرام، ومن قدح بصيرته بزناد الاعتبار، أنارت له ظُلَم العواقب بمصابيح الاستبصار، فاجذبوا ـ رحمكم الله ـ جوامح[1] النفوس عن طَلَقِ[2] الآمال، وسَرِّحوا قلوبكم ـ عبادَ الله ـ في طرق

---

(١) قوله: (جوامح) جمح الفرس؛ كمنع، جَمحاً وجُموحاً وجِماحاً، وهو جَموح: اعْتَزَّ فارسَه وغلبه. ا.هـ.

(٢) قوله: (طلق) الطلق ـ بفتحتين ـ: جري الفرس لا تحتبس إلى الغاية. ا.هـ. «المصباح».

الآمال، واقمعوا طوامحَ الأهواء بذكر أمرّ الكؤوس، ومودعكم من الرموس[1]، وذلكم الموت المُذِلُّ لكل عزيز، المُطِلُّ[2] على كل حريزٍ. فكأنكم به وقد اختلفَتْ فيكم صوارمُه، ودارت عليكم قواصِمُه، فشخصتْ لإيقاعه المُقَل، وقلت لدفاعه الحِيَل، وأسلمت الأجسام أرواحها، وعدمت الأجساد صلاحها، فأُفردتم حينئذٍ من نعمكم وأموالكم، وقُلِّدتم قلائدَ من أعمالكم، وزُوِّدتم من الدنيا أكفاناً، ووفدتم على الله وحداناً، ووجدتم لديه الإسرار إعلاناً، والإخبار عياناً. فيا أيها الغفلة المقصرون! بماذا إلى الملك الديان غداً تعتذرون؟ أم ماذا له تقولون إذا قال: ﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]؟ أأعددتم لسؤاله جواباً شافياً، أم وجدتم من نَكاله حجاباً واقياً؟ هيهات هيهات، أُفحم واللهِ عن الجواب لسانُ المجيب، وتكلم على الأفئدة إعلانُ الوَجيب[3]، وشهدت الجوارح بمسطور الرقيب، وارتعدت الفَرائصُ لهول اليوم العصيب، وحصل أهل الجرائم على مواصلة العويل والنحيب، ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِي شَكٍّ مُّرِيبِۭ﴾ [سبأ: ٥٤] جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين، وجنبني وإياكم موارد الظالمين. إن أحسن الكلام كلام الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦١، ٦٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر

(١) قوله: (الرموس) جمع الرمس، وهو القبر. ا.هـ.

(٢) قوله: (المطل) من أطلَّ عليه؛ أي: أشرف. ا.هـ.

(٣) قوله: (الوجيب)؛ أي: الخفق والاضطراب. ا.هـ.

الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على صراطه المستقيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

* * *

الخطبة الأولى من شهر جمادى الآخرة

الحمد لله المحتجِبِ عن الأبصار بخفيَّات الحُجُب المختلِفات، الذي علا عن الأصوات، وجلَّ عن حادثات الصفات، وسَبَّحته الألسنُ بغرائب اللغات. أحمده أبلغَ محامده، على جميع فوائده. وأستهديه بهدايته، وأستعينه على طاعته، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةً مؤطَّدةَ الأركان، مشيَّدَةَ البنيان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوثُ بالقرآن، خيرُ مولودٍ دعا إلى خير معبودٍ. اللهمَّ فصلِّ وسلم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه صلاة وسلاماً يتجددان في ظُلَم الليل وأدبار السجود.

أما بعد: أيها الناس! من كان الموت طالبَه كيف يَلَذُّ قراراً؟ ومن كان الدهرُ يجاريه، فكيف يُطيق انتظاراً؟ ومن كان أراده الأمل كانت مطيته عِثاراً، ومن كان راحلاً إلى الآخرة كيف يتخذ الدنيا داراً؟! إن هي إلا غفلة وأمنية عاجلة، وسجية عادلة، جرى بها القلم، ومضى عليها سالف الأمم، فيا فرائس الأحداث، ويا غرائس الأجداث! لقد صعق الموت في دياركم فَنَعَب، وصَدَقَكم صرفُ الزمان فما كذب، ووعظكم بمن ذهب، وأراكم من تقلبه العجب، فكأن قد أعاد عليكم الكَرَّة، ونقصَ منكم المسرة، وانتهز فيكم الغِرَّة، فما أقالكم العثرة.

فبادروا ـ رحمكم الله ـ وأنتم في مكان الإمكان، قبل ضيق الأوطان، وتقلص

اللسان، واصفرار البنان لنزول الحدثان، قبل هجوم الفاقرة، وقدوم الآخرة، والحصول بأرض الساهرة.

فكم يومئذٍ ـ عبادَ الله ـ من وجوهٍ مرتدَّةٍ، وأعناقٍ ممتدَّةٍ، وصحائف مسودَّةٍ، قد ألقت الخلائق الرجفات، وغشيهم الدخان، وشاب من أهواله الولدان، وتجلى للحكومة الديَّان، وأُزْلِفَتْ للأولياء الجِنان، وبُرِّزَتْ لأعداء الله النيران.

فما ظنكم ـ عباد الله ـ بيوم بضائعُه الأعمال، وشهودُه الأوصال، وسجنُه النار، وحاكمُه الجبار؟! إن ذلك ليومٌ لا يُقال فيه من ندم، ولا عاصمَ فيه من أمر الله إلا من رحم.

جعلني الله وإياكم ممن إذا نُبه انتبه، وأوضحَ لي ولكم من طرق الحق ما اشتبه.

إن أحسن الكلام كلامُ الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [إبراهيم: ٤٨ـ ٥٢].

باركَ الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعَني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على صراطه المستقيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

* * *

الخطبة الثانية من شهر جمادى الآخرة

الحمد لله المتفضِّلِ على عباده بأنواع المواهب والأرزاق، والحمد لله بجميع محامده على الإطلاق، نحمده ونستغفره ونعوذ به من الرياء والسمعة والنفاق، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً ظهر نورها ولاح في الآفاق، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوثُ لإظهار الأحكام وتدمير أهل الشرك والشقاق، اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصِحابه صلاة وسلاماً يدومان إلى يوم التلاق.

أما بعد: أيها الناس! تزودوا للرحيل فقد دنت الآجال، واجتهدوا للتحول فقد أزف الارتحال، ومهدوا لأنفسكم صالح الأعمال، فإن الدنيا قد أزيعت[1] للفراق، وإن الآخرة قد أشرفت للتلاق، فتزوَّدوا من دار المحال لدار المآل، واستشعروا التقوى في الأقوال والأفعال، واحذروا التفاخرَ والتكاثر في الدنيا بجمع الحُطام، واكتسابِ الآثام، واغترار الأمل بطول الليالي والأيام، فوراءكم المقابر ذاتُ الوحشة والهمومُ والكُرُبات، وتضايقُ الأنفاس والأهوالُ المفظعات ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكاثر: ٣، ٤]، إذا نوديتم من الأجداث وقمتم مُهْطِعين، وأَجبتم الداعي مسرعين، وتعلَّق المظلومون بالظالمين، ووقفتم بين يدي ربِّ العالمين، فتولى أعراضكم هو أسرع

---

(١) قوله: (أزيعت)؛ أي: ضمت وجمعت. ا.هـ.

الحاسبين. كلا لو تعلمون علم اليقين، إذا حل بكم كرب المقام، واشتد بالخلق في ذلك الموقف الزحام، وأُخذوا هنالك بالنواصي والأقدام، لترون الجحيم رأيَ العين إذا جيء بها بأَزِمَّتها تقاد، والخزنةُ حولها ملائكةٌ غِلاظٌ شِداد. وينادي عند ذلك الجبار العزيز الحميد، فيقول: ﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [قٓ: ٣٠]، ثم لترونها عينَ اليقين إذا مُدَّ الصراط، واختبُرت الأعمال، وسئلتم عن شرب الزلال وبارد الظلال، وعن قيل وقال، واكتساب الحرام والحلال ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾[يونس: ٣٠]. فاستقصِروا ـ رحمكم الله ـ من الغفلة، وتداركوا ما فاتكم وأنتم في زمن المُهْلَة، قبل ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾[الزمر: ٥٦].

جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين، وجنبنا موارد الظالمين. إن أحسن الكلام كلام الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ١ـ٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من العذاب الأليم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

الخطبة الثالثة من شهر جمادى الآخرة

الحمد لله الواحدِ المَنَّان، الفردِ الصمدِ الكبيرِ القديرِ الرحمن، نحمده ونشكره ـ سبحانه وتعالى ـ على جميل النعم وكاملِ الإحسان، ونسأله الاستقامة على سنن الهداية لنفوز بأعلى غرفات الجنان، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا في الإسرار والإعلان، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً مصحوبةً بتضرع وإذعان، ونشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله المفضلُ على الأنبياء والملائكة وأهل العرفان، اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان.

أما بعد: فأوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله في السر والإعلان، وأنهاكم ونفسي عن معاصي الله فإنها من أماني النفوس ودسائس الشيطان، وأحذركم ونفسي زخارفَ الدنيا؛ فإن نهايتها البلاء، وكلُّ مَنْ عليها فان، فكم حصل الفوت لمريدها، وكم بَغَتَ الموتُ من إنسان! وأحثكم ونفسي على التأهب للقاء الله تعالى، فكأنكم به وقد كان، وأذكركم وإياي الوقوفَ بين يدي الله سبحانه في يوم تشيب فيه الوِلدان، يا له من يوم تُجمع فيه الخلائق ويُنشر فيه الديوان، ويفر فيه المرء من جميع الصحب والإخوان، ويُلْجِمُ العرقُ فيه أهلَ الموقف حتى يدخل في الآماق والآذان، ويُنصب الصراط في أصعب مكان وتُسَعَّرُ النيران، ويقف حولها الزبانية ويعلو الميزان، وتجد كلُّ نفس هنالك من

أعمالها جميعَ ما قد كان، وتشهد الجوارح والبقاع على ما صدر من إساءة وإحسان، ويلتمس المذنبُ شفيعاً فلا يجدُ إلا مَنْ أذنَ له الرحمن.

هذا، وقد سبق المقربون إلى الجنان، وسلَّمت عليهم الملائكة وتلقاهم خازن الجنان رضوان، وفازوا هنالك بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب إنسان، وشاهدوا ربَّ العزة بأبصارهم، وقال: أنا ربكم المَنَّان، عندي موعدٌ أُحِبُّ أن أَجزيكُموه وهو الرضوان، فلا أسخط عليكم بعدَه أبداً، وقد أوجبتُ لكم الخلود في هذا الشان.

فالبدارَ ـ عبادَ الله ـ بالأعمال الصالحة، وأنتم في مكان الإمكان، والفرارَ الفرارَ من الغفلة والزور والبهتان، ولا تغرنكم الدنيا، فحسنُها فان، وربُحها خسران. جعلني الله وإياكم ممن إذا نُبه انتبه، وأوضحَ لي ولكم من طريق الحق ما اشتبه، إن أحسن الكلام كلام الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

* * *

الخطبة الرابعة من شهر جمادى الآخرة

الحمد لله الذي نستفتح بحمده الكلام، والحمد لله الذي حمدُه أفضلُ ما جرت به الأقلام، والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على الدوام، سبحانه وتعالى لا نحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه وهو وليُّ كلِّ إنعام. ونشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له شهادةً تأخذ بيد قائلها إلى دار السلام، ونشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه ومصطفاه من الأنام، أولُ الأنبياء وواسطةُ عِقْدِهم، على أنه آخرُهم ومسكُ الخِتام. اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه وتابعيهم إلى يوم القيامه.

أما بعد: أيها الناس! فأوصيكم ونفسي بتقوى الله العزيز العلام، ومعاملِته بما يحبُّه في الإقدام والإحجام، والفزعِ إليه عند تفاقم الشدائد واشتباه الأحكام، والاعتمادِ عليه والتسليمِ له في النقض والإبرام، والرغبةِ فيما لديه فبيدِه الخيرُ وهو ذو الجلال والإكرام، ومقابلةِ قضائه بحقيقة الرضا والاستسلام، أما خلقَكم وأسبغَ عليكم جزيلَ الإنعام؟ أما شَرَّفَكم بجزيل العقول والأفهام؟ أما أوضحَ لكم الطريق ونصبَ الأعلام؟ أما بعثَ إليكم رسلَه لتبليغ الشرائع والأحكام؟ أما أنزل عليكم كتبَه الفارقةَ بين الحلال والحرام؟ أما دعاكم إلى الوثوق به والاعتصام؟ أما حَبَّبَ إليكم العملَ لدار السلام؟ أما حَذَّرَكم عواقبَ معاصيه ونهاكم عن الآثام؟ أما أنذركم سوءَ لقائه في يوم هولٍ أطول الأيام؟ أما خاطبكم في كتابه

بقوارع الأحكام؟ أما خوفكم موارد الحِمام؟ أما ذكركم مصارعَ مَنْ قبلكم من الأنام؟ أما رادف عليكم نعمَه في كل قعود وقيام، وكلأكم بعين حفظه في الحركة والسكون واليقظة والمنام؟ أما وعدكم بقبول توبة التائبين رحمة جرت به الأقلام؟ فواللهِ لحقٌّ لهذا الربِّ العظيم أن يُطاع على الدوام، فليت شعري أيقاظ أنتم أم نيام؟ ذاكرون للحقائق أم فقدت الأحلام؟ فيا أيها الشيوخ! بادروا فما للزرع إذا استحصد إلا الصرام، ويا أيها الشباب! اعملوا فربَّ امرئٍ ما بلغ التمام، واحذروا بطشَ ربكم يوم يؤخذ بالنواصي والأقدام، يوم طول الوقوف وتزاحُم الصفوف في ذلك المقام، يوم المناقشة على النقير والقِطْمير وما ربُّك بظلامٍ. جعلني الله وإياكم ممن اتعظ بأمثال هذا الكلام، ووفقنا في كل مقام، ألا وإن أشرف ما قرىء في المجامع، وأفضلَ ما التذَّ به القارىءُ والسامع، كلامُ ربنا الحكيم الواسع، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [لقمان: ٣٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

* * *

الخطبة الخامسة من شهر جمادى الآخرة

الحمد لله الذي له الحمد في الأولى والآخرة، نحمده ونشكره على نعمه الباطنة والظاهرة، ونستغفره لذنوبنا فهو يغفر كبائرَ الإثم وصغائرَه، ونسأله من فضله، فهو الذي لا يُخَيِّب سائلَه ولا ينسى ذاكرَه، ونشهد أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له شهادةً شهدت بتوحيده الآياتُ الظاهرة، ونطقت بتحميده الأفواهُ معترفة بأنها عن الثناء قاصِرَة، ونشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسوله الذي جَمَّل الله خَلْقَه وخُلُقَه، وكَمَّلَ باطنَه وظاهرَه، نبيٌّ جمع الله به بين القلوب المختلفة والأهواء المتنافرة، نبيٌّ شُقَّ له القمر، وجاءت لدعوته الشجرةُ وظللته الغمامةُ أنى سارَ سائرةً. اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه نجوم الأرض والبدورِ السافرة.

أما بعد: أيها الناس! ما للألسُن عن شكر نعم الله قاصرة؟ وما للعيون إلى زهرة الدنيا الفانية ناظرة؟ وما للعيون عن طريق الهداية الواضحة حائرة؟ وما للهمَم عن العمل الصالح فاترة؟ وما للنفوس لا تتزوّد وهي مسافِرة؟ وما لها لا تتأهَّبُ للنُّقْلَة إلى الدار الآخرة؟ أرُكوناً إلى الدنيا وقد كسرت أعناقَ الأكاسرة؟ وقصرَّتَ آمالَ القياصرة؟ وأدارت على أهلها من تقلُّبها الدائرة؟ أم اغتراراً بالإقامة ومطايا الأيام بكم في كل لحظة سائرة؟ أم تسويفاً بالأعمال، فهذه واللهِ هي الصفقة الخاسرة. فاتقوا الله حق تقاته وعظموا نواهيه وأوامره، وتدبروا آياتِه فكم

فيها من موعظة نافعة وعبرة زاجرة. فما هذه الغفلة عن الاتعاظ؟ وما هذه الرقدة وأنتم أيقاظ؟.

لقد رانت [على] القلوب قبائحُ الأعمال، وضربت عليها وعلى المسامع من الذنوب الأقفال؟ فيا خجلةَ من سُئل فعدم الجواب! ويا حسرة من نوقش في الآخرة الحساب! فمتى تُقبلون على الله بصدق القلوب؟ وحتامَ تنتهون من مقارفة الذنوب؟ لا في الصادقين ثبتَ لكم قدم، ولا في التائبين صَحَّت لكم توبةٌ وندم، ولا عند التلاوة تقشعرُّ منكُم الجُلود، ولا عند سماع المواعظ تَرِقُّ قلوبُكم التي هي أقسى من الجُلْمود. فبماذا ترجون لَحاقَ السُّعَدا؟ وكيف تطمعون في الفوز معهم غداً، وأنتم تُتبعون الخطايا بالخطايا، وتبارزون الله بها في البُكَر والعشايا؟! فيا حسرةَ نفوسٍ اطمأنت إلى الغرور! ويا خرابَ قلوبٍ عُمرت بأماني كلُّها باطلٌ وزور! ويا نفاد أعمارٍ ينقص منها كل يوم ولا يُزاد! ويا خيبة مسافر يزعج للرحيل وهو بلا زاد! فالبدارَ عبادَ الله بالتوبة البدار، والغنيمةَ الغنيمةَ قبل خروج وقت الاختيار. جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين، وجنبنا موارد الظالمين. إن أحسن الكلام كلامُ الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[الإسراء: ١٨ـ ٢٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من العذاب الأليم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

* * *

الخطبة الأولى من شهر رجب

الحمد لله الرحمن الرحيم الذي ما برحت عواطفُ رحمته على العباد تعود، الرازقِ لمن في قُعور البحار ومهامِهِ[1] القِفار ومَنْ في المهودِ، الغنيِّ الكريمِ فكلُّ أحد مفتقرٌ إليه وهو جَمُّ العطايا واسعُ الجود، ليس له نِدٌّ ولا ضِدٌّ ولا شبه وليس كمثله شيء في وجوب الوجود، نحمده على فواضل نعمه وهو بكلِّ لسان على كلِّ حال مُسَبَّحٌ معبود، ونشكره شكراً لا انقضاء له دائماً بدوام الوجود، ونشهد أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةَ مخلصٍ لا يُخالجه شَكٌّ ولا جُحود، ونشهد أن محمداً عبدُه ورسوله صاحبُ المقام المحمود، اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه المُوفِين بالعقود.

أما بعد: أيها الناس! ذهب نصفً عامكم هذا وفات، وتقضَّت أيامه ولياليه وأنتم بصدد طلب اللذات، فما أسرعَ ما تصرَّمَت منه الأوقات! وما أكثر ما خطبكم لسان حاله بزواجر العظات! وما أطول ما نادى بكم فيه منادي الشتات! وما أكثر ما قيل فيه فلان مات! فطوبى لمن تداركَ الهفوات قبلَ الفوات، وبشرى لمن لازم تقوى الله وعملَ من الصالحات، وهنيئاً لمن أذهب السيئات بالحسنات، وخيبةً لمن شغلته الملاهي عن طاعة مولاه، وخسراناً لمن باع نفيسَ آخرته بخسيس دنياه، وحسرةً له حين تقول كل نفس: يا حسرتا على

(١) قوله: (مهامه) جمع مهمه، وهو المفازة البعيدة والبلد المقفر. ا.هـ.

ما فرطت في جنب الله! وتعساً له ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ: ٤٠]. ألا وإنها قد أظلتكم أيامُ النصف المقابل، المفتَتَح بالشهر الحرام والأيام الفواضل، فاستقبلوا ـ عبادَ الله ـ بالأعمال الصالحة أوقاته الغُرَر، فإنه وإن قام فيكم برهة على سَفَر، وكونوا من التسويف فيه على حذر، فإن ما ذهب من الزمان يروح بشطر أعماركم ويذهب، وما أتى منه فإنما سعى إليكم بآجالكم وقَرَّب، لقد وعظكم مَرُّ الزمان فأطنب، ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[النحل: ٧٧]. ألا وإن عيون المنايا لكم راصدة، وسهامها لكل حي قاصدة، وإن مناجلَ الأهلَّة لزروع الأعمار حاصدة. فاغتنموا بقية عامكم بصالح الأعمال، وتداركوا ما وقع في الماضي من التفريط والإخلال، فطوبى لمن قضى هذا الشهر بالصيام، وأحيا لياليه بالعبادة والقيام، واستعملَ جوارحهَ في مرضاة الملك العلام، وجانب فيه قبائح الخطايا والآثام. جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين، وجنبنا موارد الظالمين. والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]. ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم. فاستغفروه.

* * *

الخطبة الثانية من شهر رجب

الحمد لله الذي مَنَّ علينا بالإيمان والإسلام، وتفضَّلَ علينا ببيان الشرائع والأحكام، وأحلَّ الحلالَ وحَظَر الحرام، ووعد مَنْ أطاعه الثوابَ في دار السلام، وأوعدَ مَنْ عصاه بالعقاب في دار الهوان والانتقام. نحمده على ما أفاض علينا من الإنعام، ونشهد أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له الملكُ العلام، ونشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه سيدُ الأنام، اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه السادة الأعلام.

أما بعد: أيها الناس! ما للعيون مع الوعيد جامدة؟ وما للقلوب عن الآخرة آبِدَة[1] ؟ وما للهمم عن المعالي راقدة؟ وما للنفوس في الخيرات زاهدة؟ وهي إلى غير التقوى قاصدة؟! فلا العبرُ عن الفساد ناهية، ولا الفِكَر إلى الرشاد داعية، أَعَمِيَتِ البصائر؟ أم خَبُثَتِ الضمائر؟ أم نُسيت الكبائر؟ أم أُمنت الدوائر؟ أما ترون انصرامَ الساعات واخترامَ اللحظات؟ وقيامَ الأدلة على الشتات؟ ولحاقَ الأحياء بالأموات؟ وأنتم تاركون لما قد عرفتموه، شاكُّون فيما قد تحققتموه. حتى كأن غيرَكم المندوب، وكأن سواكم المطلوب، هيهات أدركَ واللهِ الطالبُ مَنْ طلب، وهلكَ الهاربُ إذا هرب. ألا صائنٌ نفسَه قبل أن يُهان؟ ألا دائن نفسه قبل أن يُدان؟ هذا ـ عباد الله ـ مأتَمُ المذنبين، فهل من مُسعفٍ بنحيب؟ وهذا

---

(١) قوله: (آبدة)؛ أي: نافرة. ا.هـ.

مغنم التائبين، فهل من آخذ بنصيب؟ وهذا مُعَرَّسُ الراحلين، فهل من مزمع[1] مستجيب؟ وهذا متجر العاملين، فهل من مُقلع منيب؟ قبل تحدر الدمعة، وتنكر الصرعة، وتعذر الرجعة، قبل حلول البلية، ونزول الرزية، ودبيب المنية، في السبل الخفية، هنالك يَعَضُّ الظالم على يديه تحسُّراً، ويجد ما جنته عليه نفسُه مُسَطَّراً، ويرى ما غاب عنه من عمله مُحْضَراً، ويوفَّى حسابه مستقْصًى محرَّراً، ويحق له من الله الوعدُ والوعيد، فإما إلى نعيم، وإما إلى عذاب يوم تأتي كل نفس معها سائق وشهيد. ألهمنا الله وإياكم حُسْنَ الاستعداد للعاقبة، وأنهضَنا وإياكم للقيام بحقوقه الواجبة، إن أحسن الكلام كلامُ الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. وقال عزَّ من قائل عليم: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣، ٥٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

* * *

(١) قوله: (من مزمع) من أزمع على الأمر: إذا صمم عليه. ا.هـ.

الخطبة الثالثة من شهر رجب

الحمد لله مؤلِّفِ الفِطَرِ على غير مثال سبق، ومُصَرِّفِ القدرَ بمشيئته في كل ما خلق، والمكلِّفِ لعباده مَنْ عقل من بَرِيَّتِهِ ونطق، أحمده مؤمِناً، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له موقناً، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسوله، أرسله ببالغ الحِكَم، وجَلَّله بسوابغ النعم، وأوطأه رقابَ الأمم، وبَوَّأَه جنابَ الحرم، فلم يزل ﷺ بزناد الإيمان قادحاً، وفي عمران الأهواء سابحاً، ولله في كل الأحوال مناصحاً؛ حتى أصبح منهجُ الحق واضحاً، وعاد الفاسد صالحاً. اللهمَّ فصلِّ وسلم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه ما دام نجمٌ لائحاً، وطيب فائحاً.

أما بعد: أيها الناس! سدّدوا أَوَدَ[1] أعمالكم بثقافها[2] وجددوا عُدَدَ آمالكم باستيقافها، ورُدُّوا ذكرَ آجالكم قبل انصرافها، واجتهدوا في العمل الصالح قبل أهوال يوم القيامة وإشرافها، واغتنموا أيام شهر عَظَّم الله قدرَه ومحلَّه، وعَمَّكم ببركته منذ أَهَلَّه، وسماه رجباً حين أعلاه وأجلَّه، فتزودوا منه فقد نفد إلا أقله، واستدركوا بباقيه الفائتَ من ماضيه،

---

(١) قوله: (أود) أَوِدَ؛ كفرح يأود أوداً: اعوجَّ، والنعت للمذكر: آوَد؛ كأحمَر وآدَم، وهي أوداء كحمراء كما يفهم من «القاموس»، و«التاج». ا.هـ.

(٢) الثقاف؛ ككتاب: ما تُسوَّى به الرماح. ا.هـ.

واهربوا[1] إلى ربكم بفعلٍ ما يرضيه، ولا تجعلوا غرورَ ما بكم حاجزاً بينكم وبين آجالكم. فكأن قد سلكت بكم الظنون سبيلَ الخيبة، وهتكت منكم المنون ستورَ الهيبة، فصيرت المنازلَ خالية، والحلائلَ باليةً، والمتحركَ ساكناً، والمقيم ظاعناً. فاجعلوا سيرَ الأولين أسمارَكم، وأَجِيلوا فيما صنع الدهر بالأمم الماضية أفكاركم. أين المعاقل المنيعة؟ والمنازل الرفيعة؟ وأين من أطال الأمل؟ وأرجى العمل؟ واستعذب المهل؟ أمطرتهم واللهِ من الشتات سُحُبٌ هُمَّع، وأحامت عليهم من الأوقات طير وُقَّع، وعصفت عليهم من الممات ريحٌ زَعْزَع، وابتلعتهم الفلاة البَلْقَع، فهم تحت كَلاكلِ الدهر هُمود خُشَّع، قد أضحوا سِيَراً في السلف، وعبراً في الخلف، محت الحوادث مسطورَ نعمهم، وطوت المنونُ منشورَ كرمهم، فديارهم موحشةُ العَرَصات، وآثارُهم وقفٌ على الحسرات، وتذكارهم يواصل سيل العبرات. أما لكم في ذلك ـ عباد الله ـ ما أجرى الدموع؟ وأكسبَ الخشوع؟ وأهبَّ الهجوع؟ وأوجب الرجوع؟ بلى واللهِ لو لم يكن إلا الموتُ وحده، فكيف وهو أيسر مما بعدَه؟.

فتح الله لنا ولكم أقفال القلوب، ويسر لنا ولكم الوصول إلى كل مطلوب. إن أحسن الكلام كلام الملك العلام، والله تعالى يقول، وقوله الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٢٦ـ٢٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر

(١) هرب يهرب هرباً ـ بالتحريك ـ من باب نصر كما تدل عليه قاعدة إطلاقه، وهو الصحيح، واغتر بعضٌ بالمصدر المحرك فقال: إنه من باب فرح، وآخرون: إنه من باب فتح، لوجود حرف الحلق، وجهل أن حرف الحلق إذا كان في أوله فإنه لا يعتد به، وآخرون: إنه من باب ضرب، والصحيح الأول. ا.هـ. «تاج العروس».

الحكيم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم، وأجارني وإياكم من العذاب الأليم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

* * *

الخطبة الرابعة من شهر رجب

الحمد لله منزلِ القرآن، وخالقِ الإنسان، ومعلِّمِه البيان، الذي استوى على العرش، وزين السماء بالكواكب، وجعلها رجوماً لكل شيطان، قضى وقدَّر فلا قائل لتقديره: لِمَ كان؟ فسبحان من سبحته غرائب اللغة باختلاف الألحان. أحمده على نعمه التي عَمَّت الآباء والأبناء والإخوان، وأشكره والشكرُ أولى ما استعمل فيه الإنسانُ اللسانَ والجَنان والأركان، وأستعينه وأستهديه، وما خاب من استهداه واستعان. وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، شهادةَ مَنْ علم أنه خلق الزمان والمكان، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله، المبعوثُ بأحسن الأديان، المنعوتُ في التوراة والإنجيل بالصفات الحِسان. اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ سيدِ ولدِ عدنان، وعلى آله وأصحابه الذين نصروه فكانوا نعمَ الأنصارُ والأعوان.

أما بعد: أيها الناس! اسلكوا سبيل الهدى فقد وَضَحَ الحقُّ واستبان، وتجنبوا مسالك الغفلة والفسق والعصيان، واعمروا القلوب بالتقوى وكُفُّوا النفوس عن الشهوات عند التَّوَقان، واندبوا الذنوبَ بفيض الدموع، ومواصلةِ الأحزان. فيا من أضاعَ الشبابَ في المعاصي، وعند المشيب يندم على ما كان! ويا تائهاً في تيه الغفلة، نهارك للأسباب، وليلك للرقاد، هذه علامة الخسران، اسرح على ساحل التوبة، وقَوِّ عزم الندم على ما سبق من العصيان. أما علمت أن النفوس إذا

ذُكِّرت تذكَّرت؟ فذكِّرْ نفسك أيها الإنسان، فكم لها من تَلَهُّفٍ عند رحيل الأظعان، ومفارقة الأقران! وكم لها من تأسُّفٍ عند حلول البأس، ونزول الحدثان! وكم لها من تشوقٍ لمجاورة الحور والولدان! فلاطفها بحديث الزاهدين كيف تركوا الأوطان؟ وعُجْ بها على وادي الرجاء فعسى تأنس بالمهتدين من الخِلان. فما أطيب عيشَ العارفين بالله العزيز الرحمن، فأحوالهم ما بين روحٍ من الصدق وريحانٍ، والمحرومُ لاهٍ غلبتْه الغفلة، واستولى عليه الشيطان، فاللهَ اللهَ في نصة[1] هذا الشهر الحرام، فقد اختص فيه نبينا بما لم يخطر على قلب بشرٍ ولا جانٍ، عرج فيه بجسده الشريف، وسمع فيه صرير الأقلام، ووصل إلى محلٍّ لم يصلْه غيره، وفرض الله عليه فيه الصلوات الخمس، وسمعَ الأذان، وعاد في ليلته تلك إلى فراشه، وأصبح يدعو الخلقَ إلى الإيمان. فاشكروا الله على ما خصَّ به نبيكم، وتأهبوا للقاء الله في السر والإعلان.

جعلني الله وإياكم ممن إذا نُبه انتبه، وأوضح لي ولكم من طُرق الحق ما اشتبه. إن أحسن الكلام كلام الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣١، ٣٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من العذاب الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

(١) قوله: (في نصة... إلخ)؛ أي: في غُرتِّهِ وناصيته. ا.هـ.

الخطبة الخامسة من شهر رجب

الحمد لله العليِّ الكريمِ الوهاب، والحمد لله الذي يعطي من فضله من يشاء بغير حساب. نحمده على ما أطال من فضله وأطاب، ونشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له الرحيمُ التواب، سبحانه لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه مَتاب، ونشهد أن محمداً عبدُه ورسوله المنتخَبِ من أشرف الأنساب، المؤيَّدِ بجنود الملائكة كما جاء في الكتاب، اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه خير آل وأصحاب.

أما بعد: فأوصيكم ـ عباد الله ـ ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله يا أولي الألباب، واحذروه كما حَذَّرَكم نفسَه في الكتاب، واذكروه فإنه يذكر مَنْ ذكره ويقبلُ من إليه أناب، وراقبوه فإنه الشهيد الذي لا يَحْجُب عنه حجاب، ولا يخفى عليه ما مدت عليه الستورُ وأغلقت دونه الأبواب، سواءٌ في علمه ما خفي وما ظهر وما حضر وغاب، واجتنبوا المعاصي فإنها المُفْضِية إلى أعظم الأسباب، وتوبوا إليه فإنه غافر الذنب وقابل التوب شديدُ العقاب، وأنيبوا إلى ربكم وأسلِموا له من قبلِ أن يأتيكم العذاب، وتوبوا إليه بطاعاته تفوزوا منه بحسن الثواب، وتَحَبَّبوا إليه فإنه يحبُّ من عباده كل محسنٍ تواب، وبادروا ـ رحمكم الله ـ فإن الأعمار سريعة الذهاب، وإن الأيام والليالي تمر بكم مرَّ السحاب، واحذروا الدنيا فإنها وشيكة الانقلاب، حياتُها إلى ممات، وعمرانُها

إلى خراب، ومهدوا لأنفسكم بالأعمال الصالحة في بيوت التراب، بيوتٍ مظلمةِ الأرجاء مقفرةٍ عن الأخلاء والأحباب، شديدةِ الوحشة والوحدة طويلةِ الاغتراب. فيا أيها الغافلون! تيقظوا فإليكم يوجَّه الخطاب، ويا أيها النائمون! انتبهوا قبل أن تناخ للرحيل الركاب، قبل هجوم هاذم اللذات ومُذِلِّ الرقاب، فيا له من زائرٍ لا يُضرب دونه الحجاب، ونازلٍ لا يستأذن على الملوك ولا يَلِجُ من الأبواب، لا يرحم صغيراً ولا يوقر كبيراً ولا يخاف عظيماً ولا يَهاب، ألا وإن بعده ما هو أعظمُ منه من السؤال والجواب، وإن وراء جميع ذلك هولَ المحشر وأحوالَه الصعاب، وطولَ المقام وتضايقَ الأقدام وشدةَ الحساب. جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين، وجنبني وإياكم موارد الظالمين، إن أحسن الكلام كلام الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾[طه: ٧٤_٧٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

* * *

الخطبة الأولى من شعبان

الحمد لله الذي خَصَّ شعبانَ بتشعُّب الخيرات والإحسان، وعَظَّمَ حرمتَه على سائر الشهور بليلة نصفِه العظيمة الشان، نحمده فهو أهلُ الحمد وإنْ من شيء إلا يسبح بحمده من جمادٍ وحيوانٍ، ونشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةً ترجِّحُ الميزان، وتذودُ مَنْ أخلص بها من العذاب، وتوصِلُه إلى نعيم الجنان، ونشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله الذي نسخ بدينه الأديان، نبيٌّ بشر به كلُّ نبيٍّ قومه، وخصه الله بالقرآن، ونصره الله بالرعب على مسيرة شهر من الزمان، نبيٌّ من صلى عليه مرةً واحدةً، صلى الله عليه عشراً، ومن لم يصل عليه فقد باء بالخسران، اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه الذين هم لأهل الأرض أمان.

أما بعد: أيها الناس! إن نعم الله تعالى قد عَمَّت البواديَ والأمصار، وإن نعم الله قد شملت البادين منكم والحُضَّار، وإن نعم الله لا تُحصى بعدٍّ ولا تُحَدُّ بمقدار ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. فكم أسدى معروفاً، وكم أعان ملهوفاً، وكم ساق إنعاماً وإفضالاً، وكم والى لخلقه من عطائه نوالاً! فاشكروا آلاء الله، وما من به مَنَّ تفريج الكروب، واذكروا الله كثيراً ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وتضرعوا بألسنة الدعاء والافتقار، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار، فاتقوه واحمدوه على كل حال، وارغبوا إليه في حراسة النعم عن الزوال، وتوبوا

إليه من قبائح الأفعال والأقوال، واحذروا المعاصي فإنها جالبة النقم، ومغيرة النعم والأحوال، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]، ولا تغرنكم الدنيا؛ فإن حظها مشؤوم، وإن نعيمها وإن طال لا يدوم، ولا تصدنكم عما خُلقتم له من عبادة الحيِّ القيوم، ولا يخدعنكم طولُ الأمل؛ فإن الأجل محتوم، ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ﴾ [البقرة: ٢٣١]، وراقبوا الله فإنه المطلع على جهر العبد ومكنون قلبه، واعلموا أنكم اليوم في شهر عظيم مشهور، وزمانٍ جاء بفضله الأثرُ المأثور(١)، وكان يكثر صيامه نبينا محمد الأمين، وورد(٢) أن الأعمال فيه تعرض على رب العالمين، فلمثله فليعمل العاملون، وفي مثله فليتنافس المتنافسون. جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين، وجنبنا موارد الظالمين.

إن أحسن الكلام كلامُ الملك العلام، والله تعالى يقول، وقوله الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من العذاب الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

---

(١) وفي «الصحيحين» من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ، قالت: «كان ﷺ يصوم شعبان كله، وكان يصوم شعبان إلا قليلاً» ا. هـ.

(٢) أي: ورد مضمون أن الأعمال تعرض فيه على رب العالمين كما في «شرح الجامع الصغير» للمناوي. ا. هـ.

الخطبة الثانية من شهر شعبان

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خِلْفة لمن أراد أن يذَّكر أو أراد شكوراً، وفَضَّلَ بعضَ الأزمنة على بعض أياماً وشهوراً، وجعل فيها مواقيت الفرائض والسنن وأعدَّ للعاملين أجراً كبيراً، ونشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له أنزل الكتاب على عبده ليكون للعالمين نذيراً، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسلَه رحمة وسراجاً منيراً. اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله الذين أذهبتَ عنهم الرجسَ وطَهَّرتهم تطهيراً.

أما بعد: فأوصيكم ـ عباد الله ـ ونفسي بتقوى الله، فاتقوه ـ رحمكم الله ـ. أيها الناس! إن في اختلاف الليل والنهار لآيات ظاهرة، وإن في تعاقب الليالي والأيام لعبرةً زاجرة، وإن في تقلب الأحوال لعظةً كافية، فما للعقول عن فهم الحقائق قاصرة؟ وما للقلوب عن المواعظ نافرة؟ وما للهمم عن العمل الصالح فاترة؟ ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠ـ٢١]. أما رأيتم كيف تسير بكم الليالي والأيام؟ أما شاهدتم سرعة مرور الشهور والأعوام؟ أما عاينتم ما بين ذلك من تقلب أحوال الأنام؟ أما كُلُّ حِصَّةٍ من الزمان تذهب بحصة من الأعمار؟ وفي كل لمحة وخطرة يُسار بنا إلى منازل دار القرار. فوا عجباً لواقف وهو في حال وقوفه يرحل، ولراكب لا يدري إلى أيِّ الدارين يُحمل، ألا وإنكم في أوان تمحى فيه الذنوب، وزمانٍ تستر فيه بفضل الله العُيوب، وفي شهر تعرض فيه

الأعمال على علام الغيوب، شهر جاءت بفضله الأخبار، وكان يصوم أكثره نبينا المختار، وطالما عَظَّم شأنه المتقون الأخيار، وإن ليلةَ نصفِه تُكتب فيها الأرزاق والآجال، ويقدر فيها ما هو كائن في السنة الآتية من جميع الأحوال، تفتح فيها أبوابُ رحمة علامِ الغيوب، وتُفك فيها الرقابُ من أسر الذنوب. فاغتنموا ـ رحمكم الله وإياي ـ في شهركم هذا صالح الأعمال، وحاسبوا أنفسكم في جميع الأحوال، وراقبوا الله تعالى في الأفعال والأقوال، فرحم الله امرأً عَمَرَ بالطاعة لياليه وأيامه، وأحسن بالتوبة النصوح من هذا الشهر ختامه، ألا متعرِّضٌ لنفحات البَرِّ الرحيم؟ ألا قارعٌ بابَ التوبة ليفوز بالتكريم؟ ألا خائفٌ من سوء الحساب؟ ألا خجلٌ من العرض على ربِّ الأرباب، قبل أن تؤذن الديار بالخراب، وتندب النوادب على فراق الأحباب؟

جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين، وجَنَّبنا مواردَ الظالمين. إن أحسن الكلام كلام الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[الدخان: ١ـ٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

الخطبة الثالثة من شهر شعبان

الحمد لله رب العالمين، موجدِ الأشياء بلا مُعين، الذي خلق الإنسان من طين، وجعلَ نسله من سلالةٍ من ماء مهين، وأبرزه للوجود بعد أن كان نطفة في قرار مكين، وصوره بأحسن تصويره ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]. أحمده وأدعوه بما هو أهله، فهو أهل الحمد ومولاه، وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، الذي عَلِمَ كلَّ شيء فأحصاه، وعَمَّ بفضله من خلقه مَنْ أطاعه وعصاه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ومصطفاه ومجتباه. اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه ومن والاه.

أما بعد: ابن آدم! ادّعيت معرفةَ مولاك على طريق الإجمال، وتلفظت بكلمة التوحيد كتلفظك ببعض الأقوال، وتكبرت عن تعلُّم ما يجب على مثلك في مثله السؤال، وانخنست عن مجالس الذكر، أفأنت على الله تختال؟ كلا، لا قَبول لما عملت، ولا إقالة إن ندمت، ولستَ بمعذور عن التعلم والسؤال. أتظن البكاءَ مع غير الجميل ينفع؟ أو الموعظةَ بغير العلم تردع؟ أو الخشوعَ لدى الخطب يدفع؟ حاش لله أن تسكن الخشية قلوبَ الجاهلين، أو يُفزع الوعظُ ضمائر المتكبرين، أو تلتذ بحلاوة الإيمان مسامعُ الغافلين. فما كل من ادعى الحبَّ صدق، ولا كلُّ مهرولٍ لغير طريق سبق، وإنما الدين أمانة حملها العارفون، وقام بحقوقها الخائفون، ورفضها من وراء الظهور الفاسقون. فيا معشر الجمع

الغفير! ويا حوادث البدع والتغيير! لماذا جبلتم النفوس على التزوير؟ وتفاوهتم بألسن التغيير؟ أأنتم عن الحق حائرون؟ أم الدين كدَين به تتماطلون؟ أم أنتم بجناب الله متساهلون؟ تالله ليقرعنكم سوطُ الحِمام، ثم ليوبخنكم أهوال يوم القيامه، فإلى كم تتكالبون على الدنيات؟ وتتعاونون على الخزيات؟[١] وتنطقون بما ليس في الطويات. فارفضوا ـ عباد الله ـ ما تتشاغلون به من الأشغال التي لا تفيد، واتركوا ما تتجاهلون به من الجهل الذي لا يَبيد، أما سمعتم في القرآن المجيد: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٢ـ١٦]. جعلني الله وإياكم ممن إذا نُبِّه انتبه، وأوضح لي ولكم من طريق الحق ما اشتبه. إن أحسن الكلام كلام الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨] أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[الأحزاب: ٧٢، ٧٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من العذاب الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

* * *

---

(١) قوله: (الخزيات) هي البليات وزناً ومعنى ا.هـ.

الخطبة الرابعة من شهر شعبان

الحمد لله على كل حال وفي كل حال، والحمد لله حمداً يستدعي مزيد الإفضال، حمداً يليق بما له من العظمة والجلال، وحمداً يصعد مع الكلم الطيب، ويرفع في عليين صالح الأعمال، وحمداً تزين به من الأيام البُكَر والآصال، ونشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له الكبيرُ المتعال، ونشهد أن محمداً عبدُه ورسوله خاتمُ سلسلة الإرسال. اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه، وتابعيهم في كل حال.

أما بعد: أيها الناس! ليس الأسف على دنيا آخرها الفوتُ والخراب، ولا على أحوال نهايتها التحولُ والانقلاب، ولا على حطام حلالُه حساب، وحرامُه عقاب، ولا على أعمار يتمنى المرءُ طولَها فإذا طالت ملَّت، ولا على مساكن كلما امتلأت بأهلها أقفرت عنهم وتخلَّت، إنما الأسف على ليال تنقضي على فرش الغفلات، وعلى أيام تمضي في اتباع الشهوات، وعلى أوقات تنطوي على عثرات وهفوات، وعلى أنفاس لا قيمة لها تذهب ثم لا ترجع، وعلى نفوس يناديها لسان الشتات وهي لا تُقْلِع، وعلى خطايا محسوبٍ صغيرُها وكبيرُها، وقلوبٍ غافلةٍ وقد جاء نذيرُها، وأعوامٍ سريعٍ مرورُها، وشهور كثير كُرورُها. ألا ترون شهر شعبان كيف بان عليه أثر المِحاق، وعما قريبٍ يؤذِنُ بالرحيل عنكم والفراق. فيا خيبةَ مَنْ ضيع منه الليالي والأيام، ويا حسرةَ من

انسلخ عنه بقبائح الآثام، ويا خسارةَ من كانت تجارته فيه الذنوب، ويا ندامةَ من لم يتب فيه إلى علام الغيوب. كيف يكون إذا برز الصادقون الأولون؟ وحين يكون الإبعاد إذا قُرِّبَ المخلصون؟ يا لها حسرةً لا تنقضي أبدَ الآباد، وندامةً لا ينقطع كمدُها يوم التناد. فتيقظوا ـ رحمكم الله وإياي ـ فالعبرُ بمرأى منكم ومسمع، وطالما ناداكم لسان الزواجر فأسمع.

فيا أيها الشيوخ! بعدما عاينتم من العبر بماذا تتعظون؟ ويا أيها الشباب! حتام من نومكم تستيقظون؟ أللدنيا خُلقتم؟ هيهاتَ إنها خيالاتُ منام، وأضغاثُ أحلام، وشبابٌ آخره هرمُ المشيب، وصحةٌ عاقبتها داءٌ لا ينفع فيه الطبيب، وعيشٌ وإن حلا أولُه فآخره مرُّ المذاق، وتلاقٍ وإن طال فلا بد أن تقصره أيدي الفراق، وأجسادٌ منعمة تأنف من التراب وهي إلى التمرغ فيه تُساق، وذخائرُ تُجمع للنفاد ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]. جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين، وجنبنا موارد الظالمين.

إن أحسن الكلام كلام الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[النساء: ٧٧، ٧٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

* * *

الخطبة الخامسة من شهر شعبان

الحمد لله الكبيرِ المنان، الواحدِ الأحدِ الكريم الديَّان، والحمد لله الذي لا نُحصي ثناءً عليه وهو البادىء بالإحسان، والحمد لله الذي لا يبلغُ غايةَ حمده إنسان، ونشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له ولا يشغَلُه شان عن شانٍ، المتفردِ بصفات الكمال، المخصوصِ بنعوت الجلال، الباقي وكلُّ من عليها فان، شهادةً سعد قائلها يوم الفزع الأكبر بفضيلة الأمان، ونشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ إلى الإنس والجان، المنعوتُ بالخلقِ العظيم، والسمتِ القويم، الذي وصفه القرآن. اللهم صلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه ساداتِ أهل الإيمان.

أما بعد: أيها الناس! قد استبان لكم السبيل فهل من سالك؟ وقد استنار الدليل فهل من طالبِ أحسنَ المسالك؟ وهل من مشمِّر للعمل لجنةِ سُرُر وأرائك؟ فواللهِ ما لذة العيش وطيبُه إلا هنالك، فأين المُجِدُّون في الاستعداد لذلك؟ وأين الخائفون من عذاب نار خازنُها مالك؟ ألا واقٍ لنفسه مواردَ المهالك؟ ألا مستعدٌّ للثبات إذا زل قدم الهالك؟ أين النادمون على الإجرام؟ أين التائبون عن الآثام؟ أين الباكون من خشية الملك العلام؟ أين المجتهدون في العمل لدار السلام؟ أين الراغبون في جزيل الثواب؟ أين المشفقون من أليم العذاب؟ أين الوَجِلون من غضب ربِّ الألباب؟ أين العاملون ليوم الحساب؟

فذلك واللهِ يومٌ لا يجزي والد عن ولد، وهنالك موقف لا يُغني فيه أحد عن أحدٍ، فاتقوا الله ـ رحمكم الله ـ قبل الممات، وتداركوا الهفوات قبل الفوات، وبادروا فإن أجل الله لآت، وإنكم لا تدرون أفي العشية يأتي أم في البيات. ألا وإن الأعمال تطوى وأنتم على فُرُش الغفلة عاكفون، وإن مطايا الأيام تقطع بكم المسافة وأنتم واقفون. ألا ترون شهر شعبان كيف بانَ عليه المِحاق؟ وعَمَّا قريبٍ يؤذِن بالرحيل عنكم والفراق، فانظروا شهرَ شعبان كيف ذهب! كأنه ساعةٌ من نهار، وتصرمت أيامه ولياليه كلمحٍ من لمحات الأبصار، هذا ومواعظه تُتلى عليكم ليلاً ونهاراً، وحوادثُه تجول فيما بينكم يميناً ويساراً، ألا وإنه قد حان من شعبان الارتحال، وآن من شهر الله الكريم الإقبال. فيا له من شهر تُقال فيه العثرات، وتُجاب فيه الدعوات، فيه تفتح أبواب الجنان، وفيه تغلق أبواب النيران، وفي كل يوم منه عند الإفطار يعتق الله سبعين ألف عتيق من النار، وفيه ليلة القدر التي ما أناب إلى الله فيها منيب إلا منَّ عليه بالقبول، ولا تعرض لمعروفه متعرضٌ إلا جاد له بالسُّول، فتأهبوا ـ رحمكم الله ـ لاغتنامه، وواظبوا على الطاعات في لياليه وأيامه. وجعلني الله وإياكم ممن رغب في صالح الأعمال، ووقانا شرور أنفسنا في الحال والمآل.

إن أفضل ما خُطب به في المشاهد، كلامُ الله الأحدِ الواحد. والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ﴾[البقرة: ١٨٣ـ ١٨٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

* * *

الخطبة الأولى من شهر رمضان

الحمد لله الذي جعل الصيامَ جُنَّة من العذاب، وفضَّلَه على سائر الأعمال فهو يجزي به بغير حساب، والحمد لله الذي فضل شهرَ رمضان وأنزلَ فيه الكتاب، وخص فيه أمة محمدٍ ﷺ بمزيد التكريم والثواب، ومنحهم فيه ما لا يحصى من فيض نوال وقبولِ أعمال ودعاءٍ مستجاب، ووعدهم فيه شمولَ الرضا وعتق الرقاب. نحمده ولا نحصي ثناءً عليه حمدَ مَنْ إليه أناب، ونشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له شهادةً كافلة بحسن المآب، ونشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه المخصوصُ بجوامع الكَلِم وفصلِ الخطاب، الذي منَّ الله به على المؤمنين يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب. اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه خيرِ آلٍ وأصحاب.

أما بعد: أيها الناس! فحتام التواني وحَتَّامَ الحساب، والأيام والليالي بالأماني والأعمال كلَّ ساعة في ذهاب، أقسوة بالقلوب فنبهوها بزواجر الكتاب، أم غفلة فذكِّروها إنما يتذكر أولو الألباب. فاتقوا الله فإن الجنة يورثها من عباده من كان تقياً، واعملوا في شهرٍ طوبى لمن كان فيه عند ربه مَرْضياً، من صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه نقياً، ومن تركه فلم يغفر له فبعداً له حديثاً نبوياً، وقد جاء في الحديث المأثور: أنه[1] سيدُ الشهور، وأنه تُضاعف

(١) رواه البزار والبيهقي، كذا في «الجامع الصغير» ا.هـ.

فيه الأعمال وتُوَفَّر الأجور، وتُحَطُّ فيه الخطايا والأوزار، وتستجاب فيه الدعوات، وتُقال العثرات، ويباهي ربنا بالصائمين الملائكةَ الأبرار، وأن لله في كل ليلة منه عندَ الفطر عتقاءَ من النار، سائلُ اللهِ فيه لا يَخيب، وذاكرُه مغفور له فخذوا من ذكره بنصيب، فهو شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، في أول ليلة منه تفتح أبواب الجنان، وتغلق أبواب النيران، ألا وإنه شهر التلاوة والأذكار، وشهرُ صيام النهار وقيام الأسحار، شهرٌ أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتقٌ من النار، شهرٌ النافلةُ فيه كفريضة[(١)]، والفريضة فيه بسبعين، ومن فَطَّر صائماً كان له مثلُ أجره بيقين، شهرُ الصدقةِ وصلةِ الأرحام، وشهرُ الصبر ومواساة المحتاج من الأنام، فقد كان نبينا ﷺ أجودَ الناس وأجودَ ما يكون في رمضان، كان حين يلقاه جبريل فيدارسُه القرآن، وكان عند رؤية الهلال يسأل الإيمان والأمان، وكان من سنته تأخيرُ السحور[(٢)] وتعجيلُ الإفطار، فحافظوا على سنته، واهتدوا بهديه تنالوا المزيد في دار القرار، وإياكم أن تَمْحَقوا[(٣)] هذه العبادةَ باقتراف المآثم، فعنه ﷺ: «من لم يَدَعْ قولَ الزور والعملَ به، فليس لله حاجةٌ في أن يدعَ طعامَه وشرابه»[(٤)]، وقال: «من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصة ولا مرض، لم يقضِه صومُ الدهر كلِّه وإن صامه»[(٥)].

جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين، وجنبني وإياكم موارد الظالمين. إن

---

(١) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» ا. هـ.

(٢) السحور ـ بفتح السين ـ: اسم لما يتسحر به، و ـ بالضم ـ: الفعل ا. هـ. قسطلاني و«فتح الباري».

(٣) محقه يمحقه محقاً؛ من باب نفع: نقصه، وأذهب منه البركة، وقيل: هو إذهاب الشيء كله حتى لا يرى له أثر. ا. هـ.

(٤) رواه البخاري. ا. هـ.

(٥) رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه والدارمي والبخاري في ترجمة باب، وقال الترمذي: سمعت محمداً ـ يعني: البخاري ـ يقول: أبو المطرس الراوي لا أعرف له غير هذا الحديث، قاله في «المشكاة»، وقال المناوي: ضعيف، وإن علقه البخاري. ا. هـ.

أحسن الكلام كلام الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[الحج: ٧٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم، وأجارني وإياكم من العذاب الأليم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

* * *

الخطبة الثانية من شهر رمضان

الحمد لله الذي جعل الصيامَ جُنَّةً من العذاب، وكفارةً للآثام، والحمد لله الذي كتب صيامَ رمضان، وجعله أحدَ أركان الإسلام، وأنزل فيه كتابه الفارق بين الحلال والحرام، وفتح به أبوابَ رحمته، وضاعف فيه الإنعام. نحمده كما يجب لجلاله فهو ذو الجلال والإكرام، وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةَ مَنْ قال: ربي اللهُ ثم استقام، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه الداعي إلى دار السلام، نبيٌّ جاءت لدعوته الأشجار، وسار بسيره ظلُّ الغمام. اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أفضلَ صلاةٍ وأزكى سلامٍ.

أما بعد: فأوصيكم ـ عباد الله ـ ونفسي بتقوى الله، فاتقوه يا أولي الألباب وخافوه ولا تقنطوا من رحمة الله؛ فإنه غافر الذنب وقابلُ التوب شديد العقاب، واخشوا يوماً ترجعون فيه إلى الله للجزاء ومناقشة الحساب، واحذروا بطشته الكبرى في يوم يخضع له فيه عالي الرقاب، يومٍ تستوي فيه الأغنياء والفقراء، وتتناكر فيه معارف الأنساب. فشمروا ـ رحمكم الله ـ قبل أن تصيروا أسارى المَنون، وقبل أن تسلكوا سبيل من سلف من القرون، قبل أن تجري لفراقكم من العيون عيون، قبل أن تستبدلوا عن فسيح ظهور الأرض مضايقَ البطون، قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون. فيا سكان هذه الدار! واللهِ إنها بكم لمسافرة، ويا مقيمون والأيامُ والليالي بهم سائرة، فإنما الدنيا مراحل إلى منازل الآخرة.

فالعزيمةَ العزيمةَ في شهر العفو والغفران، والغنيمةَ الغنيمةَ في شهر الرحمة والرضوان، شهرِ البركة الشاملة والإحسان، فهو شهر كفارات الذنوب، وصفاءِ الفكر ورقة القلوب، وإقالةِ العثرات وسترِ العيوب، شهرٌ ما أناب إلى الله فيه منيبٌ إلا منَّ عليه بالقبول، ولا تعرَّضَ فيه لمعروفه متعرضٌ إلا جاد عليه بالسُّول، فاغتنموا ـ رحمكم الله ـ وأنتم في مكان الإمكان، وبادروا قبل أن ينقضي عنكم شهر رمضان، وإياكم أن تمحقوا صومكم بالفسق والعصيان، والغيبة والسبِّ والكذب والبهتان، واستكثروا فيه من طاعة الملك الغفار، ومراقبته في الإعلان والإسرار، وسؤال الجنة والتعوذ من النار، وملازمة التوب من جميع الخطايا والأوزار، وتلاوة كتابه العزيز مع التفكر والتدبر والاعتبار، والصمتِ والخشوعِ والسكينة والوقار؛ فإن القرآن حبلُ الله المتين، ودينُه القويم، ومن اعتصم به هُدي إلى صراط مستقيم، فاعملوا بمحكماته، وآمنوا بمتشابهاته، واعتبروا بأمثاله، وقفوا عند حرامه وحلاله، ورتلوه ترتيلاً، واجعلوا لبيوتكم حظاً من قراءته بكرةً وأصيلاً.

جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين، وجنبنا موارد الظالمين. إن أحسن الكلام كلام الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[الزمر: ٢٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من العذاب الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

* * *

الخطبة الثالثة من شهر رمضان

الحمد لله الذي جعل الصيامَ جُنَّة من النار، وفضَّل شهرَ رمضان بما خصَّه من الخصائص والآثار، وخصَّ فيه هذه الأمة بليلة القدر التي من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من الأوزار، نحمده على هذه المنن العظيمة المقدار، ونشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له العزيزُ الغفار، شهادةً تبلغ قائلَها نهايةَ الأوطار، ونشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه المصطفى من خيار الأخيار، نبيٌّ شُقَّ له القمر، وسَبَّحَ بكفه الحجر، وجاءت لدعوته الأشجار، اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه النجوم والأقمار.

أما بعد: أيها الناس! قد رأيتم تَصَرُّمَ الليل والنهار، وشاهدتم ما يصنع مرورُهما بهذه الأعمار، وعاينتم من مواعظهما ما فيه مزدَجَر لأولي الأبصار، وتبين لكم سرعةُ مرورهما ومسيرهما بكم عن هذه الدار، فالغنيمةَ الغنيمةَ، والبِدَار البدارَ، قبل هجوم ما لا يُدفع، ونزولِ ما لا يُنَجِّي منه فرار. ألستم على سفر؟ فتزودوا قبل أن يقال: الرحيل الرحيل وأنتم بلا زاد. ألستم على يقين من النقلة عن فسيح الأرض إلى مضايق الألحاد؟ فمهدوا لأنفسكم في بيوت ليس لها سوى التقوى من مهاد، واستعدوا لمعادكم؛ فالحازمُ من لم يقصر في الأُهبة والاستعداد. واعلموا أنكم في شهرٍ الفائزُ من جاء فيه بعمل مبرور، والخاسرُ المحجوبُ من انسلخ عنه بذنب غير مغفور، ألا وقد تقضَّت منه غررُه وأوائلُه

العظام، واستقبلتم منه وسائطَ هنَّ وسائطُ عِقْدِ النظام، وخواتيمَ هنَّ لأيامه مسكُ الختام، فاجتهدوا فيهن بصالح العمل، قبل ما لا يدفع إذا نزل، وحلول ما ليس لأحد به قدرة ولا قبل. أما آن لأهل الغفلة أن يتعظوا بزواجر الكلام؟ أما آن لأهل الفكرة أن يتذكروا مصارعَ الحِمام؟ أما آن لأهل العجز أن ينهضوا للعمل لدار السلام؟ أما آن لأهل الكسل أن يغتنموا هذه الليالي والأيام؟ لياليَ وأياماً كلُّها أسرار وأنوار، لياليَ وأياماً تُمحى فيها الخطايا والأوزار، لياليَ وأياماً يكثر فيها عتقُ الرقاب من النار، ما أطيبَ المناجاة فيها لله عند الأسحار! وما أسرعَ إجابة الدعوات عند الإفطار! وما أحسن أوقاتَها من قيام وصيام وتضرُّع واستغفار! فاغتنموا فضلَ ربكم ذي الفضل والإحسان، وتعرضوا لنفحاته في أوقات شهركم الحِسان.

جعلني الله وإياكم ممن سارع إلى الخيرات، وجانب في أيام شهره هذا جميع السيئات. إن أحسن الكلام كلام الملك العلام، والله يقول وقوله الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[الحديد: ٢١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

الخطبة الرابعة من شهر رمضان

الحمد لله غافرِ الذنبِ، وقابلِ التوب، شديدِ العقاب، والحمد لله الذي أكرم المتقين من عباده بأن لهم طوبى وحسنَ مآب. نحمدُه على ما منح من العطايا فهو المنعم الوهاب، حمداً يكون كفيلاً بالمزيد ونيل جزيل الثواب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عَنَتْ له الوجوه وخضعت له الرقاب، وتَعَفَّرت لجلال عظمته وجوهُ العظماء بالتراب، ونشهد أن محمداً عبدُه ورسوله الناطقُ بالصواب، والمؤيد بالمعجزات التي بهرت الألباب. اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه قرناء الكتاب.

أما بعد: أيها الناس! تأهبوا للرحيل فقد وقع بكم الإزعاج، وعالجوا أدواءكم فقد أمكنَكم العلاج، هذا ـ عبادَ الله ـ شهرُكم سيدُ الشهور، والفاتحُ لأغلاق الصدور، المنقذ من ورطات الثبور، المخصوصُ بليلة كلُّ أمر فيها مقدور، اختارها الله على ألف شهر، وقال: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القدر: ٥]. ما أدركها داعٍ إلا استُجيب دعاه، ولا أناب فيها منيبٌ إلا فاز بالقبول والجاه، فأين النظر بعين الاعتبار؟ وأين التدبر بحقائق الاستبصار؟ وأين التفكرُ في تصاريف الليل والنهار؟ أنسيتم قولَ عالم الجهر والإسرار: ﴿إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩]؟ فيا أيها المغرورُ بطول أمله، والغافلُ عن حلول أجله! هذا أوانُ الجد والاجتهاد، والتزوُّد ليوم المَعاد، في

أيام لعل مثلَها لا يعود إليك حتى يعالجك الممات، وفي شهرٍ لعل نظيره لا يعود عليك إلا وأنت فيمن فات. فرحم الله امرأً أيقظ قلبه من سِنَة هواه، واختار لنفسه ما يحمد عما سواه، قبل أن تترامى به الأقدار، وتتوحشَ منه الديار، ولا يُسمع منه الاعتذار، قبل أن يصير مستقبلُ أملِه ماضياً، ومشيدُ أجلِه واهياً، وجديدُ جسده خَلَقاً بالياً، ورفيعُ صيته مَنْسِياً متلاشياً. هذه واللهِ سبيلُكم أيها الجاهلون، وعما قليل أنتم مقبورون، ومن الأجداث إلى ربكم منشورون، وبين يديه موقوفون، وعما قدمتم مسؤولون، ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٥] ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣].

جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين، وجَنَّبنا موارد الظالمين. إن أحسن الكلام كلام الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[القدر: ١ـ ٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

* * *

الخطبة الخامسة من شهر رمضان

الحمد لله العليِّ المجيد، الوليِّ الحميد، المتوحِّدِ في كبريائه من غير تكييف ولا تحديد، خلق الخلائق وصوَّرَهم فأحسنَ صورهم، وبشرهم في الجنة بالنعيم والتخليد، وهداهم إلى معالم دينه، ومدَّ لهم موائدَ كرمه في دار لا تبلى ولا تَبيد، وألزمهم شكرَه وأظهر لهم من فضله المزيد، وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له؛ شهادةً صادرةً عن خالص التوحيد، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله الذي أذلَّ الله به كلَّ جبار عنيد. اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أئمةِ العدلِ والتوحيد.

أما بعد: أيها الناس! إن شهر رمضان قد شمر عن ساقٍ، وآذن بوداع وانطلاق، ودنا منه الرحيلُ والفراق، يشهد لمن أحسن من أهل الطاعة والوفاق، وعلى من أساء من أهل المخالفة والشقاق، فيا ذوي القلوب والعقول! أين أنوار الخلع والقبول؟ من العبرات السواكب، والزفرات الغوالب، والخطرات النواقب، في ظلمات الغياهب، بل أين شواهد الامتحان في نحول الأبدان، واصفرار الألوان، للجد والاجتهاد في شهر رمضان؟ ألا وإنه راحل لا محالة فشيعوه، وتمتعوا فيما بقي من أيامه ولا تضيعوه، فما من شهر رمضان في الشهور عِوَض، ولا كمفترضه في غيره مفترَض، شهرُ عمارات القلوب، وكفارات الذنوب، وأمان كل خائف مرهوب، شهرُ اغتصاص المساجد

بالازدحام، نهارُه صدقة وصيام، وليلُه قراءة وقيام، وكلُّ أيامه سلام. فيه هبوط الأملاك، بالعتق والانفكاك، فبادروا، فلعل كثيراً منكم لا يدركه بعد هذا العام، ولا يؤخره المَنونُ إلى التمام، فيا ربحَ مَنْ فاز فيه بالسعادة والفلاح! ويا حسرةَ من فاتته هذه المغانم والأرباح! فيا معشر العباد! تيقظوا من سِنَة الرقاد، وتزودوا ليوم المَعاد، وأكثروا الزاد ليوم الحصاد، عباد الله! دنا رحيل هذا الشهر وحان، وربَّ مؤملٍ لقاءَ مثله خانه الإمكان، فيا ليت شعري من خسر فيه بالغدر، ومن أوفى بمواثيق الرحمن. اغتنمْ أيها المفرِّطُ في طاعة المنان، الفرصةَ وسابق بالخيرات، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ وتيقظْ أيها الغافل من سِنة المنام، وانظر ما بين يديك من طوارق الأيام، واحذر أن يشهد عليك شهر رمضان بقبائح الآثام، وتزودْ لرحيلك قبل أن تمد إليك أسهم الحِمام، قبل أن يوثق الأسير ويشتد الزفير في ذلك المقام. فرحم الله امرأً أخلص لله المتاب، وأناب إلى ربه فالفائزُ مَنْ إليه أناب، وتداركَ في هذه البقية ما فاته في ماضي الأيام، واجتهدَ في هذه الخاتمة فالأعمالُ بحسن الختام، أحسنَ الله لنا ولكم الختام، وأدخلَنا وإياكم بفضله وكرمه دار السلام. إن أشرف الكلام كلامُ الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

* * *

الخطبة الأولى من شهر شوال

الحمد لله الذي جعلَ البيتَ الحرام مثابةً للناس وأمناً، وكتبَ حَجَّه على من استطاع إليه سبيلاً، ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا الحسنى، نحمده ولن نحصيَ ثناء عليه. فهو كما حَمِد نفسه وأثنى، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدُه لا شريكَ له، له الصفاتُ العلا والأسماءُ الحسنى، ونشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسولُه أكملُ البرية خُلُقاً وأجملُها حُسْناً، نبيٌّ دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى. اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه الذين جعلهم الله لأهل الأرض أمناً.

أما بعد: أيها الناس! من تاجر الله فقد ربحت تجارته، ومن هاجر إلى الله قُبلت هجرته، ووجبت إجارته، ومن استجار بكرمه، أضاء له وجه السعادة وأنار، ومن حل بحرمه حَرَّمه على النار. هذه ـ عباد الله ـ أشهر الحج، الموسومةُ بالعجِّ والثجِّ، أهلَّت بالبركات المستهِلَّة، فلم تدع لمتعلِّلٍ عِلَّة، أبدئت بعيد الفطر، وخُتمت بعيد النحر، واشتملت على العشر التي هي غُرَّةُ الدهر. يؤم فيها بيت الله العتيق، رجالاً وعلى كل ضامر يأتين[1] من كل فج عميق، فيا

(١) قوله: لضامر محمولة على معناه، وقرىء: (يأتون) صفة للرجال والركبان، أو استئناف، فيكون الضمير للناس كذا في «البيضاوي». ا.هـ.

معرضاً عن سبيل النجاة! متى تنصف وتصرف إلى ما عَناك عِناناً؟ متى تسمح فتمسحُ من البيت العتيق أركاناً؟ متى تكسب بالصفا صفاءً وبالركن اليماني أماناً؟ متى ترحل الركائبَ إلى زمزم والحطيم؟ متى تدعو بالمَقام مقامِ إبراهيم؟ متى تعمُرُ بالعُمرة أخدود الذنوب؟ متى تطفىء جمراتِ هذه اللهوب؟ متى تُخيف[١] إلى الخَيْف في أول نزيل؟ متى تكرع في الأجر من حِجْر إسماعيل؟ متى تُعَرِّفُ[٢] بعرفةَ مع الواقفين؟ متى تطوف بك الرحمة مع الطائفين؟ إلى كم تسوِّفُ بالفرض شُحّاً وغَيّاً؟ وإلى كم تماطل بالفرض رَبّاً غَنِيّاً؟ أما تخاف مع التسويف موتاً وَحْياً؟[٣]، من استطاع السبيل ولم يحجَّ، فليمتْ يهودياً وإن شاء نصرانياً. فرحم الله امرأً قصد تلك البَنِيَّةَ بصالح النية[٤]، وبادر ببلوغ الأُمنيَّة، قبل أن يفوته الإمكان، وتنسخ حركات الإسكان، ويقدَم على الملك الديان، بإيمان ناقص الأركان، فيلتمس الرجعة ليجبرَ النقصان، فيقال له: إن ذلك قد كان.

جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين، وجنبنا موارد الظالمين. إن أحسنَ الكلام كلامُ الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧].

---

(١) من أخاف؛ أي: أتى خَيْف منى فنزله؛ كأخيفَ، واختاف. ا.هـ.

(٢) عَرَّفوا تعريفاً: وقفوا بعرفات. ا.هـ.

(٣) وَحَى، كسرى: عجل وأسرع. ا.هـ. «القاموس».

(٤) النية ـ بالتشديد ـ، والتخفيفُ لغةٌ حكاها الأزهري على ما في «المصباح»، و«القاموس»، والتّشديد هاهنا أنسب لرعاية الفواصل ا.هـ.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من العذاب الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

الخطبة الثانية من شهر شوال

الحمد لله الذي جعلَ البيتَ الحرامَ من أعظم فرائض الإسلام، والحمدُ لله الذي جعل الحجَّ كفارةً للخطايا والآثام، نحمدُه على ما منح من سوابغ الإنعام، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً تقود إلى دار السلام، ونشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله أولُ الأنبياء ومسكُ الختام، اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم القيامه.

أما بعد: أيها الناس! إن الله دعاكم إلى بيت حرام في بلد حرام، ووعدكم به أسنى الضيافة وأهنى الإكرام، من قبول الأعمال ومحو الخطايا والآثام، وخلف الإنفاق وتوفير الأجر التام. فعلامَ التسويفُ من عام إلى عام؟ وإلامَ التعلُّل بعلائق أشغال هذا الحطام؟ وحتّام لا تغتنمون فسحةَ الليالي والأيام؟ أعلى يقين من طول الأعمار وصحة الأجسام؟ فالغنيمةَ الغنيمةَ لبلوغ المرام، والعزيمةَ العزيمةَ إلى حطِّ أثقال الآثام، والرحيلَ الرحيلَ إلى بيت الله الحرام، بيتٍ حجَّه أبونا آدم ـ عليه السلام ـ، وحجته ملائكةُ الرحمن قبله بألفي عام، وحجته أنبياء الله ورسلُه الكرام، وأَذَّنَ إبراهيم الخليل بحجه فأجابوه من الأصلاب والأرحام. ألا وإن مؤذن الحج ينادي بينكم بالرحيل، ويستحثُّ منكم من استطاع السبيل، فهذا أوانُ انضمام الرفيق إلى الرفيق، وهذا وقت

شدِّ الرحال إلى بيت الله العتيق، وهذه أيام تزاحم وفد الله في كل طريق، رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، فهل من متعرض لنفحات الإحسان؟ وهل من خائف فيلوذ بحرم الرحمن؟ وهل من مشمِّر لأداء فرض أنزل الله فيه قولاً ثقيلاً:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وعنه ﷺ: «حجوا فإن الحج يغسل الذنوب كما يغسل الماءُ الدَّرَن»[١]، وعن علي ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من ملك زاداً أو راحلة تُبلغه إلى بيت الله الحرام، ولم يحج، فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً»[٢] وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «الحجاج والعُمَّار وَفْدُ الله، إن سألوه أعطاهم، وإن دَعَوه أجابهم، وإن أنفقوا أخلَفَ لهم؛ والذي نفس أبي القاسم بيده! ما كبر مُكَبِّرٌ، ولا أهلَّ مُهِلٌّ على شَرَفٍ من الأشراف، إلا أَهَلَّ ما بين يديه وكبر حتى ينقطع به منقطع التراب»[٣].

جعلني الله وإياكم ممن تزود لحج بيت الله الحرام، ووفقني وإياكم لزيارة خير الأنام. إن أحسن الكلام كلام الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٧، ٢٨].

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط». ا.هـ.

(٢) هذا الحديث رواه الترمذي، وابن عدي، وأبو يعلى، وغيرهم، وفيه كلام كثير للعلماء، وقد أفتى ابن حجر المكي بصحته، وأطال فيه الكلام الحافظ وغيره في «التلخيص»، وغيره في غيره. ا.هـ. زين العابدين الأنصاري اليمني.

(٣) رواه البيهقي بإسناد ضعيف. ا.هـ.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من العذاب الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

الخطبة الثالثة من شهر شوال

الحمد لله الذي جعلَ الحمدَ مفتاحاً للكلام، والحمدُ لله حمداً يستدعي مزيدَ الإنعام، حمداً يقي سوءَ غضبه ووبيلَ الانتقام، حمداً يرقى بقائله إلى أسنى مَقام، وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةً كافلة لحسن الختام، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسولُه مبلِّغُ الشرائع والأحكام، المبينُ للحلال والحرام، والمشيدُ لأركان دينه من حج وزكاة وصلاة وصيام. اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه المُلْحَقين به في التبجيل والإكرام.

أما بعد: أيها الناس! تأهبوا فقد زفت المطايا، وخذوا أهبة التحويل، فما إلى البقاء بدار الفناء من سبيل، وبادروا فلم يبق من متاع الدنيا القليلة إلا القليل، فهل منكم مَنْ يعاتب نفسه على التقصير؟ وهل منكم مَنْ يراقب الناقدَ[1] البصير؟ وهل منكم من يتفكر في هولِ ما إليه يصير؟ فسبحان الله! ما أعمَّ جوده على الأنام! وما أكثر تقصيرهم في حقه على الدوام! من ذا الذي عامله بصدقٍ فلم يربح؟ ومن ذا الذي جاءه بكربةٍ فلم يفرح؟ فاشكروه ولن تُحْصوا له شكراً، واتقوه حَقَّ تقاته سِرّاً وجَهْراً، وشمِّروا لعبادته عن ساق، ونافسوا على الوفود عليه فله الحديثُ يُساق. فهذا حينُ تُحدى الركابُ إلى البيت الحرام، وهذا حينُ تُشدُّ الرحال لأداء فريضة الإسلام، فلله درُّ أقوام زَمُّوا مطايا الشوق إلى ذلك

---

(١) هذا مبني على مذهب من لم يجعل أسماء الله تعالى توقيفية. ا.هـ.

المَقام، وسارت بهم قوافلَ حبهم إلى المشاعر العِظام، وتزوَّدوا الحلالَ من الزاد وأتعبوا الأجسام، وتدرَّعوا درعَ التقى خوفاً من الزلل والآثام، فارقوا المعارفَ رغبةً في معرِوف عرفاتٍ، واتَّركوا الأماني إيثاراً لنيل المنى من منى ومزدلفاتٍ، فشدُّوا رحالكم من كل بلدٍ سحيق، وأقبِلُوا ما بين ماشٍ على قدم التصديق، وعلى كل ضامرٍ يأتين من كل فَجٍّ عميق. فيا قرةَ أعينهم إذا عاينوا أشعة الأنوار من البيت الحرام! ويا طيب مقامهم إذا ترددوا ما بين الحجر والمقام! ويا شفاء قلوبهم إذا شربوا من زمزم التي هي طعامٌ طعم وشفاءُ سقم، ويا أمانهم إذا لجؤوا بالملتزَم والمستجار! ويا سترَ عيوبهم إذا تعلقوا بأذيال تلك الأستار! حيث تغسل الأوزار، وتُجاب الدعوات، وتنال الأوطار. فطوبى لهم إذا تجردوا عن المَخيط، ونحن نغدوا ونروح في ملابس التفريط، وهنيئاً لهم إذا قدموا على الملك المحيط، وملؤوا بأصوات التلبية ذلكَ البسيط. فلمثلِ هذا واللهِ يعمل العمال، وإلى مثل هذا واللهِ تُشد الرحال، وفي مثل هذا تُنْفَق نفائسُ الأموال.

جعلني الله وإياكم من الذين يحبهم ويحبونه، وحشرنا في زمرة المخلصين الذين يتقونه ويعبدونه. إن أحسن الكلام كلام الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨]، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج: ٢٦، ٢٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارنا من عذابه الأليم، وثبتنا على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

* * *

الخطبة الرابعة من شهر شوال

الحمد لله الذي خصَّ بيتَه الحرامَ بمزيد التشريف والتفضيل، وأجله بكمال التعظيم على البقاع والتبجيل، وافترض حجَّه على من استطاع إليه السبيل، ودعا عباده إلى حجه بلسان رسوله إبراهيم الخليل، وجعله مَهْبِطَ الرحمة والتنزيل، ومألَفاً للملائكة الكرام وجبريل. نحمدُه على ما منحنا من إنعامه الشامل الجزيل، وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له رَبُّنا الملكُ الجليل، شهادةً تثوي[1] قائلَها غرف الجنان وظلَّها الظليل، ونشهد أن محمداً عبدُه ورسوله المنعوتُ في التوراة والإنجيل، نبيٌّ خصه الله بالخُلُق العظيم والنسب الطاهر الأصيل، اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أمانِ أهل الأرض وساداتِ كلِّ جيل.

أما بعد: أيها الناس! إنكم في أوان الحج إلى بيت الله، ورحيلِ الحجيج[2] إليه رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، فيا معشر من استطاع إليه السبيل، هَلاَّ تزوَّدتم للرحيل؟ ورفضتم التسويفَ والتأميل؟ وهَلاَّ قطعتم علائقَ التسويل؟ وأجبتم دعوة ربكم الملك الجليل؟ فقد دعاكم إلى بيته الحرام، وإلى

---

(١) ثوى بالمكان وفيه، وربما تعدى بنفسه؛ من باب رمى، يثوي ثواء ـ بالمد ـ: أقام، فهو ثاوٍ. وأَثوى: بالألف لغةٌ، وأَثويته، فيكون الرباعي لازماً ومتعدياً. ا.هـ. «مصباح».

(٢) جمع الحاج. ا.هـ.

منبع الإسلام وركن الاستلام، حيثُ المشاعرُ والحَجون[(١)]، والمواطنُ التي يحقق فيها للسائلين ما يرجون. إلى معهد تقف بحرمه الأمم، وتُنشر في مشاهده من القلوب الميتة دوارسُ الرِّمَم، وتَفِدُ إليه الخلائق من بينِ ساعٍ على قدم، وجبابرةٍ أقبلوا صاغرين على القمم[(٢)]، قد وضعت عنهم تيجان الرؤوس، وخضعت منهم شواهم[(٣)] النفوس، لكي ينالوا المنى من منى وعرفات، ويطفؤوا الذنوب برمي الجمرات، ويتنعموا بمشاهدة بيت الله الحرام، ويتقربوا بالطواف في سوحه[(٤)] الشريفة العظام، ويتعلقوا بالأستار، ويترددوا بين الملتزَم والمستجار، فهناك يظفرون[(٥)] بعطاء غير محصور ولا معدود، وهنالك ينقى المرء من ذنوبه فيصير كيوم إذ هو مولود، فهل من مشتاق إلى بلد الله الأمين؟ وهل من متعطش إلى ماء زمزم المَعين؟ وهل من لائذ بمهابط الأملاك؟ وهل من عائذ بالحرم من الهلاك؟ ألا وإن الله جعل حجه عليكم من آكَدِ الأمور، فلم يرخص فيه للنساء المبرقَعات وذواتِ الخدور، فعلام تتعلَّلون بأعذار كلُّها خدع[(٦)] وزور؟ وتخادعون بها من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، تحسبون أنكم ستعذرون بهذه الأعذار الحاضرة؟ ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾[القيامة: ٢٠، ٢١]. أما قرعَ أسماعَكم كلامُ الله في الكتاب المبين: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[آل عمران: ٩٧]. فيا له من خطاب! لو عُني به الصخرُ لذاب، وتذكيرٌ عظيم، وإنما يتذكر أولو الألباب، فسارعوا ـ رحمكم الله ـ إلى الخيرات، وسابقوا إلى جنة عرضُها

(١) حَجون وزان رسول: جبل مشرف بمكة. ا.هـ.
(٢) جمع قمة بالكسر، وهي أعلى الرأس. ا.هـ.
(٣) جمع شهم، وهو السيد النافذ الحكم. ا.هـ.
(٤) السوح: جمع الساحة، وهي فضاء بين دور الحي. ا.هـ.
(٥) من باب تعب. ا.هـ.
(٦) خدعه؛ كمنعه خدعاً، ويكسر، خَتَلَه. ا.هـ.

الأرض والسموات، ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[الحديد: ٢١].

جعلني الله وإياكم ممن انتفع بالتذكير، وخَتم لي ولكم بالخير فهو على كل شيء قدير. إن أفضل الكلام كلامُ الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩٦ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[آل عمران: ٩٦، ٩٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

* * *

الخطبة الخامسة من شهر شوال

الحمد لله الذي جعل الحَّج كفارةً للذنوب، ووعدَ حجاجَ بيته الحرامِ نَيْلَ كل مرغوب، نحمده على نعمه حمداً تنشرح به الصدور، وتطمئن القلوب، ونشهد أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له علامُ الغيوب، ونشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسولُه الحبيبُ المحبوب، اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه ما تعاقب الطلوعُ والغروب.

أما بعد: أيها الناس! إن الله فرض عليكم حج البيت الحرام، وجعل حجَّه من أعظم أركان الإسلام، ووعدكم عليه القبولَ ومحوَ الآثام، وإجابةَ الدعوات ونيلَ كلِّ مرامٍ ودعاكم إلى حجه في كل عام. روي عنه ﷺ أنه قال: «قال الله تعالى: إن عبداً صَحَّحْت له جسمَه، ووسَّعْتُ عليه معيشته، تمضي خمسةُ أعوامٍ لا يفدُ إليَّ، لَمَحروم»[(١)]، وروي «أن الحجَّ المبرورَ ليس له جزاءٌ إلا الجنة»، فرحم الله امرأً جَرَّدَ عزمه للوفود على ربه، ورحم الله مَنْ فَرَّ إلى حرمه الآمنِ من عظيم ذنبه، ألا راغبٌ ـ عبادَ الله ـ في عِزِّ تذلُّل الإحرام؟ ألا سائرٌ للوقوف بعرفاتٍ ومشاعرِه العظام؟ ألا حريصٌ على الطواف بالبيت الحرام؟ ألا متعطشٌ لماء زمزم الذي هو طعامُ طعم وشفاءُ سقم؟ لقد خاب عبدٌ كلَّما قرب إلى الخيرات،

---

(١) رواه ابن حبان، والبيهقي عن أبي سعيد، كذا في «الزواجر»، ورواه الطبراني في «الأوسط»، وأبو يعلى، قال في «مجمع الزوائد»: ورجال الجميع رجال الصحيح. ا.هـ.

تباعد، وخسر عبدٌ كلما استنهض لنيل الأرباح، تقاعد، وندم عبدٌ كلما نودي للفلاح، ما ساعد. فوا عجباً لأقوام كلما دُعوا فكأنهم لم يسمعوا داعياً، ولأغنياءَ كلما حُثُّوا على الحجِّ ازدادوا كسلاً وتوانياً. يلقي الشيطان في قلوبهم التسويف والتأميل، فيؤخرون فريضة الحج وقد استطاعوا السبيل، تالله! لو دعاكم ملك من ملوك الدنيا لكرامة، لسرتُم إليه ابتهاجاً، ولبادرتُم لإجابة دعوته أفراداً وأزواجاً، فلله درُّ أقوام قطعوا أفلاذَ الأكباد، وفارقوا الأوطان والأهلين والأولاد، وترامت بهم المطايا في الأغوار والأنجاد، شوقاً إلى حنين المحبين، وتوقاً إلى بقاع عجيج الملبين، رغبوا عن ظلال الغُرفات إلى هواجر صَخَرات عرفات، وآثروا على دُرَرَ الحجرات حصى الجَمَرات، وقطعوا علائق المنى لأجل مِنى ومزدلفات، فباهى الله بهم ملائكةَ السموات.

جعلني الله وإياكم ممن شملته رحمته الواسعة، وغفر لي ولكم مغفرةً جامعة. إن أحسن الكلام كلامُ الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

الخطبة الأولى من شهر ذي القعدة

الحمد لله الذي فَضَّل مكةَ على سائر البقاع، وفضل منها البيتَ الحرام، وفضل محمداً على سائر الرسل، ومِلَّتَه على سائر مِلل الإسلام، نحمده على ما منح من جزيل الإنعام، ونشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً قائدة إلى دار السلام، ونشهد أن محمداً عبدُه ورسوله أرسلَه إلى الخاصِّ والعام، اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه نجوم الظلام.

أما بعد: أيها الناس! سارعَ المشمِّرون وتركوكم، ومضى المجدُّون وخلَّفوكم، وارتحل حجاجُ بيت الله العتيق، وأنتم أسارى قيود التعويق. قعدت بكم عن صحبتهم الهممُ الفاترة، وآثرتُم المساكنَ الطيبةَ على المراتب الفاخرة، تريدون عَرَضَ الدنيا والله يريدُ الآخرة، فأين الدموعُ السواجمُ على فوات الفريق؟ وأين القلقُ الدائم على التخلف عن الرفيق؟ فمن فاته منكم التجردُ للإحرام، فلا يفوتُه التجردُ عن الحرام، والتجنبُ لمحظورات الآثام، ومن فاته فضلُ التلبية مع الملبين، فلا يفوته الإكثارُ من ذكر ربِّ العالمين، ومن فاته من عرفات جمعُ الوقوف، فلا يفوته في الجمعة والجماعات تعديلُ الصفوف، ومن فاته المبيتُ ورميُ الجِمار، فلا يفوته قيامُ الليل والتهجُّد بالأسحار، ومن فاته السعيُ والطواف بالبيت الحرام، فلا تفوته الصلاة فإنها ماحية الآثام، ومن فاتته زيارة سيد الأنام، فلا يفوته إكثارُ الصلاة عليه والسلام. لقد فاتكم ما لا عوضَ عنه

ولا بَدَل، فاغتنموا المداومةَ على طاعة الله ـ عز وجل ـ، وتمسكوا بعرا الإيمان التي ليس لها انفصام، واعتصموا بالله وكونوا ممن كان له بحبل الله اعتصام، ألا وإن الإيمان بالله يشرح الصدور، ألا وإن الإيمان بالله يُسهل صِعابَ الأمور، وإنه يهون سكراتِ الموت، ويفسحُ مضائق القبور، وإنه من نور الله، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[النور: ٤٠]، فالمؤمنون بالله هم أهل بشارات القرآن، وهم الذين أُعِدَّت لهم روضاتٌ حِسان، فاتقوا الله في السر والعلن، واجتنبوا الفواحشَ ما ظهر منها وما بَطَن، وإياكم والمعاصي فإنها مغيراتُ النعم، وإنها المُهلِكات إذا زلَّت القدم. إن المعاصي داعية لكل مكروه، وإنها المسوِّدَةُ للصحائف والوجوه، وإنها مُحْبِطات الأعمال وماحقاتُ الأرزاق، وإنها سبب ذُلِّ المخلوق وغضبِ الخَلاَّق. فاستغفروا الله واحذروها؛ فإنها الفاضحات يوم التناد، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[آل عمران: ٣٠].

جعلني الله وإياكم من الأقربين إليه منزلة ومكاناً، والأرجحين أعمالاً وميزاناً. إن أحسن الكلام كلامُ الملك العلام، والله تعالى يقول، وقوله الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المنافقون: ٩ـ ١٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم. فاستغفروه.

* * *

الخطبة الثانية من شهر ذي القعدة

الحمد لله على إنعامه المتصل الموفور، حمداً تَقَرُّ به العيون وتنشرحُ به الصدور، حمداً يدوم على ممرِّ الليالي والدهور، وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً تضاعف لصاحبها الأجور، وتؤنسُه عند الوحشة في ظلمات القبور، ونشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه الذي أيده بكتابه النور، فمحا ظلماتِ أهل الشرك والفجور، اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أولي الفضل المشهور.

أما بعد: أيها الناس: إن الله تعالى أرسل نبيه بشيراً ونذيراً، وأنزل معه الكتاب هدى للعالمين ونوراً، ففتح به عيوناً عمياً، وآذاناً صماً، وشرح صدوراً، وأبان فيه من الحلال والحرام، والثواب والعقاب، والمواعظ والأمثال شيئاً كثيراً، إن الله نِعِمَّا يعظُكم به، إن الله كان سميعاً بصيراً. فاتقوا الله عبادَ الله في السرِّ والعَلَن، وحافظوا على أداء الفرائض والسُّنَن، وافزعوا إلى كتاب الله فنِعْمَ المفزعُ عند البلايا والمِحَن، والملاذُ عند مُضِلاَّت الفتن، ولا تغرنكم الدنيا فليست بدار وطن، إنما هي منزلة نُقلة وظَعَن، أيُّ جامعٍ لحُطامها تزوَّد منها غيرَ حَنوطٍ وكفن؟ وأيُّ عامر لها ما له في بلاقع القبور من سكن؟ وأيُّ مآل بها ما اعتورته عوامل الحزن؟ فوا عجباً لنفوس طال على الدنيا إقبالُها، وكثر عن الآخرة إعراضُها وإهمالُها، كيف لا تتأهب وقد تحقق لها سفرُها من الدنيا

وارتحالُها؟! وواعجباً لقلوب ذاهلة كأنها رانَ عليها قبائحُها وأفعالُها! أما ذكرتها من الآيات مواعظُها وأمثالُها، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]، أما آذنتكم سكراتُ الموت وفتنة القبور؟ أما حذرتكم أهوالُ المفزع وصعقةُ النفخ في الصور؟ أما نادت عليكم بإنما الحياة الدنيا متاع الغرور؟ فكيف تستغرقكم من حطام الدنيا الفانية أشغالُها، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟ أما أنذرتكم لقاءَ ربِّ الأرباب؟ أما خوفتكم العَرْضَ عليه ومناقشة الحساب؟ أما رغبتكم فيما أُعِدَّ للطائعين من الثواب؟ أما خاطبتكم من القصص بما فيه عبرةٌ لأولي الألباب؟ أما أسمعتكم الزواجرَ النافعةَ أقوالُها؟ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالُها؟ أما أخبرتكم عن مصارع مَنْ قبلَكم من الأنام؟ أما ذكرتكم بأيام الله يا ذوي العقول والأفهام؟ أما أبانت لكم الشرائعَ والأحكام؟ أما نهتكم عن مفارقة الحدود ومقارفة الآثام؟ أما تبينَ لكم حرامُها وحلالُها؟ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟ فاتقوا الله عبادَ الله تنالوا حسن المآب، واتعظوا بكلام ربكم كما أمركم في الكتاب، ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب.

جعلني الله وإياكم ممن تدبر آياته، وعمل بمحكماته وآمن بمتشابهاته. إن أحسن الكلام كلامُ الملك العلام، والله تعالى يقول، وقوله الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[المائدة: ٩٧]. ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٩٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وثبتنا على الصراط المستقيم، وأجارنا من عذابه الأليم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

❋ ❋ ❋

الخطبة الثالثة من شهر ذي القعدة

الحمد لله الذي فتحَ لنا أبوابَ الهدى بمن جعلَه مِسْكَ الختام، وجعل أمتَه خيرَ الأمم، وجعل الذلَّةَ والصَّغار على مَنْ خالف أمرَه من ذوي الأجرام[1]. نحمده على ما أسبغ من جزيل الإنعام، ونشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ذو الجلال والإكرام، ونشهدُ أن سيدنا محمداً عبدُه ورسولُه البدرُ التمام، الذي بعثه الله رحمةً للعباد، وفارقاً بين الحلال والحرام، وداعياً إلى كلمة الشهادة والحجِّ والزكاة والصلاة والصيام، فنصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد عُبَّادَ الأصنام، اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أفضلَ صلاة وأكملَ سلام.

أما بعد: أيها الناس: إنكم في زمان كثر فيه الشقاق والخلاف، وزمانٍ قَلَّ فيه الوفاق والائتلاف، وزمانِ قيلٍ وقال، وزمانِ أهواءٍ وأهوال، وزمانِ النوائب والمحن، وزمان البغضاء والإِحَن[2]، وزمانٍ صار قيام الساعة منه قريباً، وأشار إليه ﷺ بقوله: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً»[3]، زمانٍ كأنه المقصود بما

(١) جمع جرم ـ بالضم ـ، وهو الذنب. ا.هـ.

(٢) أَحِن يَأْحَنُ؛ من باب تعب: حقد وأضمر العداوة. والإحنة، اسمٌ منه، والجمع إِحَن، مثل سِدْرة وسِدَر. ا.هـ.

(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة. ا.هـ.

رواه عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ: «إذا رأيت شُحّاً مُطاعاً، وهَوًى مُتَّبَعاً وإعجابَ المرء برأيه، فعليك بِخُوَيِّصَّةِ[1] نفسِك»[2]، فتمسكوا ـ رحمكم الله ـ بحبلَي السنة والكتاب، فإنه من تمسك بهما، أَمِنَ أليمَ العذاب، ومن تمسك بهما، كان من أولي الألباب، ومن تمسك بهما، فقد استمسك بأقوى الأسباب. ألا وإن الله فرضَ فرائض فلا تُضَيِّعوها، وحَدَّ حُدوداً فلا تعتدوها، وسكتَ عن أشياءَ رحمةً لكم غيرَ نسيان، فلا تبحثوا عنها، وإن الله ـ عز وجل ـ رَغَّبكم في الطاعات وجزيل الثواب، وحذركم معاصيَه وشدةَ العقاب، يوم تُعرض الخلائق على الخالق للحساب، وعن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: أوصاني رسول الله ﷺ بعشر كلمات، قال: «لا تشركْ بالله شيئاً وإن قُتلت أو حُرقت، ولا تَعُقَّنَّ والدَيك، وإن أمراك أن تخرجَ من أهلِك ومالِك، ولا تتركَنَّ صلاةً متعمِّداً؛ فإنه من تركَ صلاةً متعمداً، فقد برئت منه ذمة الله، ولا تشربنَّ خمراً؛ فإنه رأسُ كلِّ فاحشة، وإياكَ والمعصية؛ فإن بالمعصية حل سخطِ الله[3]، ألا وإن الله نهاكم عن الربا؛ فإنه بنص الكتاب ممحوق، وصاحبُه ملعون على لسان نبيكم مسحوق، وعن شرب الخمور؛ فإنها أمُّ البغي والفجور، ونهاكم عن شهادة الزور، وأيمان الفجور»، فعنه ﷺ: أنه قال: «من اقتطعَ حقَّ امرىءٍ مسلمٍ بيمينه، فقد أوجبَ اللهُ له النارَ، وحَرَّمَ عليه الجنةَ، فقال له رجل: وإن كانَ شيئاً يسيراً؟ قال: وإن كان قضيباً من أراك»[4]، وعنه ﷺ: «من ادَّعى ما ليس له،

---

(١) ـ بضم الخاء المعجمة وفتح الواو وسكون المثناة التحتية وتشديد الصاد المهملة، تصغير خاصة ـ، وهو مما اغتفر فيه التقاء الساكنين. ا. هـ. قسطلاني «شرح صحيح البخاري».

(٢) رواه الترمذي وصححه، وابن ماجه، وابن جرير، والبغوي، وابن أبي حاتم والطبراني، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي عن أبي ثعلبة الخشني. وروي عن ابن مسعود كما في «فتح القدير»، و«فتح البيان». ا. هـ.

(٣) رواه أحمد. ا. هـ.

(٤) رواه مسلم. ا. هـ.

فليس مِنَّا، وليتبوأْ مقعدَه من النار»[1]. وعنه ﷺ: أنه قال: «عُدِلَتْ شهادةُ الزور بالإشراكِ بالله ثلاثاً»[2]. فاجتنبوا ـ رحمكم الله وإياي ـ موجباتِ الآثام، وحافظوا على الأعمال الصالحة لتفوزوا بحسن الختام.

جعلني الله وإياكم ممن سلك واضحَ الطريق، وصرف عنا موجباتِ القطع والتعويق، إن أحسن الكلام كلامُ الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[العصر: ١ـ٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارنا من عذابه الأليم، وثبتنا على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم. فاستغفروه.

* * *

(١) رواه ابن ماجه عن أبي ذر بسند صحيح كما قاله السيوطي. ا.هـ.

(٢) رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والطبراني بإسناد حسن، وأحمد بسند رواته ثقات كذا في «الزواجر»، و«الدر المنثور»، ورواه ابن المنذر أيضاً كما في «فتح القدير»، و«فتح البيان». ا.هـ.

الخطبة الرابعة من شهر ذي القعدة

الحمد لله الواسعِ الموسعِ القريب، المجيبِ الكريمِ المُقيتِ الحسيب، الذي يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من يُنيب، والذي لا يُرَدُّ سائلُه ولا يَخيب، نحمده على نعمه الشاملة للبعيد والقريب، ونشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له عليه توكلتُ وإليه أنيب، ونشهد أن سيدَنا محمداً عبدُه ورسولُه الخليلُ المجيب، المؤيَّدُ من الخوارق الباهرة بكل عجيب، شُقَّ له القمر، وسلَّم عليه الشجر والحجر، وشهد بنبوته الضبُّ والذيب[1]، اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه الذين خُصُّوا من الفضائل بأوفر نصيب.

أما بعد: فأوصيكم ـ عباد الله ـ ونفسي بتقوى الله فالزموها، وأحثُّكم على الأعمال الصالحة فاغتنموها. إن الزمان يطوي بكم مسافةَ الأعمار، لا شكَّ أنتم راحلون عن هذه الديار، فيا معشرَ الشيوخ! ماذا تنتظرون بعد المشيب؟ وهل بعده إلا الموت؟ فإن الموت قريب، إنه ليس إلى البقاء من سبيل، فماذا تزودتم للرحيل؟ ويا معشر الأحداث! أنفقتم غررَ الأعمار خساراً، وضيعتم قوة الشباب تمادياً وإصراراً، لا بغنيمةٍ ظفرتم، ولا بشرف جهاد فزتم، ويا معشر الأصحاء! هل تنتظرون إلا هَرَماً وسَقَماً؟[2] وهل يورثكم التسويفُ إلا حسرةً ونَدَماً؟ ويا

---

(١) ـ بالكسر، ويترك همزه ـ: كلبُ البر. ا.هـ.

(٢) السَّقَم؛ كجبل، وقُفل، وكسحاب: المرض. لغات. ا.هـ.

معشر العصاة! أما لكم في الآخرة من نصيب؟ فكم تؤخرون التوبة لله إلى المشيب، وإنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالةٍ ثم يتوبون من قريب، ويا معشر الأغنياء وأهل الدثور! شكراً لنعم الله واغتناماً للأجور، وحَذَراً[(١)] من المعاصي؛ فإنها جالبةُ النقم والشرور، إن الله استقرضكم، فأقرضوه يجزكم بالحسنة عشراً ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾[المزمل: ٢٠]، ويا معشر الفقراء! صبراً وشكراً على حكم القضاء، ومقابلة الأقدار بوجه التسليم والرضا؛ إنه ليس الفقير من عَدِمَ الجاهَ والمال، إنما الفقير من أفلسَ من الحسنات في المآل، ويا معشر الكبراء! تواضعاً قبل يوم جدير بأن يُخاف ويُحْذَر، يومٍ يُحشر فيه المتكبرون لهوانهم كأمثالِ الذَّرِّ، ويا معشر الوعاظ! ابدؤوا بنفوسكم أمراً بالبر وتذكيراً، وارقُبوا الله فكفى به بذنوب عباده خبيراً بصيراً، ويا معشر القضاة! اثبتوا للقاء الله، فويل لقاضي الأرض من قاضي السماء حين يلقاه، ويا معشر العلماء والقراء! خيرُ العلم ما نفع، وإن أفضلكم من لازمَ الورع، فأدُّوا ما حملتم من الأمانة، ولا تخونوا الله ورسوله فبئست الخيانة، ويا معشر الجهال! تعلموا كما أُمرتم في الكتاب المكنون، واسألوا أهلَ الذكر إن كنتم لا تعلمون، فاتقوا الله عبادَ الله، وأحسنوا برحمته الظنون. وقفوا بين خوفه ورجائه، فلمثل هذا فليعمل العاملون.

جعلني الله وإياكم ممن خافه ورجاه، وختم لي ولكم بخاتمة الخير والجاه. إن أحسن الكلام كلامُ الملك العلام، والله يقول، وقولُه الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[الزمر: ٥٣].

---

(١) الحذر ـ بالكسر، ويحرك ـ: الاحتراز. ا.هـ.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارنا وإياكم من عذابه الأليم، وثبتنا وإياكم على الصراط المستقيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

الخطبة الخامسة من شهر ذي القعدة

الحمد لله الذي خلق السمواتِ والأرضَ وجعل الظلمات والنور، والحمد لله الذي فضل ما شاء من الأيام والشهور، نحمده على ما هدانا له من أسباب الخير الموفور، ونستهديه في كل ورودٍ وصُدورٍ، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[النور: ٤٠]. ونشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له الحكيمُ الصبور، شهادةً تَقَرُّ بها العيون، وتنشرح بها الصدور، ونشهد أن محمداً عبدُه ورسوله أرسلَه بالدين القويم، والكتاب الذي هو هُدًى ونور، نبيٌّ أثنى الله عليه في كتابه بما يشفي الصدور، نبيٌّ خصَّه الله بالمقام المحمود واللواء المنشور. اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وأصحابه صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم النشور.

أما بعد: فأوصيكم ـ عباد الله ـ ونفسي بتقوى الله، فهي التجارةُ التي لا تبور، وأحثكم على مراقبته؛ فإنه يعلم خائنةَ الأعين وما تُخفي الصدور، فشمِّروا لطاعاته واحذروا التواني والقصور، وبادروا؛ فإن المنايا كلَّ آونةٍ على الأنام تدور، وتزوَّدوا؛ فإنكم لا تدرون أمسافرون في الرواح أم في البُكور؟ ومَهِّدوا لأنفسكم في مضاجع القبور؛ فإنها أولُ منازل الآخرة والدنيا مجاز وقنطرةٌ للعبور، وقدِّموا لأنفسكم من الأعمال ما ينفعكم يومَ النشور، وإياكم والمحارمَ؛ فإنها حمى الله، وهو عند انتهاك محارمه غَيور، وحاذروا هذه الدنيا؛

فإنها متاعُ الغرور، واغتنموا هذه الأعمار؛ فإن أيامها سريعة المرور. أما رأيتم كيف ذهبَ عنكم أولُ الأشهر الحرم ذهابَ من لا يعود؟ وترحل عنكم بالأعمال لا تدرون أقُبل منها شيء أم كلُّها عليكم مردود؟ فيا حسرةَ من كان عملُه فيه الخطايا والذنوب! ويا خسارة من لم يتب فيه صادقاً إلى علام الغيوب! ألا وإنه أظلكم شهرٌ حرام، خصَّه الله بالحج إلى البيت الحرام، فاستقبلوه بالحج والإحرام، واجتنبوا فيه كبائرَ الذنوب والإجرام، خصوصاً العشرة الأولى؛ فإنه لها فضائلُ جِسام. فعنه ﷺ أنه قال: «ما من عملٍ أزكى ولا أعظم أجراً عند الله من عملِ عشرِ الأضحى. قالوا: يا رسول الله! ولا الجهادُ في سبيل الله؟ قال: ولا الجهادُ في سبيل الله، إلا رجلاً خرجَ بنفسِه ومالِه، ثم لم يرجعْ من ذلك بشيء»[1]، فأكثروا فيهن من التسبيح والتهليل والتكبير، وعنه ﷺ: «ما من أيامٍ أحب إلى الله أن يُتَعَبد له فيها من عشر ذي الحجة، يعدلُ صيامُ كلِّ يوم منها بصيام سنة، وقيامُ كلِّ ليلة منها بقيام ليلةِ القدر»[2]، فحافظوا على صيامها، فهي الأيام المعلومات، التي نوه الله بذكرها في الكتاب، ولا تغرنكم المآكل الهَنِيَّات، ولا الملابسُ السَّنِيَّات، فعما قليل يضمحلُّ هذا كلُّه، ويطرُقكم طارقُ الممات، فتنتقلون من سَعَة القصور العاليات، إلى قعر القبور الضيقات، ويُحيط بكم ما اكتسبتم من حسنات أو سيئات.

جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين، وجنبنا موارد الظالمين. إن أحسن الكلام كلام الملك العلام، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[الحديد: ٢١].

(١) رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح غريب. ورواه ابن ماجه أيضاً. ا.هـ.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه. ا.هـ.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من العذاب الأليم، وثبتنا وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

الخطبة الأولى من شهر ذي الحجة

الحمد لله الذي بَيَّنَ الطريقَ وأوضحَ المَحَجَّة، وأرسلَ رسلَه مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حُجَّة، وجعلَ لكل شهر خصوصية[1] تخصُّه، وخَصَّ بوقوع الحجِّ ذا الحِجَّة، وحطَّ الذنوبَ والأوزار عمن قصدَ فيه البيت الحرام وحَجَّه، وعظَّمَ الأجرَ لمن أظهر فيه التكبيرَ وعَجَّه، فكم أَوْلى من نعمةٍ وكشفَ من زلزلةٍ وضَجَّة، وأشكره وشكرُه يزيدُ من فضله ويفتحُ الأبواب المرتجة، وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له وأن محمداً عبدُه ورسوله الذي كساه من حلل النبوة مهابة وبَهْجَة، اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه ما حَمَلَ سحابٌ ماءً ومَجَّه.

أما بعد: أيها الناس! إن لكم فيمن سلف من الأموات عِبَراً، وإن لكم فيما ترون من الآيات لفِكَراً، وإنكم لتمرون على الآفاق زُمَراً، فكفى بذكر الموت للأفراح سالباً، وللأحزان جالباً، وللقلوب معاتباً، وبالإقلاع عن الذنوب طالباً. ألا وإن الموت عارفٌ مَنْ جَهِلَهَ، وخاطفٌ من أغفلَه، وذاكرٌ من نسيه، وآسرٌ من لقيه، لغربانِه على الديار نعيب، ولنيرانِه في الأعمار لهيب، ولحدثانه في الأبشار دبيب، وله في كل مهجة سهمٌ مُصيب، ولكل مخلوق منه يومٌ عَصيب، فإلى متى أنتم ـ عباد الله ـ عن التذكرة معرضون؟ وحتى متى يراكم لغضبه متعرضين؟

---

(١) بالفتح، والضمُّ لغة.

أصمت الآذان عن سماع ما يتلى عليها ويقرا؟ أم عميت الأبصار فلم تنظر من العبر ما ترى؟ كلا، ولكن رانت على القلوب الذنوب، فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب، أما علمتم أنكم من الموت على ميعاد هو آت؟ وأن الحظ من هذه الدنيا إلى نفادٍ وشتات، فإلام لا ينجعُ فيكم تخويف ولا تهديد، ولا يؤثِّر فيكم الترغيبُ بوعيد؟ تسوِّفون بأعمال الآخرة، وعيونُ المنايا لكم راصِدَة، وسهامُها المصيبةُ كلَّ آونة لنفوسكم قاصدة، والزمانُ يسير بكم إلى دار القرار سيراً حثيثاً، ولسانُ الغِيَر يتلو عليكم من أخبار كلِّ يوم حديثاً. فاغتنموا ـ رحمكم الله ـ أعماراً تُطوى، وتزوَّدوا من هذه الدار فإن خير الزاد التقوى، واعلموا أنكم في أيامٍ فَضَّلَ اللهُ زمانَها، وعَظَّم على الأيام شانَها، فقد جاءت بفضلها الأخبار، وصحَّ أن صيامها من سنة نبيكم المختار، ولاسيما يوم عرفة؛ فإن فضلَه معلوم مشهور، وصيامه يكفر السنة الماضية والقابلة كما في الحديث المأثور[١]. وتوجهوا ـ رحمكم الله ـ بالتوبة إلى مولاكم، وأَقْبلوا على طاعاته فما أحقَّكم بها وأَوْلاكم! واعلموا أن إخوانكم في هذه الأيام قد عقدوا الإحرام، وقصدوا البيتَ الحرام، ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير، والتحميدِ والإعظام، وأنتم وإن بعدتُم عن ذلك المقام، فارغبوا في التضرُّع إلى الملك العلام، فإنه معروفٌ بالفضل موصوفٌ بالإنعام.

جعلني الله وإياكم ممن سارع إلى طاعة علام الغيوب، وغفر لنا ما اقترفناه من الذنوب، ويَسَّر لنا من فضله كلَّ مطلوب، إن أصدق المواعظ قيلاً، وأحسنَ كلِّ شيء جملةً وتفصيلاً، كلامُ الله الذي نزله تنزيلاً، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً

(١) رواه الترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن، ورواه الطبراني، وأبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح كما في «مجمع الزوائد». ا.هـ.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[الأعراف: ١٤٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

الخطبة الثانية من شهر ذي الحجة

الحمد لله العظيمِ الشان، القديمِ الإحسان، الباقي وكلُّ مَنْ عليها فان، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، كلَّ يومٍ هو في شأن، يكشف كرباً، ويغفر ذنباً، ويرفع قوماً، ويضع آخرين، ولا يزال على مر الزمان، يحبُّ التوابين والمتطهرين، ويبغض المتكبرين والمتجبرين، وأهلَ البغي والعدوان. نحمده ونستغفره، ونسأله الهداية، ونعوذ به من الخزي والهوان، ونشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له في ملكه ولا ثان، بل هو المتفردُ بالملك والتدبير والسلطان، ونشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ بأفضل الأديان، اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

أما بعد: أيها الناس! اغتنموا فرصَ أيامكم السريعةَ الذهاب، واعملوا في أعماركم التي تمر مَرَّ السحاب، واعلموا أن مَنْ مضت ساعةُ عمره بلا عمل صالحٍ فهو مغبون، وأن من آثر دنياه على آخرته فقد رضي بالدُّون، ألا وإنكم في أيام أقسمَ الله بلياليها في الكتاب، وأيامٍ عَظَّم الله شأنها لأولي الألباب، حَبَّبَ الله إلى عباده فيها الصيام، وحثهم على ذكره فيها وشكر الإنعام، واعلموا أن بين أيديكم يومَ عرفة، يومٌ سعدَ الواقفون فيه، وفاز الذين لبسوا ثياب الإحرام، وخلعوا ملابس الترفيه. فهنالك تُسكب العبرات، وتُقال العثرات، وتُرتجى

الطلبات، وتُغفر السيئات. واللهِ إنه لمشهدٌ عظيم يجلُّ عن الصفة، وموقفٌ جسيم طوبى لمن وَقَفَه، حيث تُوضع الأثقال، وتُرفع الأعمال، ويجتمع عبادُ الله متفقين في التوجُّه وإن اختلفت بهم الأحوال، فمن نادمٍ على حقوق لله رفضها، ومن باكٍ على توبة عقدَها ثم نقضَها، ومن خائفٍ سطوةَ الملكِ الديان، ومن راجٍ بسطة الكرمِ من المنان. أولئك يباهي الله بهم الملائكة الأبرار، ويشملُهم برحمته التي ملأت الأقطار، فوا أسفاً لمن أبعدته الخطايا عن ذلك المقام، وأقعدته عن أهل عرفات قبائحُ الآثام، فتدارَكوا ما فاتكم منها باغتنام صالح العمل، وأنيبوا إلى ربكم وتوبوا من فرطات الزلل، وصوموا يومَ عرفة؛ فإن صومه من سُنَّة نبيكم المختار، وكفارةٌ للسنة الماضية والقابلةِ كما ورد في الأخبار[1]، وتعرَّضوا لنفحاتِ ربكم بالتضرُّع والاستغفار، وإدمانِ ذكره ودعائه بالعشيِّ والإبكار، لعلَّها تشملُكم بركةُ القَبول مع الواقفين، ويعود عليكم عظيم الرحمة مع الطائفين والعاكفين.

جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين، وجَنَّبنا وإياكم مواردَ الظالمين. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۗ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[الحج: ٣٤، ٣٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم، لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه الترمذي، وابن ماجه، وغيرهما. ا.هـ.

الخطبة الثالثة من شهر ذي الحجة

الحمد لله موجدِ العبادِ من العَدَم، ومعدِمِهم بعد أن أَوجدهم، وهو على كل شيء قدير، ومعيدِ كلِّ خلقٍ كما بدأه، وهو السميع البصير، أحمده حمداً يليق بشأنه العليِّ الكبير. وأشكرُه على إنعامه الجَمِّ وإحسانِه الكثير، وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، شهادةً أتقي بها من عذاب السعير، وأستضيء بمشكاة هُداها وأَستنير، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسولُه البشيرُ النذير، المبعوثُ بالترغيب والترهيب والتحذير، اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ الذي نبع الماءُ من بين أصابعه فروى الجَمَّ الغفير، وأشبعَ ألفاً بكفٍّ من طعام، وظلله الغمامُ من الهَجير، وعلى آله وأصحابه الذين لم يبلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفَه من أنفق مثلَ أحدٍ ذهباً أو ثَبيرٍ[1]، ولا يوازي عبادةَ أحدهم ساعةً من صرفَ جميعَ أوقاته في التهليل والتكبير، صلاةً وسلاماً يبهر شذاهما العنبرَ والعبير، ويقهر سناهما الشمسَ المشرقة والقمرَ المنير.

أما بعد: أيها الناس! اتقوا الله، فقد أمركم بتقواه، وحبب إليكم الإيمان، واجتنبوا معاصيه؛ فقد كره إليكم الكفرَ والفسوق والعصيان، وراقبوه، فإنه معكم يسمع ويرى في كل مكان وأوان، واشكروه حقَّ شكره؛ فقد خولكم ما لا

---

(١) ثبير: جبل بظاهر مكة.

يُحصى من النعم والإحسان، واحذروا بطشه؛ فقد حذركم نفسَه في محكم القرآن، وتذكروا أيامه فيمن قبلكم، فقد قصَّ عليكم القصصَ حتى صارت لكم كالعِيان، وتقربوا إلى الله بالطاعات؛ لتنالوا غرف الجِنان، واعمَلوا لآخرتكم فكأنكم بما لم يكن منها قد كان، واستغفروا ربَّكم ثم توبوا إليه، فإنه دائمُ العفو والغفران، وإياكم وهذه الدنيا التي كلُّ مَنْ عليها فان، نعيمُها إلى بؤس، وزيادتُها إلى نقصان، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُۚ﴾[العنكبوت: ٦٤]، واذكروا ربكم حقَّ ذكرِه بالقلوب والألسُن والأركان، فإن ذكره حِصنٌ حَصين، وجُنَّة واقية من العذاب المُهين، إنَّ من علامات حبِّ الله إدمانَ ذكره، وإنَّ مجالسَ الذكر مهابطُ ملائكته ومواقعُ بِرِّه، واعلموا ـ رحمكم الله ـ أن خير الزاد تقوى ربكم ذي الجلال، وأن الله يحبُّ القصد والرفقَ في المعيشة والأعمال. وأن حسنَ الخلق من أكمل الإيمان، وأفضلُ شيء يوضع في الميزان، وأن الأمانة مجلَبَة للأرزاق، وأولُ ما يُرفع من الناس مكارمُ الأخلاق، وأن الزهد في الدنيا يُريح القلب والبدن، وأنَّ من أجزاء النبوة الهديَ الصالحَ والسمتَ الحسن. فاتقوا الله وأحسنوا بربكم الظنون، تنالوا الحسنى وزيادة، فإن حسنَ الظن بالله من حسن العبادة، واقرنوا بين خوفه ورجائه في الإعلان والإسرار، فمن قرن بينهما من عباده لم يرحْ رائحة النار، وتواضعوا فإن من تواضع لله رفعه، ومن تطاول تعظيماً على عباده وَضَعَه، فاستحيوا منه؛ فإن الإيمان والحياء قرينان لن يفترقا، وتوكلوا عليه، فمن توكل عليه كفاه مؤنته ووقاه.

جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين، وجنبنا موارد الظالمين. إن أحسن الكلام كلامُ الملك العلام، والله يقول، وقولُه الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[النحل: ٩٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ

وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا﴾[الأحزاب: ٤١ـ ٤٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

الخطبة الرابعة من شهر ذي الحجة

الحمد لله الذي أذعنَ له مَنْ في السموات والأرض بالسجود، البارئِ المصورِ الذي أخرج الخلائق من العدم إلى الوجود، الأولِ الآخرِ الباعثِ الناسَ ليومٍ مشهود، نحمدُه بجميع محامده حمداً ليس بمحسوبٍ ولا معدود، ونشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له الربُّ المعبود، شهادةً تنفع من أخلصَ بها يومَ الورود، ونشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسولُه بتشريع الشرائع وتحديد الحدود، نبيٌّ اختاره الله وشَرَّفه على كل موجود، نبيٌّ خصه الله بالشفاعة العظمى ووعدَه المقامَ المحمود، اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه الوافين بالعقود.

أما بعد: أيها الناس! اتقوا الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويحصي أعمالكم من خير وشر في كتاب مسطور، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾[الانشقاق: ٧ ـ ١٢]، واعلموا أن الله تعالى لا يَعْزُب شيء عن علمه، فلا تغتروا بإمهاله وحلمِه، إنما يؤخركم ليومٍ تشخَصُ فيه الأبصار، وتخذل فيه الأعوانُ والأنصار، ويهبُّ على أعمال المنافقين فيه ريحُ إعصار، ويندم أحدُكم على ما كان منه، ويحزن[1] على ما إليه صار. فطوبى

---

(١) حزن حزناً؛ من باب تعب ونصر. ا.هـ.

لمن أيقظ نفسَه من سِنَة التناسي والمُهْلَة، ونشط عقله من عقال التراخي والغفلة، وتزود لسفره الذي غايتُه الحلولُ بفناء الفَنا، ونهايتُه إلى حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة طيبةِ الجَنى، هنالك ينفرد بعمله الإنسان، ويجدُ ما قدمته يداه من قبيح وإحسان. فتزودوا ـ رحمكم الله ـ التقوى من هذه الدار، واجتهدوا في بقايا هذه الأعمار. فليس من فرَّط في العمل يُقبل، ولا لمن اغتر بالأمل حُجة يوم يُسأل، وطهروا بفيض المدامع أدرانَ القلوب، ونَوِّروا القلوبَ بتجافي الجُنوب، قبل أن تناخ لكم ركابُ التحويل، ويعمكم القدر الذي لا محيصَ لكم من مكتوبه ولا قَبيل، ولا تغرنكم الدنيا فإنها متاع قليل، أنسيتم سكراتِ حِمامٍ أعيت الأطباء؟ وظلماتِ لحودٍ أطبقت على الأحباء؟ وسؤالَ ملائكة يبهت عنده الفصحاء الألباء؟ وأهوالَ قيامٍ يعظُم فيها التغابن والحسرات؟ وطولَ مقام تتصاعد فيه من النفوس الزفرات؟ وشدةَ حساب يأتي على عزائم القلوب والخطرات؟ يا له من موقف يشيب فيه الأطفال، وتفضح فيه الأعمال، وتكثر فيه الأفزاع والأهوال، ويتجلى فيه الربُّ ذو الجبروت والجلال!

جعلني الله وإياكم ممن اتعظ بالمواعظ الزاجرة، وجمع لنا ولكم بين خيري الدنيا والآخرة، إن أحسنَ الكلام كلامُ الملك العلام، والله يقول، وقولُه الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[آل عمران: ٣٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارنا من عذابه الأليم، وثبتنا على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

* * *

الخطبة الخامسة من شهر ذي الحجة

الحمد لله خلقَ كلَّ شيء فقدَّره تقديراً، وجعل الليل والنهار خِلْفَةً لمن أراد أن يَذَّكر أو أراد شُكوراً، نحمده بجميع محامده حمداً كثيراً، وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له علياً كبيراً، شهادةً أدخرها ليومٍ كان شرُّه مستطيراً. ونشهدُ أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله الذي نسخَ الله بدينه الأديان، وبعثه بالشريعة الكاملة المنزَّهَة عن النقصان، اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه الذين هم لأهل الأرض أمان.

أما بعد: أيها الناس! بادروا بالأعمال الصالحة؛ فإن الأعمار سريعةُ الذهاب، والأيام والليالي تمرُّ بكم مرَّ السحاب، والدنيا بأسرها إذا حققتم كلمع سَراب، أعوامٌ سريعة المُرور، وشهورٌ تقتفي في أثر شهور، وعِبَرٌ بين ذلك تتْرَى فعلامَ هذا الغرور؟ فلا تغتروا بالدنيا، فقد ضربت لكم بأخذ أمثالكم الأمثال، أرتكم عِياناً كيف تقلبت بأهلها الأحوال، ألا وإنه قد ذهب من أعماركم عامٌ كامل، وتقضَّت أيامُه ولياليه شاهداتٍ بعملِ كلِّ عامل. فانظروا ـ رحمكم الله ـ في سرعة تَقَضِّيه، وكم فرق فيه الحِمام بين امرىءٍ وبنيه، فاختموه بالتطهر من دنس العيوب، والتوبةِ النصوح من جميع الذنوب. فعجلوا التوبة قبلَ تغلاقِ بابها(١)، واحرِصوا على أركانها فإنها لا تتم إلا بها، وهي صدقُ الندم على

(١) من باب ضرب، ومن باب تعب لغةٌ. ا.هـ.

المعصية واكتسابِها، وردُّ الظُّلامات[1] إلى أربابها، والعزمُ الصحيح على عدم ارتكابها، وقد أظلكم من عامكم القابل شهرُ الله الحرام، الذي جعله الله مفتاحاً لكل عام، وحبب إلى أوليائه فيه الصيام والقيام. فاستقبلوه بهمم إلى الخير ساعية، وآذانٍ للمواعظ واعية، وقلوب لحقوق الله مُراعِية، وأكثروا ذكر الموت؛ فإنه نعم العونُ على الاستعداد، والباعثُ على التزوُّد للمَعاد، وإياكم والاغترارَ بالسلامة والإمهال، ومتابعة كواذب المنى والآمال، فعما قريبٍ تلاقون ربكم كما بدأكم أول مرةٍ، وتعرضون للحساب على مثقال ذرّة، فيا له من حساب شديد يشيب لذكره الوليد، ويوم عظيم ترونه بعيداً وما هو ببعيد.

جعلني الله وإياكم ممن بدأ بنفسه في الوعظ والتذكير، ونبهها من سِنَة الغفلة والتقصير. إن أحسن الكلام كلامُ الملك العلام، والله يقولُ، وقوله الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[النساء: ١٢٣، ١٢٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارنا وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

* * *

(١) الظلامة ـ بالضم ـ: ما تطلبه عند الظالم.

هذه دائرة الخطب المتقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر، وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له إرغاماً لمن جحدَ به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله سيدُ البشر، اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه ما اتصلَت عينٌ بنظرٍ، وأُذُنٌ بخبر.

أما بعد: فأوصيكم ـ عباد الله ـ ونفسي بتقوى الله، فإنها خير ذخرٍ يُدَّخَر. أيها الناس! اتقوا الله في السر والعلن، وذروا الفواحش ما ظهرَ منها وما بطن، ولا تغتروا بالعيش الحقير، في العمر التالف القصير، فإن الحساب عسير، والناقد بصير، فكيف تعصون من هو عليكم قدير؟ ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠]. واعلموا أن الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه، وثنى بالملائكة المسبِّحَةِ لقدسه، وأيده بالمؤمنين من جن العالم وإنسه، فقال فيما تكلم به تكليماً، تنبيهاً لكم وتعليماً، وتشريفاً لقدر نبيه وتعظيماً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب: ٥٦] اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ المخصوصِ بألم نشرحْ لكَ صدرك(١) وارضَ عن

---

(١) قال في «الدر المختار»: ويندب ذكر الخلفاء الراشدين والعَمَّين، لا الدعاءُ للسلطان، وجوزه القهستاني، ويكره تحريماً وصفُه بما ليس فيه، قال في «رد المختار»: قوله: وجوزه القهستاني إلخ عبارته ثم يدعو لسلطان الزمان بالعدل والإحسان متجنباً في مدحه عما قالوا: =

. . . .

= إنه كفر وخسران كما في «الترغيب» وغيره ا.هـ. وأشار الشارح بقوله: وجوزه إلى حمل قوله: ثم يدعو إلى إلخ على الجواز لا الندب؛ لأنه حكم شرعي لا بد له من دليل، وقد قال في «البحر»: إنه لا يستحب؛ لما روي عن عطاء حين سئل عن ذلك، فقال: إنه محدَث، وإنما كانت الخطبة تذكيراً. ا.هـ. ولا ينافي ذلك ما قدمه الشارح في باب الإمامة من وجوب الدعاء له بالصلاح؛ لأن الكلام في نفي استحبابه في خصوص الخطبة، بل لا مانع من استحبابه فيها كما يدعى لعموم المسلمين، فإن صلاحه صلاح العالم، وما في «البحر» من أنه محدث لا ينافيه، فإن سلطان هذا الزمان أحوجُ إلى الدعاء له، ولأمرائه بالصلاح والنصر على الأعداء، على أنه ثبت أن أبا موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ وهو أمير بالكوفة كان يدعو لعمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ قبل الصديق، فأنكر عليه تقديم عمر، فشكى إليه، فاستحضر المنكِر فقال: أنكرت تقديمك على أبي بكر، فبكى واستغفر، والصحابة حينئذٍ متوفرون لا يسكتون على بدعة إلا إذا شهدت لها قواعد الشرع. ولم ينكر أحد منهم الدعاء، بل التقديم فقط. وأيضاً فإن الدعاء للسلطان قد صار الآن من شعار السلطنة، فمن تركه يخشى عليه، ولذا قال بعض العلماء: لو قيل: إن الدعاء له واجب؛ لما في تركه الفتنة غالباً، لم يبعد، كما قيل به في قيام الناس بعضهم لبعض، والظاهر أن منع المتقدمين مبني على ما كان في زمانهم من المجازفة في وصفه مثل السلطان العادل الأكرم شاهنشاه الأعظم مالك رقاب الأمم، ففي كتاب الردة من «التاتارخانية» سئل الصفار: هل يجوز ذلك؟ فقال: لا؛ لأن بعض ألفاظه كفر وبعضها كذب. وقال أبو منصور: من قال للسلطان الذي بعضُ أفعاله ظلم: عادل، فهو كافر. وأما شاهنشاه، فهو من خصائص الله تعالى بدون وصف الأعظم، لا يجوز وصف العباد به، وأما مالك رقاب الأمم، فهو كذب، قال في «البزازية»: فلذا كان أئمة خوارزم يتباعدون عن المحراب يوم العيد والجمعة. أما ما اعتيد في زماننا من الدعاء للسلاطين العثمانية ـ أيدهم الله تعالى ـ، كسلطان البحرين والبرين، وخادم الحرمين الشريفين، فلا مانع منه، والله تعالى أعلم. وقال الحافظ في «فتح الباري»: وقد استثني من الإنصات في الخطبة ما إذا انتهى الخطيب إلى كلام لم يشرع في الخطبة، مثل الدعاء للسلطان مثلاً، بل جزم صاحب «التهذيب» بأن الدعاء للسلطان مكروه. وقال النووي: محله إذا جازف، وإلا فالدعاء لولاة الأمور مطلوب. انتهى، ومحل الترك إذا لم يخف الضرر، وإلا فيباح للخطيب إذا خشي على نفسه، والله أعلم، انتهى. وقد أخذه الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ في «النيل» بعينه قال ابن حجر المكي: وأفتى ابن عبد السلام بأن ذكر الصحابة والخلفاء والسلاطين بدعة، ورد بأن الأول فيه الدعاء لأكابر الأئمة وولاتها، وهو مطلوب. وقد ثبت أن أبا موسى كان يدعو لعمر قبل الصديق، وكان ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ يقول على منبر البصرة: اللهم أصلحْ عبدَك وخليفتك علياً أهلَ الحق أمير=

أبي بكر الذي نال من أهل الردة مُناه وأدرك، وعن عمرَ الذي كان إسلامُه على المؤمنين أيمنَ وأبرَك، وعن عثمانَ الذي جمع القرآن ولم يُلْحَق في التلاوة ولم يُدْرَك، وعن عليٍّ الذي ما سجدَ لصنمٍ قَطُّ ولا أشرك، خصوصاً عن سيدَي شباب أهل الجنة أبي محمدٍ الحسن، وأبي عبد الله الحسين ـ رضي الله عنهما ـ، وعن أمهما سيدةِ النساء فاطمةَ الزهراء ـ رضي الله عنها ـ، وعن عَمَّيه المكرَّمين بينَ الناس، أبي عمارة حمزةَ، وأبي الفضلِ العباس، وعن الستة الباقين، وعن باقي الصحابة أجمعين، وعَنَّا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهمَّ ارحمِ الخلفاءَ الراشدين، والأئمةَ المَهْدِيين، الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، اللهمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين، وأذلَّ الكفرةَ والمشركين، اللهم فُلَّ حَدَّهم، وفرقْ جمعَهم، وخالفْ بين كلمتهم، وامحُ آثارهم، واقطعْ دابرَهم، وأنزلْ بهم بأسَك الذي لا تردُّه عن القوم المجرمين، وأدمِ النصرَ والتمكين، والظفرَ والفتحَ المبين، لمن اخترتهَ لإصلاح أمور المسلمين، اللهمَّ أصلحْ بدولته العبادَ والبلاد، وامحقْ بسيف عدلهِ طائفةَ البغي والأذية والفساد، واجمعْ لنا وله بين

= المؤمنين. وفي «الصواعق» عن جعفر بن محمد بن أبيه، قال: قال: رجل لعلي بن أبي طالب: نسمعك تقول في الخطبة: اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين، فمن هم؟ فاغرورقت عيناه، فقال: هم أحباي: أبو بكر وعمر إماما الهدى، وشيخا الإسلام، ورجلا قريش المقتدى بهما بعد رسول الله ﷺ، من اقتدى بهما، عصم، ومن تبع آثارهما، هدي إلى الصراط المستقيم، ومن تمسك بهما، فهو من حزب الله. انتهى. أقول: قد تحصل من هذه الأقوال أنه لم يرد في السنة المطهرة ما يدل على ذكر هؤلاء الكرام في الخطبة إثباتاً ولا نفياً، فيكون مما يباح ولا يحرم، ويؤيده فعل الصحابة لذلك. ولكن من ترك هذا الذكر، فليس عليه ملامة أصلاً، لعدم ورود الدليل به، وليس في فعل الصحابة، ولا في قولهم حجة حتى يصار إليه، ولهذا حكم بعض أهل العلم بكراهة هذا الذكر، وبعضهم بكونه بدعة، وأباحه آخرون، وإذا تقرر أنه مباح، فينبغي للخطيب ألا يذكرهم إلا بأوصاف جوزها الشرع، وثبتت لهم فيه، ولا يبالغ في مدحهم وثنائهم بالكذب والبهت، بل يقتصر على الدعاء الحسن، وعلى ما يصلح للذكر في حقهم، فهذا هو الصواب في هذا الباب، والله أعلم ا.هـ.

خيرَي الدنيا ويوم المعَاد، اللهمَّ وانصر جيوشَ المسلمين، وعساكرَ الموحِّدين، وفُكَّ أسرَ المأسورين، ونَفِّسْ عن المكروبين، وعافِ مرضى المسلمين، واكتبِ السلامةَ علينا وعلى جميعِ الحُجَّاج والغزاةِ والمسافرين، في البرِّ والبحر أجمعين من المسلمين، اللهمَّ اغفرْ لأمة محمد، اللهم فَرِّجْ عن أمة محمد، اللهم أصلح أمة محمد، اللهم ارحم أمة محمد رحمةً عامةً، اللهمَّ اغفرْ للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياءِ منهم والأموات، ربنَّا آتنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذاب النار. **عباد الله!** ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم يذكركم، وادعوه يستجب لكم، ولذكرُ الله تعالى أعلى وأولى وأعزُّ وأجلُّ وأتمُّ وأهمُّ وأكبر.

* * *

الخطبة لعيد الفطر

الحمد لله جعل لنا في الإسلام عيداً، وأجزل لنا فيه فضلاً ومزيداً، ومَنَّ علينا بإكمال شهر رمضان ثم رزقنا شهراً جديداً، استَعْبَدَنا فيه بالصيام والقيام، وأمرنا سبحانه أن نشكره وكيف لا يُشكر، وله الفضلُ على مَنْ صام مِنّا وأفطر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيراً، أحمدُه، واعترفُ له بالتقصير في محامده، وأستغفره استغفارَ عبدٍ تائبٍ من جميع قبائح عوائدِهِ، وأعتصمُ به وأتوكل عليه وهو بحال عبده أعلمُ وأخبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيراً، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له المقدَّسُ عن الشبيه والنظير، الحيُّ القيوم على خلقه بكمال التدبير، وأشهدُ أن سيدَنا محمداً عبدُه ورسولُه البشيرُ النذير، السراجُ المنير، لقد أعطاه ربه من صفات الفضل ما لا يحصى ولا يحصر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيراً، اللهمَّ فصلِّ وسلِّمْ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه صلاةً وسلاماً تامَّيْنِ إلى يوم الدين.

أما بعد: أيها الناس! إن يومكم هذا من أشرف الأيام، أوجبَ الله فيه الفطرَ، وحَرَّم فيه الصيام، يباهي الله بكم فيه الملائكةَ الكرام، يُعتق الله فيه بعدد من أعتق في شهر رمضان، زيادةً في الفضل والإكرام، وافتتح بوجوب زكاة الفطر من أول ليلة منه توسعة على الفقراء وسائر من يوجد من الأقسام. فأخرجوها عنكم وعمَّن تلزمُكم نفقته من المسلمين، من ذكر وأنثى، وحر وعبدٍ، وصغير وكبير.

إذا أدرك جزءاً من رمضان، وشيئاً من ليلة العيد، دون مَنْ مات قبل الغروب، أو ولد بعده، فإنه لا يدخل في ذلك المقام، وتجبُ صدقة الفطر من غالب قوت البلد الذي فيه الإطعام، صاعاً من بُرٍّ، أو صاعاً من ذرة، أو صاعاً من دُخْن، أو صاعاً مِمَّا يُقتات. يجب ذلك على من وجد ما يفضُل على نفقته ونفقة عياله ليلةَ العيد ويومَه، فمن لم يفضل عنه شيء، لا يُكَلَّف ولا يُلام، ومن وجد من الطعام ما لا يفي بعددِ عياله، أخرج عن نفسه أولاً، ثم عن زوجته، ثم عن ولده الصغير، ثم عن أبيه، ثم عن أمه، ثم عن ابنه الكبير، على ترتيب هذا النظام، ومن أيسر ببعض صاع، وجب عليه إخراجُه محافظةً على امتثال ما أمر به الملكُ العلام، ولا تدفعوها إلى عبد وغني، ولا من تلزمُكم نفقته من الأنام، واسألوا أهلَ الذكر إن كنتم لا تعلمون تفاصيلَ الأحكام، والأفضلُ أن تُخْرَجَ قبل صلاة العيد، وتأخيرُها عن غروب يومكم هذا حرام. فبادروا ـ رحمكم الله ـ بإخراج ما وجب عليكم من تسليم الطعام، وعَظِّموا حُرماتِ الله فهو أولى بالتعظيم والاحترام، وإذا رجعتم إلى منازلكم، فاسلكوا غير الطريق الذي أتيتم فيها، ففي ذلك جملٌ من الحكم الجسام، وقد افتتح الله هذا اليوم بالتكبير، فلا تختموه بالآثام، وصِلوا فيه الأرحام، واحذروا تركَ الصلاة وغيرها من فرائض الإسلام، واجتنبوا الفواحش والمظالم، فإن ربكم عدل ليس بظلام ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ﴾[المائدة: ٢]، وكونوا عباد الله إخواناً، وأَفشوا بينكم السلام، وصوموا بعد يومكم هذا من بقية الشهر ستةَ أيام، فإنها مع صوم رمضان تعدلُ صيام العام، وانتهزوا فرصةَ الأعمال الصالحة قبل أن يفجأكم الحِمام، وأَوْلى ما أُوصيكم به ونفسي تقوى الله، فإنها سبيل الاستقام.

أعاد الله علينا وعليكم من بركات هذا العيد السعيد، وحشرنا وإياكم في زمرة أهل الفضل والمزيد. إن أحسنَ قصص اليقين، وأبلغَ كلام الواعظين، كلامُ رب العالمين، والله يقول، وقوله الحق المبين: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ

ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿١١﴾ يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[الحديد: ١١، ١٢] .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

الخطبة لعيد الفطر أيضاً

الحمد لله خالقِ البشر، ومصورِ الأشباح والصُّوَر، مبدعِ أصنافِ الفِطَر، العالمِ بما خفي وظهر، الذي سبق له بكل كائن قدر، ما شاءَ كان ولا يغني الحذر، أحمده وله الحمدُ في الآصال والبكر، وأؤمن به وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر، وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له فردٌ صمدٌ لا ملجأ من دونه ولا وَزَر، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله صاحبُ المجد الأطهر، والجبينِ الأزهر، والوجهِ الأقمر، غفرَ الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فبلغ ما أرسل به حتى ابلولج قمرُ الإيمان فأزهر، وغاب نجم الطغيان فأدبر، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه النجوم الغُرَر، ما هَلَّلَ مُهَلِّل وكَبَّر.

أما بعد: عباد الله! أوصيكم ونفسي بتقوى الله فيما نهى وأمر، واعلموا أن يومكم هذا يوم عيد عظيم موقر، أجزل الله فيه للصائمين أجورهم فأكثر، فاحمدوا ربكم على استكمال صومكم وكبروه كما أمر، وأنفقوا من الكسب الحلال وطَيِّبِ الأموال صدقةَ الفطر عن الأهل والعيال من صغير وكبير اقتداءً بالنبيِّ المبعوث من مضر، صاعاً من بر أو شعير أو زبيب أو تمر أو ذرة أو أَقِطٍ وإخراجُها قبل الصلاة أزكى وأطهر، ومن لم يكن أخرجها فليخرجْها في بقية يومه هذا ولا تؤخَّر، فصومُ رمضان معلَّق بين السماء والأرض لا يُرفع حتى تؤدَّى كما جاء في الخبر، وزينوا بواطنكم بالتوبة كما زينتم ظواهركم بالملابس،

وتذكروا باجتماعكم هذا يومَ المَحْشَر، ويا أيها الغافل! فكر في نفسك، فأنت أحق مَنْ فَكَّر، هل ينفعك من الله جاه أو معشر؟ ويا أيها القاسي: أبينَ أحشائك قلبٌ أم حجر؟ أنفقتَ عمرك في المعاصي ولم تتب ولم تتذكَّر، أنسيتَ يوماً فيه الحساب على القليل وعلى الأكثر؟ فكيف بقدومك يومَ الفزع الأكبر؟ وكيف بوقوفك على الصراط وهو أحدُّ من الحسام الأبتر؟ وكيف بكَ إذا سمعتَ النداء من قبل العليِّ الأكبر؟ أين فلان بنُ فلان، فيرتعد جميع أهل المحشر؟ فيؤمر بهذا إلى النار، وهذا إلى النعيم الأكبر، فاعتبرْ بمن مضى، فالفائزُ من اعتبر، أينَ من صام معكم في العام الماضي وأفطر؟ أذهبَهم واللهِ هاذمُ اللذات، وغير منهم المحاسنَ والصور. فتوبوا إلى الله؛ فإنه يقبل التوبة عن عباده ويغفر لمن أخلص واستغفر.

جعلني الله وإياكم ممن ذكر فتذكر، وغفر لي ولكم ما تقدم من ذنب وما تأخر، إن أولى ما تلاه خطيب على منبر كلامُ من قال: ولذكرُ الله أكبر. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[البقرة: ١٨٥].

* * *

دائرة خطبة عيد الفطر

الحمد لله الذي تسبح بحمده الأرضُ ومَنْ عليها، والسماءُ ومن فيها من الملائكة الكرام، والحمد لله الذي بحمده نستدفع العذاب، ونستجلب مزيدَ الإنعام، نحمده على ما منحنا من هباته، وجعلنا من خير أمة خصت بالخصائص العظام، ونشهد أنْ لا إله إلا اللهُ شهادةً تثبت قائلَها في المعاد إذا زَلَّت الأقدام، ونشهد أن محمداً عبدُه ورسوله الماحي لعبادة الأصنام، نبيٌّ شرح الله صدرَه، ووضع عنه الوزرَ والآثام. اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أتمَّ صلاة وأزكى سلام.

أما بعد: أيها الناس! أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فإنها خيرُ زاد يا أُولي الأفكار، وتواضعوا فما تواضع عبدٌ إلا رفعه الله كما جاء في الأخبار، وعَوِّدوا قلوبَكم المراقبة، وأكثروا التذكرَ والاعتبار، واستحيوا من الله حقَّ الحياء في الليل والنهار، واذكروه فأعظمُ الناس درجةً أهلُ الأذكار، واعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيكم المختار، فبالصلاة عليه تذهبُ الهموم وتُمحى الأوزار، اللهمَّ صلِّ وسلِّمْ على الذي أتممتَ به على الخلائق المنة، وجعلتَ ما بين قبره ومنبره روضةً من رياض الجنة، نبيِّك حاملِ لواء الحمد في اليوم الموعود، سيدِنا محمدِ بنِ عبد الله الشفيعِ المشفَّع في المقام المحمود، اللهمَّ وارضَ عن أفضلِ الصحابة على التحقيق: أبي بكر الصديق، وعمَّن كان على

لسانه الصواب، أميرِ المؤمنين عمرَ بنِ الخطاب، اللهمَّ وارضَ عمن استحيت منه ملائكةُ الرحمن، جامعِ سورِ القرآن ذي النورين عثمانَ بنِ عفان، وعن الجامعِ لما تفرَّقَ في غيره من المناقب، بابِ مدينةِ العلم ابنِ عمِّ النبيِّ عليِّ بنِ أبي طالب، اللهمَّ وارضَ عن بقية العشرة، وعن أهل بدر، والمبايِعينَ نبيَّك تحتَ الشجرة، وعن بقية الصحابة أجمعين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم ارحم الخلفاء الراشدين، والأئمةَ المهديين، الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، اللهم فُكَّ أسر المأسورين، ونفس عن المكروبين، واجعل خيرَ أعمارنا خواتمها يا خير المسؤولين، اللهم اغفرْ لأمة محمد. اللهم ارحمْ أمة محمد رحمةً عامة، اللهمَّ كما تفضَّلْت علينا بشهر الصيام، فاجعلْه منسلخاً عنا بمحو الذنوب والآثام، وتفضَّلْ علينا بكل خير في هذا المقام، ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار. عباد الله! رحمكم الله، ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العليَّ العظيمَ يذكركم، وادعوه يستجبْ لكم، واستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الخطبة لعيد الأضحى

الحمد لله الذي وفق العاملين بطاعته فوجد سعيَهم مشكوراً، وحقق آمالَ الآملين برحمته فمنحهم عطاءً موفوراً، وجزاهم بما صبروا جنةً وحريراً، فسبحان من أنار بصائرهم بأنوار النعم، وأطلعَ في قلوبهم أقمارَ المعارف وشموسَ الحكم، ووقاهم سبحانه وتعالى مرهوبَ النقم. ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[الإسراء: ٤٤].

نحمده حمداً يُزَلِّفُنا به في عرصات القيامة، ونشكره شكراً نْتَسَنَّمُ به ذرا العز في دار الإقامة، ونتحصَّن به من الآفات في حرز السلامة، ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾[الإسراء: ١١١]، وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له الواحدُ الأحد، الفردُ الصمد، الذي له ملك السموات والأرض، ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريكٌ في الملك، وخلقَ كلَّ شيء فقدَّره تقديراً، وأشهد أن سيدَنا محمداً عبدُه ورسوله البَرُّ الأصيل، الطاهرُ السيدُ الجليل، المخاطَبُ في محكم التنزيل: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾[الفرقان: ١٠]. اللهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيدنا محمدٍ المصطفى الكريم، وعلى آله وأصحابه المخصوصين بالتكريم، والمبشرين في قول البر الرحيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ

أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا﴾[الأحزاب: ٤٥ـ٤٧].

أما بعد: أيها الناس! إن يومكم هذا غرةٌ في جبين الزمان، وابتسامٌ في ثغر هذا الأوان، وفرحٌ عامٌّ للإنس والجان ﴿كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾[الإسراء: ٢٠]. يومٌ أثمرتْ فيه أغصان القلوب، وانتثرت فيه أوراقُ الخطايا والذنوب، واجتمع الخلقُ يدعون عَلاَّمَ الغيوب، لا يملكون لأنفسهم ضَرّاً ولا نفعاً، ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً. فتقربوا ـ عبادَ الله ـ فيه بأنواع القربات، فإنه يومٌ تنزل فيه الخيرات، وتجزل فيه البركات، وتنجح فيه المطالب والرغبات، وعليكم فيه بالصدقات، فإنها جُنَّةٌ واقية من الآفات، وحِرْزٌ مانعٌ من المخافات، واتبعوا ملة أبيكم إبراهيم في نحر[(١)] الأضحيات، واسألوا الله أن يهديكم لأحسن المعاملات، ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا﴾[الإسراء: ٩٧]. من كانت له أضحية فلْيَسْقِها ولْيَسُقْها إلى المنحر، وليتولَّ ذبحَها بيده إن قدر، «وليقل: باسم الله والله أكبر[(٢)]»، اللهم تقبل مني كما تقبلت من إبراهيمَ خليلِك، ومحمدٍ نبيك ﷺ تسليماً كثيراً[(٣)]، وتجزىء عن سبعة بقرةٌ أو بدنةٌ من الأنعام، وعن الواحد شاةٌ من الضأن طعنت في ثاني سنيها، أو من المعز طعنت في ثالث الأعوام، وقد ورد

---

(١) قوله: (في نحر الأضحيات) قال أصحاب رسول الله ﷺ: ما هذه الأضاحي يا رسول الله؟ قال: «سنة أبيكم إبراهيم»، قالوا: فما لنا فيها يا رسول الله؟ قال: «بكل شعرة حسنة». ا.هـ.

(٢) قوله: (بسم الله والله أكبر) هذا اللفظ رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والدارمي عن جابر، وهو متفق عليه من حديث أنس. ا.هـ.

(٣) قوله: (وتجزىء عن سبعة بقرة) عن جابر، عن النبي ﷺ قال: «البقرة عن سبعة، والجزور عن سبعة» رواه مسلم وأبو داود واللفظ له. ا.هـ.

في إسمانها والمغالاة في أثمانها سنة مَنْ عليه أفضلُ الصلاة والسلام، ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾[الإسراء ١٩]، ويدخل وقتُها بمضي قدر الصلاة، والخطبتين من طلوع شمس هذا اليوم الكريم، وينتهي بغروب شمس آخر يوم من أيام التشريق؛ المخصوصةِ بمزيد التعظيم، وليعط الجزارَ أجرتهَ من غيرها؛ ليحوز كاملَ الأجر من الرب الرحيم، ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾[النساء: ١٢٤]. ولا تجزىء[1] العرجاء البَيِّنُ ظلعُها، والعوراء البينُ عورُها، والمريضة البينُ مرضهُا، والعجفاء التي لا تُنْقِي.

فاتقوا الله عبادَ الله، وتقربوا إليه بأنواع القرب، ﴿ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٨]. قال رسول الله ﷺ: «ما عملَ ابنُ آدمَ من عملٍ أحبَّ إلى الله من إهراقِ الدم، وإنها تأتي يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها، وإن الدم ليقعُ من الله بمكانٍ قبل أن يقعَ بالأرض، فطيبوا بها نفساً»[2]. ألبسَنا الله وإياكم حللَ عفوه وعافيته ورضوانه، ومنحنا ببركة هذا العيد السعيد وافرَ إحسانه، ورزقنا توبةً نصوحاً نستوجب بها جزيل فضله وغفرانه، وأدخلنا الجنة بكرمه وامتنانه. إن أحسن الكلام كلام الملك العلام، والله يقول، وقولُه الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾[الكوثر: ١-٣].

بارَكَ الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعَني وإياكم منه بالآيات والذكر

---

(١) قوله: (ولا تجزىء العرجاء... إلخ) رواه مالك، وأحمد، والترمذي، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي عن البراء ابن عازب. ا.هـ.

(٢) قوله: (قال رسول الله... إلخ) رواه الترمذي، وابن ماجه عن عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ. ا.هـ.

الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

سبحانَ مَنْ برأ الناس وعمَّهم بالإحسان، وخصَّ المسلمين منهم بنعيم الآخرة ودخول الجنان، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد، سبحان من بعث إليهم رسولاً من أنفسهم يهديهم إلى مقامات العرفان، وعلمهم على لسانه الشرائع والحكم والقرآن، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد، سبحانه وتعالى من فضل أمته ودينه على سائر الأمم والأديان، ووضع عنهم الإصرَ والأغلال، وطهرهم عن رجس الأوثان، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد. سبحان مَنْ وعدَ المضحين بكلِّ شعرةٍ حسنةً تثقيلاً للميزان، وجعل إهراق الدم يوم النحر أحبَّ الأعمال إليه، فإنه قبل الأرض يقعُ من الله بمكان. الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

سبحان مَنْ لا تحُصى نعمه وإن سعى غايةَ سعيه(١) كلُّ إنسان، وكان في كل شعرةٍ من شعوره ألفُ فم في كل فم ألفُ لسان. الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد(٢)، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً خالصة من الجَنان، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله أفضلُ من بُعث بالحجج والفرقان، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما استدار الزمان، وتعاقب المَلَوان.

---

(١) في نسخة: جهده.

(٢) تمامه: سبحان من أَطَّت السموات لعظمته، وانقاد لحكمه الثقلان، وسبحت الملائكة من خيفته، وخضع لجلاله الملوان، سبحان من له العظمة والكبرياء، والنعمة والآلاء، وهو الحنان، وهو القاهر فوق عباده لا إله إلا هو سبحانه وتعالى من مقتدر ديان. انتهى.

أما بعد: عباد الله! أوصيكم ونفسي بتقوى الله، وأحذركم معصية الإله، وأذكركم بأيام الله، وما كان عليه الأنبياء من بذل الأموال والأنفس في طاعة الله. روي أن السيد إبراهيم ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ أتاه في منامه آتٍ من رب العالمين، فأمره أن يتقرب إلى الله بذبح أحبِّ ما عندَه. ثم روى في أمره يوم التروية، ثم عَرَّفه يوم عَرَّفة أن المراد ذبحُ ولده، وأن يتولى ذلك بيده، فانتهى إلى أمر ربه، وأطفأ بنور رضوانه[1] حرارةَ قلبه، وخرج بابنه إسماعيل ـ عليه صلوات الله الجليل ـ إلى حيث أُمر، وأعلمه الأمرَ الذي قد قُدِر، فانقاد لأمر الله وأحسنَ التسليم، وكذلك صنع كل من أتى الله بقلب سليم. وأبى إبراهيم إلا الإمضاءَ لحكم القضاء، حتى إذا تله للجبين، وأخذ الشفرة باليمين، وأهوى بها إلى نحره، معلناً بحمد الله وشكره، وتبشش ووضع السكين على رقبته، ولم تنازعْه محبة ولده[2]، فلما وجده الله ثابتاً على صدق النية، وقوة صبره عند حلول البلية، ناداه: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّؤْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٥ـ ١٠٦]، وأتاه جبريل ـ عليه السلام ـ بالفدية، فعمد إليها بالمدية، فنحرها مسمياً[3] مكبراً، فأبقى الله ذلك في عقبه سنةً، وجعل على أشرف أولاده وأمته منةً، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، فلقد قال ـ عز وجل ـ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢]، فيا أيها العاصون! أما آن لكم أن تقلعوا عن الذنوب؟ أَوَلا تتعظون؟ أما حان لكم أن ترجعوا إلى علام الغيوب، أولا تعتبرون؟ أولئك بذلوا أنفسهم لله، وأنتم بالدراهم والدنانير تحشون، أولئك خلعوا نفوسهم وأخلصوا قلوبهم لله، وأنتم في كل واد تهيمون، أولئك تجنبوا عن حظوظهم لله، وأنتم في الحظوظ منهمكون، أولئك تَبَرَّوا عن كل

---

(١) في نسخة: نار قلبه.

(٢) تمامه: ضجت الملائكة لهما بالدعاء، وعجت الوحش وجداً لهما بالثناء. ا.هـ.

(٣) في نسخة: وجهر باسم الله، والتكبير عليهما إعلاناً.

ما سوى الله، وأنتم بسلاسل العلائق مقيَّدون، وا فضيحتكم من الله إذا ابتلى سرائركم، وامتحن صدق ما تدعون، ووقفتم بين يديه حفاة عراة غرلاً، كما بدأكم تعودون، وقرع أسماعكم قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[المؤمنون: ١١٥]، كلا والله لئن لم يرحمنا ربنا لنحن الهالكون، وإن لم يغفر لنا ربنا لنحنُ الخاسرون.

إن أحسن الكلام، وأبلغ النظام، كلامُ الله الملك العلام، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم[١] ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[الحج: ٣٦].

* * *

(١) في نسخة: إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم أجمعين. فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

دائرة خطبة عيد الأضحى

الحمد لله الذي أعاد علينا من عوائد فضله ما يعود في كل عيد ويَظْهَر، وزكَّى أبداننا من درن السيئات وطَهَّر، وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الذي جعل لكل شيء وقتاً وأجلاً مُقَدَّر، وأشهد أن نبينا محمداً عبدُه ورسوله أفضلُ من شيد أركان البيت الحرام بالحجِّ وعَمَّر، وأَجَلَّ من عيد ونحر وكَبَّر.

أما بعد: عباد الله! احضروا في هذا اليوم العظيم لصلاتكم بوقارٍ وسكينة، وأجمل هيئة وزينة، وكبروا بالطريق جهراً، وعظموا شعائر ربكم، فمن يعظم شعائر الله يعظم له أجراً، واجعلوها من أعظم ذخائركم، واستشعروا التقوى في ضمائركم، فلن يقبل الله من الأعمال إلا ما كان خالصاً، ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾[الحج: ٣٧]، واعلموا أنه يجب على كل حر مسلم غني واجدٍ للسَّعَة الفاضلة عن الحوائج الأصلية، أن يضحي عن نفسه بعدَ صلاة العيد إلى ثلاثة أيام بشاة أو سُبْعِ بدنةٍ أو بقرةٍ، وإنما يجزىء ابنُ حول من المعز، وابنُ حولين من البقر، وخمسةٍ من الإبل(١)، ويأكل المضحي من لحم

---

(١) تمامه: ويجوز الإبل والبقر من واحد إلى سبعة، ويقسم اللحم وزناً لا جزافاً، إلا إذا ضم معه من الأكارع والجلد. وتجزىء الجماء التي لم يخلق لها قرن، والخصي، ولا تجزىء العجفاء التي لاتنقي، والعرجاء التي لا تمشي إلى المنسك. ومقطوع الأكثر من ثلث الأذن أو الألية أو الذنب أو العين. انتهى.

الأضحية، ولو كان غنياً، ولا ينقص التصدق عن الثلث، ويتصدق[1] بجلدها، ولا يعطي أجراً لجزار منها[2]، فأقيموا ـ عباد الله ـ شعارَ هذا المشعر[3]، فما عمل ابن آدم يوم النحر عملاً أحبَّ إلى الله من إهراق الدم، روى الشيخان: أنه ﷺ «ضَحَّى بكبشين أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ ذبحَهما بيده الشريفة، واضعاً على صفاحهما قدمه الشريف، فلما ذبح الأول، قال: باسم الله والله أكبر، اللهم هذا منك وإليك، اللهم إن هذا عن محمد وآله. ثم ذبح الثاني وقال: باسم الله والله أكبر، اللهم إن هذا عَمَّنْ شهد لي بالبلاغ، وشهدت الملائكة له بالتصديق، ولقي اللهَ لا يشرك به شيئاً». وعنه ﷺ أنه قال: «من وجد سَعَة ولم يضحِّ فلا يقربنَّ مصلانا»[4]، فتقربوا ـ عباد الله ـ في هذا اليوم بضحاياكم، واجعلوها من أطيب ذخائركم، فإنها يوم القيامة مطاياكم، واجتنبوا العوراء والعرجاء، والمريضةَ والجرباء، ومقطوعةَ الأذن، ومهتمةَ الأسنان، والثولى، وكلَّ ذات

---

(١) أو يعمل منه دلواً أو غرباً، أو يبدله بما ينتفع به باقياً. انتهى.

(٢) ويكره ذبح حيوان بحضور حيوان آخر، وترك النخع؛ أي: الذبح الشديد حتى يبلغ النخاع، والسلخ قبل أن يسكن عن الاضطراب. ويستحب تسمين الأضحية، قال النبي ﷺ: «سمنوا ضحاياكم؛ فإنها على الصراط مطاياكم»، وإحداد الشفرة قبل الاضجاع ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ـ ١٦٣]، ثم يضجعها على جانبها الأيسر، ويأخذ السكين باليمين، ويمسك رأسها باليسار، ويضع قدمه على صفاحها، ويقول: باسم الله، الله أكبر. ثم يذبح، ويقطع الحلقوم والمريء والودجين. انتهى.

(٣) رواه أحمد، وابن ماجه، والترمذي، وقال: هذا حديث حسن غريب من حديث عائشة، وتمامه: «وإنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها، وإن الدم ليقع من الله ـ عز وجل ـ بمكان قبل أن يقع على الأرض، فطيبوا بها نفساً». ا. هـ.

(٤) رواه أحمد، وابن ماجه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، وصححه الحاكم، لكن قال الحافظ في «بلوغ المرام»: لكن رجح الأئمة وقفه. وقال في «الفتح»: رجاله ثقات، لكن اختلف في رفعه ووقفه، والموقوف أشبه بالصواب، قاله الطحاوي وغيره. انتهى.

عيب يُنقص لحمَها. والأفضلُ لمن يضحي أن يذبح بنفسه إن استطاع، ويوكل غيره إن أراد، فعظموا شعائر الله، وأدوا فرائض الله، فإن الله ذاكر لمن ذكر، وشاكر لمن شكر، قال أصحاب رسول الله: «ما هذه الأضاحي يا رسول الله؟ قال: سنة أبيكم إبراهيم ـ عليه السلام ـ، قالوا: فما لنا فيها يا رسول الله؟ قال: بكل شعرة حسنة»[1]، قال الله عز وجل ـ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلِّ على نبينا ومولانا محمد إمام الحرمين، وعلى آله وأصحابه أولي الفضل والرفعة في الدارين، خصوصاً على إمام الخلفاء الراشدين المهديين، أبي بكر الصديق صاحبِ رسولِ الله في الغار، وعمرَ الفاروقِ، قامعِ أساسِ الكفار، وعثمانَ ذي النورين كاملِ الحياء والوقار، وعليٍّ المرتضى أسد الله الجبار، وعلى ريحانتيَ سيدِ الكونين، أبي محمدٍ الحسن، وأبي عبد الله الحسين، وعلى أمهما الزوج البتول، فاطمةَ بنتِ الرسول، وعلى عمَّيه المعظمينِ عند الناس، أبي عمارةَ حمزةَ، وأبي الفضلِ العباس، وعلى سائر الصحابة الأخيار، من المهاجرين والأنصار. أولئك حزبُ الله، ألا إن حزبَ الله هم المفلحون.

اللهم أيد الإسلام والمسلمين، وانصرْ جيوش الموحدين، واخذل الكفرة والمشركين، اللهم انصر من نصر الدين، واخذل من خذل المسلمين. عباد الله! رحمكم الله، ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[النحل: ٩٠]. فاذكروا الله العظيم يذكركم، وادعوه يستجب لكم، واستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) تمامه: قالوا: فالصوف؟ قال: «لكل شعرة من الصوف حسنة» رواه أحمد، وابن ماجه، والترمذي من حديث زيد بن أرقم بلفظ: قلت، أو قالوا: يا رسول الله! الحديث...

خاتمة الكتاب

لما فرغنا عن ذكر الخطب التي يُخْطَب بها مرتبةً على شهور السنة، عَنَّ لنا أن نشير إلى ما ورد من السنة نفسِها إشارةً موجزة، ثم نتبعه بذكر الخطب المتفرقة لدخول عام، وخروج عام، وغير ذلك مما يصلح للتذكير، تفنناً في المواعظ بالألفاظ الفصيحة والأحاديث البليغة، وموضع قراءة هذه الخطب هو موضع الخطبة الخامسة من آخر كل شهر، المذكورة في هذا الكتاب، وبالله التوفيق، وهو الميسر لكل صعاب.

❊ ❊ ❊

شهر الله المحرم

قد دلت الأحاديث الصحيحة الكثيرة على مشروعية صومه، ونسخُ وجوبه لا ينسخُ استحبابه؛ لما في حديث ابن عباس في «الصحيحين» وغيرهما، قال: ما علمت أن رسول الله ﷺ صام يوماً يطلب فضلَه على الأيام إلا هذا اليوم، يعني يوم عاشوراء، ولا شهراً إلا هذا الشهر؛ يعني: رمضان. وفي الأحاديث الثابتة في «الصحيحين» وغيرهما من جماعة من الصحابة: أنه ﷺ صامه، وأمر بصيامه، ثم قال: «هذا يوم عاشوراء، ولم يُكتب عليكم صيامُه، وأنا صائم، فمن شاء صام، ومن شاء فليفطر»، وفي «الصحيحين» وغيرهما من حديث ابن عمر: «أن أهل الجاهلية كانوا يصومون يوم عاشوراء، وأن رسول الله ﷺ صامه والمسلمون، قبل أن يفرض رمضان، فلما فرض رمضان، قال رسول الله ﷺ: «إن يوم عاشوراء يومٌ من أيام الله تعالى، فمن شاء صامه»، وورد في «صحيح مسلم» وغيره من حديث أبي قتادة، قال: قال رسول الله ﷺ: «صومُ عاشوراء يُكَفِّر سنةً ماضية»، وثبت في «مسلم» وغيره أيضاً: أنه لما أمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله! إنه يوم يعظمه اليهود والنصارى، فقال: «إذا كان العام المقبل إن شاء الله، صمنا التاسع» فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ. وفي رواية: «صوموا التاسع والعاشر، وخالفوا اليهود»، فينبغي لمن أراد أن يصوم يوم عاشوراء أن يصوم الذي قبله، وقد استحبه أكثر أهل العلم. وأما اتخاذ هذا

الشهر موسماً كما يفعله الجهال، ومأتماً كما يفعله الرافضة، فمخالف للسنة، غيرُ ثابت بالشريعة الحقة. وقد نقل مجد الدين اللغوي من طريق الحاكم: أن سائر الأحاديث في فضله غير الصوم كله موضوع ومفترى، وبذلك صرح الحافظ ابن القيم أيضاً. وحديث التوسعة فيه على عياله وأهله أنكره شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ، وقال: لم يرد فيها شيء عنه؛ أي: بطريقة صحيحة. وقال الإمام أحمد: لا يصح، وقال عقبة: في إسناده لين، وحسنه ابن حبان، وهو ظاهر كلام البيهقي، ولكن الحق أن كل أسانيده ضعيفة.

* * *

شهر صفر

قد وقع نفيُ صفر، والنهيُ عن التطيرُّ به في أحاديث كثيرة بطرق متعددة ثابتة، واختلف أهل العلم في المراد بصفر، فقيل: هو حية في البطن تعض إذا جاع، وقيل: الدود فيه، وقيل: هو الشهر المعروف. زعموا أن فيه تكثر الدواهي والفتن، فنفاه الشارع، وأبطله الإسلام. وقيل: المراد به: النسيء، وهو تأخير المحرم إلى صفر، وجعلُ صفر هو الشهر الحرام، وبنحوه قال القاضي عياض، وقيل غير ذلك، وحاصل الأقوال يرجع إلى ثلاثة: الشهر المعروف، أو الدود في البطن، أو النسيء، ولم أقف على حديث في فضل شهر صفر ولا ذمه.

* * *

شهر ربيع الأول

وفيه مولد النبي ﷺ، ووفاته، واتخاذه موسماً للاحتفال بذكر مولده بدعةٌ ضلالة، لم يرد بها شرع ولا عقل، وإنما أحدثه الأكالون البطالون من أصحاب البدع. وتبع فيه الآخر الأول، إلا من عصمه الله، ووفقه لفهم ما ورد به الكتاب والسنة ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[صٓ: ٢٤]، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[سبأ: ١٣]، وقد طال الكلام على ذلك من أهل العلم طولاً لا طائل تحته، والحق أنه من البدع المنكرة التي لا يدل عليها دليل من الشرع، إلا رأي من رأى ذلك من غير حجة نيرة، ولا برهان واضح ينبغي التعويل عليه، والسكون إليه؛ كما أوضحنا ذلك في كتابنا «دليل الطالب على أرجح المطالب»، وغيرنا في غير ذلك، ولم يرد في فضل هذا الشهر حديث فيما أعلم، والله أعلم.

* * *

شهر ربيع الآخر

لم يرد في فضل هذا الشهر أيضاً حديث في كتاب من كتب الأحاديث، ولم أقف عليه، وذكر فما ثبت بالسنة أن فيه وفاة الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ رحمه الله ـ، وأن عرسه يكون تاسع هذا الشهر، والمشتهر اليوم الحادي عشر منه. ثم ذكر قصة وفاته، واستحسان الأعراس، وليس في وفاة أحد من المسلمين ـ عالماً كان أو جاهلاً ـ في شهر من الشهور فضيلة لذلك الشهر، ولم تثبت الأعراس، لا بدليل من الأدلة الشرعية، ولا بالعقل السليم عن الآفات، بل ثبت أنها أيضاً من محدثات القوم، مثل إحداث عمل المولد، وغير ذلك من البدع المنكرة.

❊ ❊ ❊

شهرا جمادى الأولى وجمادى الآخرة

لم يرد في فضل هذين الشهرين أيضاً حديث، ولم نقف عليه، ولم يذكرهما في كتاب ما ثبت بالسنة أيضاً، ولم يتكلم عليهما بكلام.

* * *

شهر رجب

لم نقف أيضاً في واحد من الكتب الستة على حديث وارد في فضل رجب، ؤإلا ما ذكره فيما ثبت بالسنة من الأحاديث الشديدة الضعف المنكرة الموضوعة في ذلك، ثم قال: فهذه أحاديث ذكرت فيما عندنا من الكتب، ولم يصح منها على ما قالوا شيء، وغالبها الضعف، وجُلُّها موضوع. انتهى. وفي كتاب «تبيين العجب» للحافظ ابن حجر، تكلم فيه على أحاديث رويت في فضل رجب. قال شيخنا العلامة الشوكاني ـ رحمه الله ـ في «السيل الجرار»: ولم يرد في رجب على الخصوص سنة صحيحة ولا حسنة ولا ضعيفة ضعفاً خفيفاً، بل جميع ما روي فيه على الخصوص، إما موضوع مكذوب، أو ضعيف شديد الضعف، وغاية ما يصلح للتمسك به في استحباب صومه ما ورد في حديث الرجل الباهلي: أن النبي ﷺ قال له: «صم أشهر الحُرُم» ورجب من الأشهر الحرم بلا خلاف. وهذا الحديث أخرجه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، ولكنه لا يدل على شهر رجب على الخصوص، والأولى أن يقال: يُستحب صومُ الأشهر الحرم، سيما المحرم، وذلك لورود الدليل الدال على استحباب صومه على الخصوص، كما ثبت في «الصحيحين» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ سئل: أي الصيام بعد رمضان أفضل؟ فقال: «شهر الله المحرم»، وأما ما أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ «نهى عن صيام رجب»،

ففي إسناده ضعيفان، زيد بن عبد الحميد، وداود بن عطاء، ولكنه ـ على ضعفه ـ أقوى مما ورد في استحباب صومه. وأخرج ابن أبي شيبة في «مصنفه»: أن عمر كان يضرب أكفَّ الناس في رجب حتى يضعوها في الجِفان، ويقول: كلوا، فإنما هو شهر كان يعظمه الجاهلية. وأخرج ابن أبي شيبة أيضاً من حديث زيد بن أسلم قال: سئل رسول الله ﷺ عن صوم رجب، فقال: «أين أنتم من شعبان؟»، وهو مرسل انتهى. ومما اشتهر فيما بين الناس في هذا الشهر ليلة جمعة منه، وللمشايخ فيها صلاة مشهورة فيما بينم أنكرها المحدثون أشدَّ الإنكار، وصنف أهلُ العلم في إبطالهما كتباً مستقلة، وقد صنف الشيخ ابن حجر المكي كتاباً في هذا الشأن، وجمع كثيراً من الصلوات التي ليست من السنة في شيء، بل هي بدع منكرة، ولكن انتصر لجواز هذه الليلة والصلاة فيها الشيخ عبدُ الحق الدهلوي في كتابه «ما ثبت من السنة»، وليس هذا الانتصار للبدع منه بعجيب؛ فإن ذلك من عادته القديمة، وشنشنته السقيمة. ولا ينبغي لأمثالنا أن نضيع أوقاتنا بالاشتغال لرده، فإن كون ذلك وأمثاله بدعةً أجلُّ من أن يخفى على أحد من أهل العلم بالسنة المطهرة.

وفي هذا الشهر كان معراجه ﷺ بسبع وعشرين منه، وهو المشتهر بديار العرب. وقيل: الصحيح: أنه كان بسبع عشرة من رمضان أو من شهر ربيع الأول بمكة في السنة الثانية عشرة من البعثة، والله أعلم.

* * *

شهر شعبان

أما هذا الشهر، فقد جاءت فيه الأدلة الصحيحة، حتى قالت عائشة: «لم يكن النبي ﷺ يصوم شهراً أكثر من شعبان؛ فإنه كان يصومه كلَّه» هكذا في «الصحيحين» وغيرهما، وفي لفظ فيهما من حديثها: «ما كان يصوم في شهر ما كان يصوم في شعبان، كان يصومه إلا قليلاً، بل كان يصومه كله»، وفي لفظ فيهما من حديثها: «ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيامَ شهر قط إلا شهر رمضان، وما رأيته في شهر أكثرَ منه صياماً في شعبان»، وأخرج أحمد، وأهل السنن، من حديث أم سلمة: «أن النبي ﷺ لم يكن يصوم من السنة شهراً تاماً إلا شعبان يصل به رمضان»، ولفظ ابن ماجه: «كان يصوم شعبان ورمضان»، وحسنه الترمذي انتهى ما في «السيل».

وفي الباب أحاديث كثيرة ذكرها الشيخ عبد الحق الدهلوي في «ما ثبت من السنة»، ووردت أحاديث في فضل ليلة النصف من شعبان بخصوصها أيضاً عند البيهقي وغيره عن جماعة من الصحابة مرفوعاً وموقوفاً، وكذلك وردت أحاديث في قيام ليلة النصف من شعبان وصيام يومها، وما ثبت فيها من الأدعية والأذكار. وأما ما تعارف الناس في أكثر بلاد الهند من إيقاد السرج، ووضعها على البيوت والجدران وإحراق الكبريت، فإنه من البدع الشنيعة، ومما لا أصل له في الكتب المعتبرة، ولم يرد فيها حديث لا ضعيف ولا موضوع، ولا يعتاد

ذلك في غير بلاد الهند من الديار العربية والعجمية، بل عسى أن يكون ذلك ـ وهو الظن الغالب ـ اتخاذاً من رسوم الهند للدوالى وأول حدوث الوقيد من البرامكة، وكانوا عبدة النار.

* * *

شهر رمضان

فيه صيام وقيام، وقد ذكرنا أحكامهما في مؤلفاتنا، فلا نعيدها هاهنا. والاعتكاف في رمضان آكدُ، سيما في العشر الأواخر منه، ويستحبُّ الاجتهاد في العمل الصالح فيه، وقيام ليالي القدر. وفي تعيينها أحاديث مختلفة وأقوال، ومذاهب يطول تعدادها، وقد بسطها شيخنا العلامة الشوكاني في «شرح المنتقى»، فكانت سبعة وأربعين قولاً، وذكر أدلتها، وبين راجحها من مرجوحها، والأحاديث في فضل هذا الشهر كثيرة شهيرة لا يسع لذكرها المقام، فمن شاء الاطلاع على تفصيل ذلك، فليراجع كتب السنة المطهرة، فإن فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه» أخرجه البخاري، ومسلم، وعنه أيضاً، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاكم رمضانُ شهرٌ مبارك، فرض الله عليكم صيامَه، تُفتح فيه أبوابُ السماء، وتُغلق فيه أبوابُ الجحيم، وتُغَلُّ فيه مَرَدَة الشياطين، لله فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر، ومن حُرِمَ خيرَها فقد حُرم» رواه أحمد، والنسائي، وفي رواية عند ابن ماجه عن أنس بن مالك، قال: دخل رمضان، فقال رسول الله ﷺ: «إن هذا الشهر قد حضركم،

وفيه ليلة...» الحديث بنحو ما تقدم. وعن سلمان الفارسي، قال: خطبنا رسولُ الله ﷺ في آخر يوم من شعبان، فقال: «يا أيها الناس! قد أَظَلَّكم شهرٌ عظيم، شهرٌ مبارك، شهرٌ فيه ليلة خيرٌ من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوُّعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير، كان كمن أدى فريضة، فيما سواه ومن أدى فريضةً، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهرُ الصبر، والصبرُ ثوابه الجنة، وشهرُ المواساة، وشهر يُزاد فيه رزق المؤمن، من فَطَّر فيه صائماً، كان له مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثلُ أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء»، قلنا: يا رسول الله! ليس كلنا يجد ما يُفطر به الصائمَ، فقال رسول الله ﷺ: «يعطي الله هذا الثوابَ من فَطَّر صائماً على مذقة لبن، أو تمرة، أو شربة من ماء، ومن أشبع صائماً، سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة، وهو شهرٌ أولُه رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، ومن خفف عن مملوكه فيه، غفر الله له، وأعتقه من النار» أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان».

* * *

شهر شوال

هذا الشهر من أوائل أشهر الحج، وفيه يوم العيد، ويوم مغفرة الذنوب، وليوم العيد أحكام وردت بها الأحاديث، ذكرناها في «الروضة الندية» وغيرها من مؤلفاتنا، ويكفي الاقتصارُ فيه على ما وردت به السنة المطهرة، من دون تقييد بمذهب، وتقليد لمشرب، سيما تأدية صلاة العيد على الوجه المأثور.

* * *

شهر ذي القعدة

هو من الأشهر الحرم أيضاً، ولم نقف على حديث في فضله، ولم يتكلم عليه في «ما ثبت بالسنة»، وغيرها أيضاً الشيخ عبد الحق الدهلوي ـ رحمه الله ـ، وغيره، ولم نراجع له ولجمادى الأولى والآخرة إلى كتاب أيضاً هذه الساعة؛ لشغل البال بالأفكار، فمن وقف على شيء من ذلك، فليلحقه بهذا المقام.

* * *

شهر ذي الحجة

وردت فيه الأحاديث الصحيحة الشهيرة، منها ما روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام العملُ الصالحُ فيهن أحبُّ إلى الله من هذه الأيام العشر، قالوا: يا رسول الله! ولا الجهادُ في سبيل الله، قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجلٌ خرجَ بنفسه وماله، فلم يرجع من ذلك بشيء» أخرجه البخاري. وقد جاء في صيام عشر ذي الحجة وفضيلته واستحبابه بخصوصه أيضاً أحاديث، ولا شبهة أن المراد تسعة أيام منه؛ لما ثبت عنه ﷺ من حديث حفصة عند أحمد والنسائي، قالت: «أربع لم يكن يدعُهن رسول الله ﷺ: صيام عاشوراء، والعشر، وثلاثة أيام من كل شهر»، وفي لفظ لأبي داود: «كان يصوم تسع ذي الحجة» الحديث. وآكدُ التسع يومُ عرفة، إلا للحاج، وقد ثبت في «صحيح مسلم» وغيره من حديث أبي قتادة، قال: قال رسول الله ﷺ: «صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة»، وفي هذا الشهر الحجُّ الذي هو أحد أركان الإسلام الخمس، وفيه التضحية، وذكرُ الله تعالى، والتكبير في أيام التشريق، وأحكام الحج مبسوطة في كتب السنة، وفي مؤلفاتنا، فليراجعها، وبالله التوفيق.

❊ ❊ ❊

خطبة في دخول عام وخروج عام

الحمد لله الذي جعل في اختلاف الليل والنهار تبصرةً لأولي الألباب وذِكراً، وجعل هذه الدار مجازاً تفضي بمن عليها إلى الدار الأخرى، ويسر من شاء من عباده لليسرى، وجنبه العسرى، ويسر مسالكَ الطاعات وسَهَّلها، وجزى على الحسنة الواحدة عشراً.

نحمده على سوابغ آلائه التي لا نطيق لأقلها حصراً، وأشهد أن لا إله إلا هو، إلهاً واحداً أحداً وتراً، شهادةً تكون لقائلها في المعاد عدةً وذخراً، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله، الذي أُرسل بالحنيفية السهلة السمحة، والملة الغراء، نبيٌّ نصره الله بالرعب، وبعثه إلى الخليقة طُرّاً، نبيُّ أظهر الله دينه، وخصه بالمعراج والإسراء، نبي وعده الله المقام المحمود، والشفاعة الكبرى، نبيٌّ من صلى عليه مرةً واحدة، صلى الله عليه بها عشراً، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الأرفعين قدراً، والأطيبين ذكراً.

أما بعد: فأوصيكم ـ أيها الناس ـ بتقوى الله، فنعمتِ الوصيةُ لمن حافظ عليها، والموعظةُ البليغةُ لمن التفت بكله إليها، فاتقوا الله، ومن يتق الله فاز بالكرامة حقاً، وارغبوا فيما عنده، فما عند الله خير وأبقى، وقوا أنفسكم وأهليكم ناراً لا يصلاها إلا الأشقى، وتقربوا إليه؛ فإنه بكم رحيم ودود، وتزودوا، فبين أيديكم سفر بعيد، وعقبة كؤود، وراقبوه، فإنه شهيد عليكم في

الإعلان والإسرار، ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾[الرعد: ١٠]، واحذروه فقد حذركم نفسه في محكم الكتاب، وعظموا أوامره ونواهيه، وتذكروا يا أولي الألباب، وقدموا لأنفسكم فإن كل امرىءٍ على ما قدم قادم، فمن مسرور بحسناته، ومحزون على سيئاته نادم، ولا تغفلوا عن ذكر الموت؛ فإنه ليس بغافل عنكم ولا ناس، ومهدوا لتقلبكم من القصور إلى بطون الأرماس، وبادروا قبل أن يحل منه الميعاد، وقبل أن ينادى الرحيلَ الرحيلَ وأنتم بلا زاد، فحينئذ تشتد الحسرة على من فرط في الأعمال، ويطلب الرجعة ولات حين رجوع ولا إمهال، فيا لها حسرة تتقطع لها الأكباد، حسرة لا ينفع عندها المال ولا العشيرة ولا الأولاد، فالبدارَ البدارَ بالتخلص من المظالم والآثام، والغنيمةَ الغنيمةَ قبل تصرُّم الليالي والأيام، ألا وإنكم بين عام راحل، لا تدرون بما رحل عنكم ومضى، ولا تعرفون أحصلتم فيه على غضب من الله أم على رضا، وبين عام قابل لا تدرون ما أُبرم فيه من القضاء، ولا تعلمون أفي الأجل فسحة(١) أم قد بعد وانقضى؟ وإنكم على يقين من سيئات أعمال هي عليكم معدودة، وفي شك من صالحات أعمال أمقبولةٌ هي أم مردودة؟ فعلامَ الغفلة عن تدارك الخلل؟ وحتام الإعراض عن إصلاح النية والعمل؟ كأنكم اتخذتم من الموت عهداً وأماناً، أم لم تنظروا فعلَه بينكم عياناً، كلا واللهِ لقد أوسع فيكم مجالاً، وضرب لكم بأخذ أمثالكم أمثالاً، ووعظكم لو اتعظتم فما ترك لقائل مقالاً. هذا وكتابُ الله يتلى عليكم مساء وصباحاً، وزواجرُ عبره تخاطبكم بالنصائح كفاحاً(٢)، أصمت الأسماع عن المواعظ وسدت؟ أم قست القلوب من كثرة الذنوب فاسودت؟ فاعملوا لما بين أيديكم، فلمثل هذا فليعمل العاملون، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون، أقول

---

(١) بالضم: السعة.

(٢) أي: مواجهة. ا.هـ.

قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم من فرطات اللسان، وخطرات الجَنان، وأسأله التوبة لي ولكم ولكافة أهل الإيمان.

إن أنفع المواعظ للقلوب، وأبلغها زجراً عن مقارفة الذنوب، كلامُ ربنا علام الغيوب. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[التوبة: ٣٦].

* * *

خطبة يذكر فيها الحديث المشهور

الحمد لله الذي يَسَّرَ للسالكين من طاعاته الأسباب، ووعد العاملين الجزاء الأوفى وحسنَ الثواب، والحمدُ لله الذي هدانا بنبيه محمد ﷺ إلى مناهج الصواب، وفضَّلَه على الأنبياء بما آتاه من الحكمة وفصل الخطاب، وأثنى عليه في كتابه الحكيم بما بهر أولي الألباب، فهو المراد بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[آل عمران: ١٦٤]. نحمده ونشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، شهادةً كافية كافلة بحسن المآب، ونشهد أن محمداً عبدُه ورسوله المؤيَّدُ بفصل الخطاب. اللهمَّ صلِّ وسلم عليه وعلى آله وصحبه، ما عبد الله وتلا القارىء الكتاب.

أما بعد: فأوصيكم أيها الناس، إن أصدقَ الحديث كلامُ ربكم الحكيم، وخيرَ الهدي هديُ نبيكم الكريم، الذي هو كما وصفه الله لعلى هُدًى مستقيم، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وإن من أعظم أحاديثه نفعاً، وأمكنها في القلوب وقعاً، حديثاً شريفاً أحاط بكثير من خصال الخير جمعاً، حديثاً يحق لكل مسلم أن يكون له حافظاً، وينبغي لكل مؤمن أن لا يزال عليه محافظاً، حديثاً رغب في منجيات الخصال، ورهَّب من مرديات الخِلال،

حديثاً يبعث على صالحات الأعمال، ويدل على محاسن الأقوال والأفعال، وهو ما روي عنه ﷺ أنه قال: «إني رأيت البارحة عجباً، رأيت رجلاً من أمتي قد[1] احْتَوَشَتْه ملائكة العذاب، فجاءه وضوه، فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلاً من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر، فجاءته صلاته، فاستنقذته من ذلك، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين، فجاءه ذكرُ الله فخلصه منهم، ورأيت رجلاً من أمتي يلهث عطشاً، فجاءه صيام رمضان فسقاه، ورأيت رجلاً من أمتي من بين يديه ظلمة، ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة، وعن شماله ظلمة، ومن فوقه ظلمة، ومن تحته ظلمة، فجاءته حجته وعُمرته، فاستخرجاه من الظلمة، ورأيت رجلاً من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه بره بوالديه، فرده عنه، ورأيت رجلاً من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه، فجاءته صلةُ الرحم، فقالت: إن هذا كان واصلاً لرحمه، فكلمهم وكلموه وصار معهم، ورأيت رجلاً من أمتي يأتي النبيين وهم[2] حِلَقٌ حلق، كلما مر على حلقة، طرد، فجاءه اغتساله من الجنابة، فأخذ بيده، فأجلسه إلى جنبي. ورأيت رجلاً من أمتي يتقي وهجَ[3] النار بيديه عن وجهه، فجاءته صدقته، فصارت ظلاً على رأسه، وستراً عن وجهه. ورأيت رجلاً من أمتي جاءته زبانية العذاب، فجاء أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من ذلك. ورأيت رجلاً من أمتي هوى في النار، فجاءته دموعه التي بكى بها في الدنيا من خشية الله، فأخرجته من النار. ورأيت رجلاً من أمتي قد هوت صحيفته إلى شماله، فجاءه خوفُه من الله تعالى فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه. ورأيت رجلاً من أمتي قد خف ميزانُه، فجاءه أفراطُه فثقلوا ميزانه. ورأيت رجلاً من أمتي على شفير جهنم، فجاءه وَجَلُه[4] من الله

(١) أي: أحاطت به من كل جانبه. ا.هـ.
(٢) ـ بفتحتين ـ؛ أي: دوائر دوائر. ا.هـ.
(٣) الوهج ـ بفتحتين ـ كما في «مجمع البحار». ا.هـ.
(٤) الوجل: الفزع، وزناً ومعنى.

تعالى، فاستنقذه من ذلك. ورأيت رجلاً من أمتي يرعد كما ترعد السَّعفة(١)، فجاءه حسنُ ظنه بالله تعالى، فسكَّن رعدتهَ(٢). ورأيت رجلاً من أمتي يزحفُ(٣) على الصراط مرة، ويحبو مرة، فجاءته صلاته عليَّ، فأخذت بيده، فأقامته على الصراط حتى جاز. ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة، فغلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله، فأخذت بيده، فأدخلته الجنة»(٤) فاحرصوا ـ رحمكم الله ـ على هذا الخير الآجل، حرصكم على العاجل، واقطعوا قلوبكم عن سِنَة الغفلة، فإنه لا خير في قلب غافل، واعملوا فإن الناس مجزيون بأعمالهم، وإن الله لا يضيع عمل عامل.

جعلني الله وإياكم ممن فَرَّغَ للمواعظ قلباً وسمعاً، ولم يكن من الأخسرين أعمالاً الذي يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ووفقنا لاتباع نبيه الذي من وفق له فقد حاز الفضائل جمعاً. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[الحشر: ٧].

---

(١) السعفة ـ محركة ـ: الواحدة من أغصان النخيل كما في «مجمع البحار» وغيره.

(٢) الرعدة ـ بالكسر ـ: الخوف.

(٣) زحف من باب منع.

(٤) هذا حديث عظيم النفع كثير الجدوى، وقد رواه الحكيم الترمذي، والديلمي، والطبراني في «الكبير» بإسنادين في أحدهما سليمان الواسطي، وفي الآخر خالد المخزومي. قال المناوي: وكلاهما ضعيفان. انتهى. أقول: خالد بن عبد الرحمن المخزومي المكي لا شك أنه ضعيف، كما في «التقريب» و«الخلاصة». وأما سليمان بن داود الواسطي، فقد روى له النسائي ومسلم فردَ حديث، وقال: في «التقريب»: إنه صدوق وقال الخزرجي في «الخلاصة»: قال ابن معين: لا بأس به. وقال في «التهذيب»: قال أبو زرعة: هو شيخ ثقة. انتهى. فإذاً لا يكون الحديث الذي في إسناده سليمان المذكور ضعيفاً، بل إما حسن على رأي ابن معين، أو صحيح على رأي أبي زرعة. وعلى كل حال إذ روي هذا الحديث بغير إسناد واحد، فهو حسن على ما تقرر في علم الأثر. وقد قال القرطبي في «التذكرة» بعد ذكره: هذا حديث عظيم، ذكر فيه أعمالاً خاصة من أهوال خاصة، لكنه فيمن أخلص لله تعالى في عمله، وصدقه في قوله وفعله، وأحسن نيته.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم أجمعين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

خطبة من إنشاء الشيخ الأجل مسندِ الوقت
أحمد وليِّ الله الدهلوي
ـ رحمه الله تعالى ـ

الحمد لله الذي تقدَّس عن مشاركة المخلوقين، فسهامُ الأوهام دون الإصابة عن حقيقته ساقطة، وتعالى عن مشابهة المحتاجين، فأيدي الأفهام عند تناول ذاته غالطة، وتلطَّفَ عن مناسبة العالمين، فعقولُ العالمين في بيداء عظمته خابطة، وتعاظمَ عن مشاكلة المُتَحَيِّز، فمداركُ العارفين من اكتناه كنهه قانطة، لا يصفه الواصفون، ولا تبلغه الظنون، ولا تدركه العيون، ولا تضبطه ضابطة، دبر أمورَ ملكه من غير وزير ولا مشير ولا ظهير ولا نصير ولا واسطة. عمت رحمتُه، وتمَّت رأفته، وخرجت عن الإحصاء كلماته، فكلَّتْ كلُّ لاغية ولاغطة. وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، شهادةً لجميع شوارد السعادة رابطة، وأستغفره من ذنوب ألمَّ بها لسانٌ لاغٍ، أو قلبٌ طاغٍ، أو يدٌ جانيةٌ ولاقطة، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله، الذي بعثه ليجاهد الذين أعمالهم في الآخرة حابطة، ويعلم الناس الكتاب والحكمة، ويزكيهم ويصلح منهم كل نفس للصالح بالسيئ خالطة، ففعل ما أُمر به وصدع بالحق حتى ظهر أمرُ الله بعزِّ كلِّ راضيةٍ، وذلِّ كلِّ ساخطة. اللهمَّ صلِّ وسلِّم عليه وعلى آله وأصحابه بعدد كل نفس صبية أو شابة أو ماشطة.

يا بن آدم! إلام تتعب في دنياك، وتخالف أمر مولاك؟ هل سعدت يد للقَتاد خارطة؟ وحتام تنكُص على أعقابك وتدنس بيضَ أثوابك وتتبع أهواءك القاسطة؟

تواجه المسكين بالوجه العبوس، والقلب النفور، والأيدي القاحطة، وتعاشر الإخوان والجيران، بالأخلاق العسرة الشاخطة، أكبرُ همك أن تستفيد الخيلَ الصاهلةَ والإبل الطائطة وأعظمُ حيائك أن يقال: ما لكَ عافطةٌ ولا نافطة، ولا تبالي من حقوق العباد بما كنت مضيعه وغامِطه، وترضى أن تمرق من دين الله كأنك من القرامطة، تزين نفسك كل يوم كأنك خلقت للبقاء كما زينت العروسَ الماشطة. إذا بدا لك هوًى أحببت أن تكون وارده ووارطه، وإن دُعيت إلى مقامات القرب، بقيت نفسُك كسلانة غيرَ ناشطة، نفس ضيعت أوقاتها، متى تكون لمحاسن الأخلاق حائطة؟ أليس أن الأجداث مظلمة مُدَوِّدة منتنةٌ ضيقة ضاغطة؟ ألا تذكر يوم يقوم الناس لرب العالمين، لا تخفى منهم صاعدة ولا هابطة؟ ألا تُقْبِل على من خلقك وسوَّاك وما زالت يدُه بالنعيم عليك باسطة؟ ألا تحافظ على أوامر مولاك وما عهد به إليك وعليك شارطة؟ نسأل الله ربنا أن يكشف عنا كلَّ شدة، ويجعلها عنا زائلةً ومائطة، ويغفر لنا ذنوبنا ويعيننا في كل ورطة شديدة شاخطة. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ﴿٨﴾ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿١٠﴾ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ﴿١١﴾ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ﴿١٣﴾ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ٨-١٦].

* * *

خطبة أخرى له

ـ رحمه الله تعالى ـ

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً، فسواه وعدله، وعلى كثير ممن خلق فضَّلَه وجعلَه سميعاً بصيراً، ثم هداه السبيل، ونصب له الدليل، إما شاكراً وإما كفوراً، أما الكافرون فأعتد لهم سلاسل وأغلالاً وسعيراً، يعذَّبون بأصناف العذاب، ينادُون ويلاً ويدعون ثبوراً، وأما الشاكرون، فنعَّمَهم وأكرمهم ولقَّاهم نضرة وسروراً. ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾[الدهر: ٢٢]. فسبحان من بيده ملكوت كل شيء لم يزل ولا يزال عليماً قديراً، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله، بعثه بين يدي الساعة ليكون للعالمين نذيراً، وآتاه جوامعَ الكَلِم، ومنابعَ الحِكَم ووعده مقاماً محموداً، وجعلَه سراجاً منيراً، صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً.

أما بعد: فإني أوصيكم ونفسي بتقوى الله، وأحذركم يوماً عبوساً قمطريراً، يوم تبلى كل نفس، ولا تُقبل منها شفاعة ولا يُؤخذ منها عدل، ولا تجد نصيراً. يومئذ يندم الإنسان ولا ينفعه الندم، ويطلب العود إلى الدنيا، وهيهات أن يعود، ويخرج له كتاب يلقاه منشوراً. يا بن آدم! من أصبح على الدنيا حزيناً لم يزدد من الله إلا بعداً، ولا ينال في الدنيا إلا كداً، وفي الآخرة إلا جهداً، ولم يزل ممقوتاً مهجوراً. يا بن آدم! ترفق في الرزق، فإن الرزق مقسوم، والحريص

محروم، والاستقصاء مشؤوم، والأجل محتوم، وقد فاز من لم يحمل من الظلم نقيراً. يا بن آدم! خير الحكمة خشية الله، وخير الغنى غنى القلب، وخير الزاد التقوى، وخيرُ ما أُعطيتم العافية، وكان ربك قديراً. وكان ربك قديراً، وخير الكلام كلام الله، وأحسن الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها. ألا لا إيمان لمن لا أمانةَ له، ولا دِينَ لمن لا عهدَ له، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾[الإسراء: ١٧]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝١٨ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[الإسراء: ١٨، ١٩]. اللهم اغفر ذنوبنا، وامح عيوبنا، واستر عوراتنا، وآمن روعاتنا وكن لنا معيناً وظهيراً، واقض حاجاتنا، واشف عاهاتنا، وأدِّ ديوننا وكفى بربك مجيباً قريباً عليماً خبيراً.

* * *

خطبة الجمعة تنسب إلى الشيخ الأجل محمد إسماعيل الدهلوي الشهيد

ـ رحمه الله ـ

الحمد لله عليِّ الذات، عظيمِ الصفات، سميِّ السِّمات، كبيرِ الشأن، جليلِ القدر، رفيعِ الذكر، مُطاعِ الأمر، جليِّ البرهان، فخيمِ الاسم، غزيرِ العلم، وسيعِ الحلم، كثيرِ الغفران، جميلِ الثناء، جزيلِ العطاء، مجيبِ الدعاء، عميمِ الإحسان، سريعِ الحساب، شديدِ العقاب، أليمِ العذاب، عزيزِ السلطان. ونشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له في الخلق والأمر، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبدُه ورسولُه، المبعوثُ إلى الأسْوَدِ والأحمر، المنعوتِ بشرح الصدر، ورفع الذكر، وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين هم خلاصةُ العرب العرباء، وخيرُ الخلائق بعد الأنبياء.

أما بعد: فيا أيها الناس! وحِّدوا الله؛ فإن التوحيد رأسُ الطاعات، واتقوا الله؛ فإن التقوى ملاك[1] الحسنات، وعليكم بالسُّنَّة؛ فإن السنة تهدي إلى الإطاعة، ومن أطاع الله ورسوله فقد رشد واهتدى، وإياكم والبدعة؛ فإن البدعة تهدي إلى المعصية، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلَّ وغوى، وعليكم بالصدق، فإن الصدق يُنجي، والكذب يُهلك، وعليكم بالإحسان؛ فإن الله يحب المحسنين، ولا تقنطوا من رحمة الله؛ فإنه أرحم الراحمين، ولا تحبوا الدنيا

---

(١) الملاك ـ بالكسر والفتح ـ: قوام الشيء ونظامه، وما يعتمد عليه فيه، قاله في «النهاية».

فتكونوا من الخاسرين، ألا وإن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقَها، فاتقوا الله، وأَجْمِلوا في الطلب، وتوكلوا عليه؛ فإن الله يحب المتوكلين، وادعوه؛ فإن ربكم مجيب الداعين، واستغفروه يمددْكم بأموال وبنين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر: ٦٠].

بارك الله لنا ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا وإياكم بالآيات والذكر الحكيم، أستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره ونؤمن به ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات آعمالنا، من يهد الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هاديَ له، ونشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، ونشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً كثيراً[(١)].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وأوثق العُرا كلمة التقوى، وخير الملل ملةُ إبراهيم، وخيرَ السنن سنةُ محمد ﷺ، وأشرف الحديث ذكرُ الله، وأحسنَ القصص هذا القرآن، وخير الأمور عوازمُها، وشر الأمور محدثاتها،

(١) هذه الخطبة من لفظ (أما بعد) إلى قوله: (يعذبه الله)، ذكرها السيوطي في «الجامع الصغير»، وزاد بعده: اللهم اغفر لي ولأمتي، اللهم اغفر لي ولأمتي، اللهم اغفر لي ولأمتي، أستغفر الله ولكم. قال: رواه البيهقي في كتاب «دلائل النبوة»، وابن عساكر في «التاريخ» عن عقبة بن عامر الجهني، وأبو نصر السجزي في «الإبانة عن أصول الديانة» عن أبي الدرداء؛ أي: مرفوعاً، وكذا أبو نعيم عن عبد الله بن مسعود موقوفاً، قال المناوي في شرحه: هذه الخطبة قد عدها العسكري من الحكم والأمثال، وإسناده حسن. انتهى. وحسنه العزيزي أيضاً، وقد ترك منها جامع هذه الخطبة بعض الجمل، فزدتها في هذا الكتاب مع ما زاد عليها في أولها وآخرها، وكل واحد من هذه الحكم والأمثال، حديث ورد من طرق أخرى عند أصحاب السنن وغيرهم كما لا يخفى على من له معرفة بعلم السنة.

وأحسنَ الهدي[1] هديُ الأنبياء، وأشرفَ الموت قتلُ الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخيرَ العلم ما نفع، وخيرَ الهدي ما اتُّبع، وشرَّ العمى عمى القلب، واليدُ العليا خيرٌ من اليد السفلى، وما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة يوم القيامة، ومن الناس من لا يأتي الصلاة إلا دبراً، ومنهم من لا يذكر الله إلا هجراً، وأعظم الخطايا اللسانُ الكذوب، وخير الغنى غنى النفس، وخيرُ الزاد التقوى، ورأسُ الحكمة مخافة الله، وخيرُ ما وقر[2] في القلوب اليقينُ، والارتيابُ من الكفر، والنياحةُ من عمل الجاهلية، والغلولُ من جثاء[3] جهنم، والكنز كيٌّ من النار، والشِّعْرُ[4] من مزامير إبليس، والخمرُ جماع[5] الإثم، والنساءُ حبالَةُ الشيطان، والشبابُ شعبةٌ من الجنون، وشرُّ المكاسب كسبُ الربا، وشرُّ المآكل مالُ اليتيم، والسعيدُ من وُعِظ بغيره، والشقيُّ من شقي في بطن أمه، وإنما يصير أحدُكم إلى موضع أربعة أذرع، والأمرُ بآخره، ومِلاكُ العمل خواتمُه، وسبابُ المؤمن فسوق،

(١) ـ بفتح الهاء وسكون الدال المهملة ـ؛ أي: الطريق والسير. ا.هـ.

(٢) أي: سكن.

(٣) جمع جُثوة ـ بالضم ـ؛ أي: الشي المجموع؛ يعني: الحجارة المجموعة؛ أي: من جماعتها. انتهى. عزيزي.

(٤) ـ بالكسر ـ: الكلام المقفى الموزون.

(٥) أي: مجمعه ومظنته؛ لما يترتب عليه من المفاسد. قاله العزيزي. وفي «المصباح»: جماع الناس ـ بالضم والتثقيل ـ: أخلاطهم، وجماع الإثم ـ بالكسر ـ: جمعه، يقال: الخمر جماع الإثم، وفي «القاموس»، و«التاج»: جُمَّاع الناس كرمّان: أخلاطهم من قبائل شتى، ومن كل شيء مجتمع أصله، وكل ما تجمَّع وانضم بعضه إلى بعض، وجماع الإثم؛ ككتاب: عظيمه، وجماع الشيء ـ بالكسر ـ: جمعه، يقال: جماع الخباء الأخبية؛ أي: جمعها؛ لأن الجماع ما جمع عدد، يقال: الخمر جماع الإثم كما في «الصحاح»؛ أي: مجمعه ومظنته. قلت: وهو حديث، ومنه أيضاً قول الحسن البصري: اتقوا هذه الأهوال فإن جماعها الضلالة، ومعادها النار. وكذلك الجميع إلا أنه اسم لازم، وفي الحديث: حدثْني بكلمة تكون جماعاً، فقال: «اتق الله فيما تعلم»؛ أي: كلمة تجمع كلمات. انتهى.

وقتالُه كفر، وأكلُ لحمه من معصية الله، وحرمةُ ماله كحرمة دمه، ومن يتألَّ[١] على الله يكذبْه، وشرُّ الروايا[٢] روايا الكذب، وكل ما هو آت قريب، ومن يكظم الغيظ يأجرْه الله، ومن يصبرْ على الرزية يعوِّضْه الله، ومن يغفرْ يغفرِ الله له، ومن يعفُ يعفُ الله عنه، ومن يتبع السمعة يُسَمِّعِ الله به، ومن يصبرْ يضعف الله له، ومن يعص الله يعذبْه الله، قال النبي ﷺ: «أرحمُ أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدُّهم في أمر الله عمرُ، وأحياهم عثمان، وأقضاهم علي»[٣]، «وسيدا شباب أهل الجنة الحسنُ والحسينُ»[٤]، «وسيدة نساء أهل الجنة فاطمة»[٥]، وسيد الشهداء[٦]، حمزة[٧]، «اللهم اغفر للعباس وولده، مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنباً[٨]»، «اللهَ اللهَ في أصحابي، لا تتخذوهم غَرَضاً من بعدي، فمن أحبَّهم فبحبِّي أحبهم، ومن أبغضَهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه[٩]»، و«خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم[١٠]»،

---

(١) يقال: تألى يتألى تألياً، وآلى يؤلي إيلاء، كلاهما بمعنى اليمين؛ أي: من يحلف. انتهى.

(٢) ـ بفتح الراء المهملة ـ جمع راوية بمعنى ناقل.

(٣) رواه أحمد، والترمذي بلفظ: «وأصدقهم حياء عثمان» عن أنس، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) رواه الترمذي عن أبي سعيد مرفوعاً. انتهى.

(٥) رواه الترمذي عن حذيفة، وقال: هذا حديث غريب، ورواه البخاري ومسلم بلفظ: «يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة» عن عائشة والحاكم عنها أيضاً. وزاد أربع . . . مريم وفاطمة وخديجة وآسية.

(٦) أي: عند الله يوم القيامة، كما في هذا الحديث.

(٧) رواه الحاكم عن جابر، والطبراني عن علي، ورمز السيوطي لصحته. انتهى.

(٨) رواه الترمذي عن ابن عباس، وقال: هذا حديث غريب.

(٩) رواه الترمذي عن عبد الله بن مغفل، وقال: هذا حديث غريب.

(١٠) رواه الترمذي والحاكم عن عمر بن حصين بلفظ: «خير الناس قرني إلخ»، ورمز السيوطي=

و«السلطان ظل الله في الأرض، من أكرمه أكرمه الله، ومن أهانه أهانه الله[1]».

اللهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعلْ في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربَّنا إنك رؤوف رحيم، اللهم انصر مَنْ نصر دينَ محمد ﷺ، وأخذل من خذلَ دينَ محمد ﷺ. عباد الله! رحمكم الله ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله يذكركم، وادعوه يستجب لكم، ولذكرُ الله تعالى أعلى وأولى وأعزُّ وأجلُّ وأهمُّ وأتمُّ وأكبر.

* * *

= لصحته، وقد ورد بألفاظ وطرق عند الطبراني، وأحمد، والبخاري، ومسلم عن ابن مسعود، وعن عائشة، وعند الحاكم عن جعدة بن هبيرة. انتهى.

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي بكرة، ورمز السيوطي لصحته. انتهى.

خطبة الجمعة

الحمد لله الذي فضَّل نبيَّنا محمداً ﷺ وآتاه شرفاً وفخراً، وخصَّه بما لا يُحصى من المعجزات والخصائص الكبرى، وشرحَ له صدراً، ورفع له ذكراً، وجعل صحبَه وآلَه خيرَ صحب وآل، فهم أعلى البرية منزلةً وقَدْراً، وأولى الناس به في الأولى والأُخْرى، وفضَّلَ أمته على سائر الأمم، نعمةً من الله لا نُحصي له شكراً. نحمدُه على أن جعلنا من أمته المرحومة حمداً كثيراً سِرّاً وجهراً، ونشهد أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةً تكون لقائلها في المَعاد ذخراً، ونشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ بالملَّة السَّمْحَة السهلة الغَرَّا، صلَّى الله عليه وعلى آلهِ أمانِ أهلِ الأرضِ وصحبِه النجوم النيرة الزَّهرا.

أما بعد: فإن الدنيا حلوة خَضِرة، وإن الله مستخلِفُكم فيها، فناظرٌ كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء، ألا إن بني آدم خُلقوا على طبقات شتى، منهم من يولد مؤمناً، ويحيا مؤمناً، ويموت مؤمناً، ومنهم من يولد كافراً، ويحيا كافراً، ويموت كافراً، ومنهم من يولد مؤمناً، ويحيا مؤمناً، ويموت كافراً، ومنهم من يولد كافراً، ويحيا كافراً، ويموت مؤمناً. ألا إن الغضبَ جمرةٌ توقد في جوف ابن آدم، ألا

ترون إلى حُمْرَة عينيه وانتفاخ أوداجه[1]؟ فإذا وجد أحدُكم شيئاً من ذلك، فالأرضَ الأرضَ، ألا إن خيرَ الرجال مَنْ كان بطيء الغضب، سريعَ الرضا، وشرَّ الرجال مَنْ كان سريعَ الغضب، بطيء الرضا، فإذا كان الرجل بطيء الغضب، بطيء الفيء، وسريعَ الغضب سريعَ الفيء، فإنها بها[2]. ألا إن خير التجار من كان حسنَ القضاء، حسنَ الطلب، وشرَّ التجار[3] مَنْ كان سيِّىءَ القضاء، سيِّىءَ الطلب، إذا كان الرجل حسنَ القضاء سيِّىءَ الطلب، أو كان سيِّىءَ القضاء حسن الطلب، فإنها بها. ألا إن لكل غادر لواءً يومَ القيامة بقدر غدرته، ألا وأكبرُ الغدر غدرُ أمير عامة، ألا لا يمنعن رجلاً مهابةُ الناس أن يتكلم بالحق إذا علمه، ألا إن أفضل الجهاد كلمةُ حق عند سلطان جائر، «ألا إن مثلَ ما بقي من الدنيا فيما مضى مثلُ ما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه». «ألا وإنكم في زمان من تركَ منكم عُشْرَ ما أُمر به، هلك، ثم يأتي زمان من عمل منهم بُعشر ما أُمر به، نجا»[4]، «وأكبر الكبائر الإشراكُ بالله، وقتلُ النفس، وعقوقُ الوالدين، وشهادةُ الزور»[5]. «وإن الفحشَ والتفحُّشَ ليسا من الإسلام. وإن أحسن الناس إسلاماً أحسنُهم خُلُقاً»[6]. «وإن الناسَ إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمَّهم الله بعقاب منه»[7]. «ألا إن للإسلام صُوًى وعلاماتٍ كمنار الطريق، ورأسُه وجماعُه شهادةُ أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وإقامُ

---

(١) جمع ودج ـ بفتح الدال، وتكسر ـ: العرق الذي يقطعه الذابح، ويسمى الوريد.

(٢) أي: فإن إحدى الخصلتين تقابل بالأخرى. فلا يمدح على الإطلاق، ولا يذم على الإطلاق.

(٣) ـ بضم المثناة ـ جمع تاجر. ا. هـ.

(٤) رواه الترمذي عن أبي هريرة، ورمز السيوطي لضعفه. ا. هـ.

(٥) رواه البخاري عن أنس. ا. هـ.

(٦) رواه أحمد في المسند، وأبو يعلى، والطبراني عن جابر بن سمرة، ورمز السيوطي لصحته. ا. هـ.

(٧) رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه عن أبي بكر، وسنده صحيح.

الصلاة، وإيتاءُ الزكاة، وتمامُ الوضوء»[1]. «ألا وإن لله عندَ كل بدعة كيد بها الإسلامُ وأهلُه ولياً صالحاً يذبُّ عنه، ويتكلم بكلامة، فاغتنموا حضورَ تلك المجالس بالذبِّ عن الضعفاء، وتوكلوا على الله، وكفى بالله وكيلاً»[2]. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾ [الجمعة: ٩]، وقال ﷺ: «إن الله قد فرض عليكم الجمعة فريضةً مكتوبة إلى يوم القيامة، من وجد إليه سبيلاً».

جعلنا الله ممَّن عظم شعائر الإسلام، وتابع المصطفى ﷺ في جميع الأحكام، ألا وإن أحسنَ الكلام وأشفاهُ لأدواءِ القلوب وأسقام الأفهام، كلامُ ربنا الملك العلام: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بالسنة المطهرة والذكر الحكيم، أستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) رواه الطبراني عن أبي الدرداء، وسنده صعيف.
(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» عن أبي هريرة.

الخطبة الثانية

الحمد لله نحمدُه ونستعينُه، ونستغفره ونؤمن به ونتوكل عليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضلَّ له، ومن يضلِلْه فلا هاديَ له، ونشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً.

أما بعد: فقد قال رسول الله ﷺ: «بُني الإسلام على خمسٍ: شهادةِ أنْ لا إله إلا الله وأن محمداً عبدُه ورسوله، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، والحجِّ، وصومِ رمضان»[(١)]. و«لا يؤمنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والدِه وولدِه والناسِ أجمعين»[(٢)]. و«المسلمُ من سلمَ المسلمون من لسانه ويده، والمهاجرُ من هجرَ ما نهى الله عنه»[(٣)]. و«ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه، وجدَ بهن حلاوةَ الإيمان: من كان اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، ومن أحبَّ عبداً لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله كما يكره أن يُلقى في النار»[(٤)]. و«من تمسَّك

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ. ا.هـ.
(٢) متفق عليه من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ ا.هـ.
(٣) هذا لفظ البخاري عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ ا.هـ.
(٤) متفق عليه من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ ا.هـ.

بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مئة شهيد»[١]. و«من أكلَ طيباً، وعملَ في سُنَّة، وأمنَ الناسُ بوائقه، دخلَ الجنة»[٢]. و«تركتُ فيكم أمرين لن تضلُّوا ما تمسكتم بهما: كتابَ الله، وسنةَ رسوله»[٣]. و«ما أحدثَ قوم بدعةً إلا رُفع مثلُها من السنة، فتمسُّكٌ بسنةٍ، خيرٌ من إحداث بدعة»[٤]. و«خيرُ أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم إن بعدهم قوماً يشهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السِّمَن»[٥]. و«إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي، فقولوا: لعنةُ الله على شرِّكم»[٦]. و«لو كنتُ متخذاً خليلاً، لاتخذتُ أبا بكر خليلاً، ولكنه أخي وصاحبي»[٧]. و«إن الله جعلَ الحقَّ على لسانِ عمرَ وقلبِه»[٨]. و«لكلِّ نبيٍّ رفيقٌ، ورفيقي في الجنة عثمان»[٩]. و«إنَّ علياً مني وأنا منه، وهو وليُّ كلِّ مؤمن»[١٠]. و«الحسنُ والحسينُ سيدا شباب أهلِ الجنة»[١١]. «اللهم إني أُحِبُّهما فأحبَّهما وأحبَّ مَنْ يُحبهما»[١٢]. و«فاطمةُ

---

(١) رواه البيهقي في كتاب «الزهد» له من حديث ابن عباس، وروي أيضاً عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري، وتمامه: فقال رجل: يا رسول الله! إن هذا اليوم لكثير في الناس، قال: «وسيكون في قرون بعدي».

(٣) رواه مالك في «الموطأ» مرسلاً.

(٤) رواه أحمد عن غضيف بن الحارث الثمالي.

(٥) رواه الشيخان عن عمران بن حصين.

(٦) رواه الترمذي عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ.

(٧) رواه مسلم عن ابن مسعود.

(٨) رواه الترمذي عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ.

(٩) رواه الترمذي عن طلحة بن عبيد الله، ورواه ابن ماجه عن أبي هريرة، والحديث غريب منقطع.

(١٠) رواه الترمذي عن عمران بن حصين.

(١١) رواه الترمذي عن أبي سعيد.

(١٢) رواه الترمذي عن أسامة بن زيد.

بَضْعَةٌ مني»[١]. و«سيدةُ نساء أهل الجنة»[٢]. و«سيدُ الشهداء حمزة»[٣]. «اللهمَّ اغفرْ للعباس وولده، واجعل الخلافة باقيةً في عقبه»[٤].

اللهم اغفر لي ولجميع المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياءِ منهم والأموات، إنك مجيب الدعوات، اللهمَّ انصر من نصر دين محمد ﷺ، واجعلنا منهم، واخذُلْ من خذلَ دينَ محمد ﷺ ولا تجعلنا منهم، عباد الله! ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم، وادعوه يستجب لكم، ولذكرُ الله تعالى أعزُّ وأكبر.

* * *

---

(١) متفق عليه من حديث المسور بن مخرمة.

(٢) رواه الترمذي عن حذيفة، وقال: حديث غريب.

(٣) رواه الحاكم عن جابر، والطبراني عن علي، ورمز السيوطي لصحته.

(٤) رواه الترمذي عن ابن عباس، واستغربه.

خطبة الجمعة أيضاً

الحمد لله الذي خلق الإنسان، عَلَّمه البيان، واخترع الأشياء في أعجب تقدير وأغربِ إتقان، وقدَّرَ المقادير بجلائل حكمته، وكوَّنِ الأكوان، نحمدُه على ما منح من أنواع المَنِّ والإحسان، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له كلَّ يوم هو في شان، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسوله الذي نسخ بدينه الأديان، وبعثه بالملة الكاملة المنزَّهة عن النقصان، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين هم لأهل الأرض نجومٌ وأمان.

أما بعد: أيها الناس! فاتقوا الله كما أمركم بتقواه وحَبَّبَ إليكم الإيمان، واجتنبوا معاصيه فقد كَرَّه إليكم الكفرَ والفسوقَ والعصيان، وراقبوه فإنه معكم يسمع ويرى في كل مكانٍ وأوانٍ، واذكروه حقَّ ذكره بالقلوب والألسن والجوارح والأركان، واشكروه حق شكره كما خَوَّلكم ما لا يُحصى من النعم والإحسان، واحذروا بطشه فقد حذركم نفسه في مُحكم القرآن، وتذكروا أيامه فيمن قبلكم، فقد قصَّ عليكم القصص حتى صارت لكم كالعِيان، وتقربوا إليه بالطاعات لتنالوا غرفَ الجِنان، واعملوا لآخرتكم فكأنكم بما لم يكن منها قد كان، واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه في كل لحظةٍ وزمان ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]، وإياكم والدنيا التي كلُّ مَنْ عليها فانٍ، فلا تغرنكم زخارفُها التي أرباحُها إلى خسرانٍ، ونعيمُها إلى بؤسٍ،

وزيادتُها إلى نقصانٍ، وتدبَّروا ما وصفه الله في آيات القرآن: ﴿إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ [غافر: ٣٩]، ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

جعلني الله وإياكم ممن رجع إلى ربه وأناب، واستغفروه من فرطاتكم بصدق المتاب، إن أبلغ المواعظ زجراً، وأنفعَها لأولي الألباب ذكراً، كلامُ الله الذي جعل لكل شيءٍ قدراً ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[العصر: ١-٣].

باركَ الله لنا ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا وإياكم بالآيات والذكر الحكيم، أستغفرُ اللهَ لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

* * *

الخطبة الثانية

الحمدُ لله الذي اصطفى محمداً ﷺ، فشرح صدره، ووضع عنه وِزْرَه، ورفع له ذِكْراً، وافترضَ طاعته على كافة الناس، وجعل الذلةَ والصَّغارَ على من خالف له أمراً، وآتاه لواءَ الحمد ووعدَه المقام المحمود، والشفاعةَ العظمى في الأخرى، وأكرمه بأن من صلَّى عليه مرة صلَّى الله عليه بها عشراً، نحمده على نعمه، التي ضعفت قوى البشر عن القيام بحقها شكراً، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةً يُعِدُّها للمَعاد ذُخراً، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، صلاةً لا يزال مُكرّرها يحلو عصراً فعصراً.

أما بعد: أيها الناس! فأوصيكم ونفسي بتقوى الله، فإنها وصية الله في الكتاب، وأحذركم ونفسي الغفلةَ عنه، ونسيانَ يوم الحساب، وأحثكم وإياي على شكر نعمه، فما أحقَّها أن تشكر! فلقد خصَّكم من فضله بالحظ الأوفر، وجعلكم من خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فيا أيها الناس! ما هذه الغفلةُ والعبرُ بمرأًى منكم ومَسْمَع؟! وما هذه القسوةُ فلا قلبٌ يخشع ولا عينٌ تدمع؟! هذا وأخبار القرون الماضية لديكم تُملى، وكتابُ الله ليلاً ونهاراً عليكم يُتلى، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف: ٥٧]، ومن أجهل ممن حذر المهالك فلا يحذر منها، واللهِ ما قست

القلوبُ حتى رانت عليها الذنوب، ولا خمدت العيون، حتى غطت عليها غشاوات العيوب، فلينوا قلوبكم بذكر الموت، عساها أن تلين، وأيقظوها بذكر القبر وفتنته، فإنهما الحق اليقين، وذكروها يوماً يقوم الناس فيه لرب العالمين ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ: ٤٠] ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩] فإن جادَ بالفضل فأين الخجلُ بالحياء منه والعتاب؟ وإن قضى بالعدل فأين الوَجَل من شدة العذاب؟ أما إن أجسامكم الناعمةَ لا تقوى على حر النار، ولا تصبر على ضرب العصا وقرص النمل الصغار، فكيف تقوى على حر النار الشديد؟ أم كيف تصبر على ضرب الزبانية بمقامع الحديد؟ أم كيف تُطيق لسعَ عقاربَ كالبغال؟ وحياتٍ كأعناق الجمال، خلقها الله تعالى من صميم النار، وأعدها للعصاة في دار البوار، أعاذنا الله جميعاً من عذابه، وتفضل علينا برحمته وثوابه، قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] اللهمَّ صلِّ وسلم على نبينا محمد سيدِ المرسلين، والرحمةِ المهداة إلى العالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، خصوصاً على أفضل الصحابة الأكرمين، أبي بكر الصديق الأمين ـ رضي الله عنه ـ، وعلى الخليفة المؤيد بدعوة النبي الصادق المصدوق، أبي حفصٍ عمرَ الفاروق ـ رضي الله عنه ـ، وعلى نخبة الصحب بعد الشيخين، أبي عمرو عثمان ذي النورين ـ رضي الله عنه ـ، وعلى أبي السادة وعمدة القادة، أسدِ الله الغالب عليٍّ بنِ أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، وعلى ريحانتي رسولِ الثقلين، الإمامين الهمامين، أبي محمد الحسن، وأبي عبد الله الحسين ـ رضي الله عنهما ـ، وعلى أمهما سيدةِ النساء فاطمةَ البتولِ الزهراء ـ رضي الله عنها ـ، وعلى عَمَّيه المعظمين في الناس: أبي عمارة حمزة، وأبي الفضل العباس، وعلى بقية العشرة المبشرة، الذين بايعوه تحت الشجرة، وعلى جميع الأزواج والعِتْرَة المطهرين، وسائر الصحابة ومُتَّبعيهم بإحسان إلى يوم الدين، رضي الله عنهم أجمعين، اللهم أعزَّ الإسلامَ وأنصاره، وأذلَّ الشرك وأصهاره،

واجعلنا من عبادك الصالحين، برحمتك يا أرحم الراحمين، عبادَ الله! رحمكم الله، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠]، اذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروا نعمه يَزدكم، ولذكرُ الله أكبر.

* * *

خطبة يذكر فيها فضل شعبان

الحمد لله الذي خصَّ بعض الشهور والأيام بالتشريف والتفضيل، ووعد العاملين فيها بمضاعفة الثواب والأجر الجزيل، نحمدُه فهو أهلُ الحمد، وهو حسبي ونعم الوكيل، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ، شهادةً ندخرها لليوم الثقيل، شهادةً ننتفع بها يوم لا ينفع الوالد الولد ولا الخليل الخليل، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه المنعوت في التوراة والإنجيل، نبيٌّ اختاره الله للرسالة، وخَصَّه بالتعظيم والتبجيل، نبيٌّ أسرى به ليلاً من المسجد الحرام وأيده بالأمين جبرائيل، نبيٌّ أكرمه الله بالمعجزات التي أعظمُها مُحْكَم التنزيل ﷺ، وعلى آله وصحبه صلاةً وسلاماً يدومان في البكرة والأصيل.

أما بعد: أيها الناس! فإن في اختلاف الليل والنهار لعبرة، وإن في دور الأزمان لما يوقظ نائمَ الفكرة، وإن فوات الأيام لحسرةً لا توازيها حسرة، وإن في مواعظها لما يجري من الغافل لعبرة، عشيةٌ تروح وتأتي بكرة، وأحوالٌ ترفع مرة وتُخفض مرة، وعيشٌ عاقبةُ طيباته حسابٌ على مثقال الذرة، وزمرةٌ من الأيام تنقضي وتتخلف زمرة، وحياة آخرها من الموت كأسٌ مرة، ودارُ غرورٍ كم فاجأت حبيباً بما يكره، وكم أزعجت مطمئناً إليها على غِرَّة، مواعظُ والله تتصدع لها الصخور، فما لها لا تلين القلوب التي في الصدور؟! فاعتبروا يا أولي الألباب، وتدبروا بزواجر الكتاب، واحرصوا على نفائس أعماركم كيلا تذهب

سدى، واحذروا أن تضيعوها فيما لا ينفع فكيف فيما يضر أبداً، واعلموا أن الله سائلكم عنها غداً، وأنه أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كلَّ شيء عدداً، فالبدارَ البدارَ رجوعاً إليه ومتاباً، واغتناماً للأعمال الصالحة واكتساباً، فقد رأيتم الأيامَ ما أسرعها ذهاباً! أما تنظرون إلى شهر رجب تصرَّم كساعة من نهار، وتصرمت أيامه ولياليه بشطر من الأعمار، لقد حفظ ما استودعتموه في الصباح والمساء، وصار شاهدَ عدلٍ لمن أحسنَ منكم وعلى مَنْ أساء، فالفوزُ لمن أودعه صالحاً من العمل، والخيبةُ كلُّ الخيبةِ لمن انسلخَ عنه وهو حليفُ الزلل، فتداركوا ما فرطتم فيه بصدق المتاب، وسارعوا إلى طاعة ربكم مسارعةَ الحريص على نيل الثواب، واعلموا أنكم في شهر فضَّله الله على الشهور، وخصَّه بالبركات ومضاعفة الأجور، شهرٍ تُعرض فيه الأعمال على الرب الغفور، وشهرٍ يُسن فيه الصيام كما جاء في الحديث المأثور، يضاعف الله فيه لعامل الخير ثوابه وأجره، فاجعلوا اغتنام الأعمال الصالحة وسيلة لكم عند الله وذُخرة، واحذروا التفريط، فإن عاقبته الندامة والحسرة. واستكثروا فيه من الصيام والقيام، وبر الوالدين وصلات الأرحام، ومواساة الفقراء والمساكين من الأرامل والأيتام، وسارعوا إلى الخيرات فهذا أفضل أوقاتها، واغتنموا مهلة الحياة قبل فواتها لعروض آفاتها، وقدموا لأنفسكم ما ينفعها غداً قبل هجوم وفاتها، واحذروا لَذَّاتِها، ومطاوعةَ شهواتها، وتورَّعوا عن محارم الله، تنالوا السلامةَ من شرورها والأمانَ من تبعاتها.

جعلني الله ممن بدأ بنفسه فذكَّرها، ونهاها عن السوء وبالبر أمرها. إن أنفع المواعظ ذكراً، وأبلغَها وقعاً في القلوب وزجراً، كلامُ مَنْ جعل لكل شيء قَدْراً. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

* * *

الخطبة الأولى
لكسوف الشمس والقمر

الحمد لله مظهرِ الآيات عِبَراً للناظرين، وصارفِ النازلاتِ عن المتقين الذاكرين، وموجبِ المزيد من نعمه للمحسنين الشاكرين، ومجلل الحاضرين والبادين، وسامعِ وجيفِ أفئدةِ الناسكين والخائفين، أحمدُه على إسبال سترِه الجميل، وأعوذ به من وبالِ مكره الوبيل، وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الذي جعل الشمس ضياءً والقمرَ نوراً، ونشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله بالهدى بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، اللهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه صلاة وسلاماً كثيراً.

أما بعد: أيها الناس! إن آيات الساعة مترادفة تَتْرى، كنظام الجوهر تتبع كلَّ واحدة منها الأخرى، ولا تزال عظماؤها تنسيكم الصغرى، حتى يختمها الله لكم بالطامة الكبرى، فما فعلت العبرة التي رأيتموها من ظهور الكواكب نهاراً، واسوداد الشمس جهاراً؟ أأحدثت في قلوبكم وَجَلاً؟ أم أصلحت عند الله عملاً؟ فإن القادر على ذلك، قادرٌ على أن يبعث العذاب على من عصاه قِبَلاً، فلا تحسبوا ـ عباد الله ـ إظهارَ الآيات لكم لعباً، لكن لتجأروا إلى الله رَغَباً ورَهَباً، وتجعلوا التوبة إلى رضاه سبباً، من قبل أن يأخذكم على الغفلة والإصرار غَضَباً، وعلى التكاسل والتقصير نَصَباً، كما

أراكم من الشمس اسودادَ منظرها بعدَ التماع نورها وصفاءِ جوهرها، فمَنْ غيرُه يجلو للعباد ظلامَها؟ أم مَنْ سواه يكشف عن العباد ادلهامَها؟ سبحانه لا يصرف أحدٌ غيرُه زمامَها، ولا يعرف سيرها ومقامَها، ألا وإن الشمس والقمر خلقُ الله وآيتان من آياته، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فبادروا ـ رحمكم الله ـ بالتوبة والاستغفار والأعمال الصالحات، واكتساب الحسنات، واجتناب السيئات، فإن شؤم ذنوب البشر موجب كسوف الشمس، وخسوف القمر، وإظلام ضوء النهار، وانفصام ملك الدوام، ولولا تَعَطُّف الجبار، وتَطَوُّل الرحيم الستار، وسَعَةُ العزيز الغفار، الذي جاد عليكم بفضله فجلاها، وأعادها لكم بطَوْلِه وكرمه كما بداها، فأين أنتم عن الشمس إذا ردها على عقبها؟ وسيرها في غير مذهبها؟ حتى يردها طالعة من مغربها، فعندها تُغلق أبوابُ التوبة لطالبها، وتتعذر أسبابُ الأوبة لخاطبها، أم كيف بكم إذا كُوِّرت الشمسُ في القيامة فاسودَّت، وتدكدكت للأهوال صُمُّ الجبال وانهدت؟ ووُضعت الجسور على متن جهنم فامتدَّت؟ وعظمت المطالبات فاحتدَّت؟ وطالت المخاطبات فاشتدت؟ ونصب ميزان الحق، لوزنِ أعمال الخلق، وجاء ربك لنصرة المظلوم، وفصلِ الحكومة بين الخصوم، هنالك يتبين للظالم أن الظُّلم ظُلُمات، وأن القيامة زَفَراتٌ وحَسَرات، فرحم الله امرأً أقلع عما هو عليه من العصيان، وأخلص لله ليجازى على الإحسان بالإحسان.

جعلني الله وإياكم ممن إذا نُبه انتبه، وأوضح لي ولكم من طرق الحق ما اشتبه، إن أحسن الكلام كلامُ الملك العلام، والله يقول، وقولُه الحق المبين: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧].

بارَكَ الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

خطبة أخرى
تصلح للخسوف والكسوف

الحمد لله العظيم الذي جلَّت عَظَمته وتقدَّست، القديرِ الذي قهرت قدرتُه الجبابرةَ وقَصَمَت، الغيورِ الذي حَرَّم الفواحشَ ما ظهر منها وما بطن، فطوبي لنفس تركتها وانتهضت، العزيزِ الذي إذا غضب تلاطمت البحار لتغريق العصاة وزفرت، وتساقطت النجوم لهيبته وانتثرت، وخسفت الشمس والقمر، وكادت الجبال أن تنهد لولا كلمةٌ من الله سبقت، أحمدُه حمداً كثيراً طيباً على نعمه التي توالت وكَثُرت، وأسأله لي ولكم العفو والعافية، وأن يختم لنا بخير إذا دنت الوفاةُ وحضرت، وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ ذلَّت له الأعناقُ، والأصواتُ خشعت، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله الذي تمت ببعثته النبوة وخُتمت، وحَيَّرت معجزاتُه العقولَ وبَهَرت، اللهمَّ فصلِّ وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه ما هَمَلَتِ السحبُ وانسكبت.

أما بعد: فأوصيكم ـ عباد الله ـ ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله، فإنها الذخيرة التي إذا اضطر إليها صاحبها نفعت، وهي التجارة التي من قدم بها يوم المعاد أنجحت وأربحت، وهي الوسيلة التي إذا شفعت لصاحبها يوم القيامة شفعت، وهي حُلَّة الكرامة فمن لبسها زينته وجَمَّلت، ونوَّرت وجهه بين يدي ربه وبَيَّضت، وإياكم والمعاصي، فإنها التي دمرت العصاة من قبلكم وأهلكت، وسلبتهم النعمَ بعدَ حلول النقم وفرقتهم شذر مذر وأزعجت

وبَدَّدَتْ، وأذاقتهم المرارةَ بعد حلاوة العيش وكَدَّرت، ونقلتهم على الإرغام من سعة القصور إلى ضيق القبور وأسكنت، فذهبت لذاتُهم، وبقيت تَبِعاتُهم، واشتدت حسراتهم، وتخلت عنهم الأخلاء وهجرت، وغداً يقومون وقد أخجلت وجوهَهم المعاصي وسَوَّدت، وها أنتم بالمُهْلَة، فاستدركوا ما فاتكم بالأعمال الصالحة لتكونوا من الفرقة التي فازت ونجت، واعتبروا بهذه الحوادث التي أدهشت العقول وبهرت، وانظروا إلى هذه الكواكب النيرة، التي ما خالفت اللهَ قطُّ ولا عصت، كيف أُكسيت حلةَ السواد بعدَ البهجة المضيئة وانكسفت، فكيف تكون حالُ وجوه العصاة يومَ القيامة، إذا وردت غيرَ تائبة وقدمت؟ فالزموا ـ عباد الله ـ من الآداب عند كسوف الشمس والقمر ما وردت به السنة الغراء وثبتت، من الصلاة والدعاء والاستغفار والصدقة وصلة الرحم، والإقلاع عن الأعمال التي إذا ظهرت فضحت، ولا تعتقدوا مثل أهل الباطل، فإن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولا لدولة عزلت، بل هما آيتان من آيات الله، يُخَوِّف الله بهما عباده إذا كثرت معاصيهم وفَشَت، لعلهم يتوبون ويُنيبون فيغفرُ لهمم ويصرف عنهم البلايا التي عظمت. أين من رُزقوا عيناً باكية، إذا ذكرت ذنوبَها فاضت من خشية ملكيها ودمعت؟ وأعضاءً مطيعة إذا ندبت إلى رضا مولاها سارعت إلى خدمته ودأبت؟ ذهبوا إلا قليلاً، ولكن رحمته سبحانه وتعالى لغضبه سبقت.

جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين، وجنبني وإياكم مواردَ الظالمين، إن أحسن الكلام كلام الملك العلام، والله يقولُ وقولُه الحق المبين: فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ [القيامة: ٧ـ١٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر

الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم أجمعين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

* * *

الخطبة للاستسقاء

الحمد لله الذي خشعت له الجبالُ الراسيات، والصخورُ القاسيات، وأحيا الأرض بالمطر بعد الممات، فتفجرت بأمره عيوناً، وتصدعت لطاعته شُجوناً. أحمده على جميع النعم، وأشكره على الآلاء والقِسَم، وأستغفره لزلاتِ الجوارح بالأعمال القبائح، وأسأله أن يستر العيوب، ويذهب عنا جميع الكروب، ويتجاوز عنا السيئات، ويهدينا للأعمال الصالحات، ويزيدنا من الخيرات، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ الذي له الخلقُ والأمر، وبيده النفعُ والضرّ، وأشهدُ أن سيدَنا محمداً عبدُه ورسولُه بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، اللهمَّ فصلِّ على سيدِنا ونبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها الناس! اتقوا الله حق تقاته، وسارعوا إلى طاعته ومرضاته، وما أُمرتم به من الطاعة فافعلوه، وما نُهيتم عنه من المعاصي فاجتنبوه، ولا تغتروا بما أسبل عليكم من النعم، فلم يعاجلكم على المعاصي بالنقم، فإن العاصين لهم من الله استدراجٌ وتمكين، فيعطيهم بلا إصلاح عمل، ثم يأخذهم على الغرة والمهل، وإذا أراد الله إهلاك قرى، أسبلَ عليهم نعماً تترى، فعند ذلك يفسقون، ولا يُعدون له شكراً، فيأخذهم في غفلة وهم ساهون، وبما بسط عليهم من الخيرات لاهون. عباد الله! ما أصعب النكس بعد الشفاء! وما أتعبَ

الكدرَ بعد الصفاء! أما ترون عاقبة اتباع الهوى، وتطفيفِ الميزان والمكيال، وتعاطي الأيمان الفاجرة وسيىء الأعمال، كيف انحبس عنكم ماء الغمام، ورضيتم بالبؤس بعد الإنعام؟ ألا وإن الله جعل لكم هذا المعاش بُلْغَة لكم إلى آخرتكم، ووُصْلَة لكم في دنياكم، وقد علمتم أنه لا معاشَ لكم إلا بالقَطْر الذي يُنزل الله لكم، وأنه يمنعه عنكم لكثرة السيئات، وتتابع الخطيئات، والتهاون بالصلاة ومنع الزكاة، والاستهانة بإطعام الطعام، وصلة الأرحام، وتناول الحرام، وترك الاستغفار من الآثام، فإن هذه الأمور تحبس الأمطار، وتقضي بصاحبها إلى دار البوار، فقاطعُ الصلاة لا ينفعه عمل، ولا يُغفر له زلل؛ لأنها ركن الإسلام الأكبر، والناهيةُ عن الفحشاء والمنكر، والزنا الفاحشة بنص الكتاب، والفضيحة العظمى يوم الحساب إلا من تاب، وآكلُ الربا ربحُه خسران، وزيادتُه نقصان، فعليكم ـ عباد الله ـ بالتوبة والندم على ما فات، والتدارك بالأعمال الصالحات، وتجنب الحرام وكثرة الاستغفار؛ فإنه يمحو الذنوب، ويذهب بالأوزار، ويُنزل الغيث المدرار، ويفجر العيون والأنهار، اللهمَّ أنت الغني ونحن الفقراء أنزلْ علينا الغيث، واجعلْ ما أنزلتَ لنا قوتاً وبلاغاً إلى حين، اللهم اسقِ عبادك وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحيِ بلدك الميت، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً هَنِيّاً مَرِيّاً نافعاً غيرَ ضارّ، عاجِلاً غيرَ آجل، سَحّاً عاماً غدقاً مجللاً طبقاً، اللهم سقنا ولا تجعلنا من القانطين، اللهمَّ إِنا نستغفرك إنك كنت غَفّاراً، فأرسل السماء علينا مدراراً، اللهمَّ أذهب عنا الغلاء، واكشفْ عنا الضُّر والبلاء، يا ذا الجلال والإكرام، اللهم اسقنا الغيث، وآمِنَّا من الخوف، ولا تجعلْنا من الآيسين، ولا تهلكنا بالسنين، اللهمَّ إن بالبلاد والعباد من الجوع والضَّنك ما لا نشكو إلا إليك، اللهمَّ وأنبت لنا الزرع، وأدرَّ لنا الضَّرع، وأنزلْ علينا من بركات السماء، وأنبتْ من بركات الأرض، اللهمَّ ارحم الأطفال الرضَّع، والبهائم الرتَّع، والمشايخَ الركَّع، والشبابَ الخُضَّع، وارحم الخلائق أجمعين.

أسعفَنا الله وإياكم بغاية المرام، وجعلنا وإياكم ممن يدخل الجنة بسلام، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥، ٥٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، فاستغفره إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

دائرة خطبة الاستسقاء

الحمدُ لله المنعمِ على خلقه بالأمواه، نحمده ونُثني عليه ما نطقت الألسن والأفواه، وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ العزيزُ الغفار، ونشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه المنتقى من خيار الخِيار، اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد ما اتصلت حركاتُ الشفاه، وعلى آله وأصحابه الذين منعوا أحكام الدين عن الاشتباه.

أما بعد: فأوصيكم ـ عبادَ الله ـ ونفسي بتقوى الله الملكِ الغفار، وعليكم بالاستغفار في بياض النهار، وظُلَم الأسحار، واقرعوا ـ رحمكم الله ـ بابَ الملك الرحيم، وارغبوا إلى الله في دفع هذا الأمر العظيم، فليرتفع إليه بالدعاء ضجيجُكم، وليصعدْ إليه بالابتهال عَجيجُكم، وأخلِصوا نياتِكم في الدعاء، واتَّبِعوا سنةَ نبيكم في قلب الرداء، يقلبكم اللهُ من الضراء إلى السراء، ويخرجْكم من ضيق الشدة إلى سَعَة الرخاء، فإن الله ـ عز وجل ـ لدعائكم مستمع، وعلى نياتكم مُطَّلع، وهو القائل ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، اللهم أنشىء لنا سحابة هطلاء تحفُّها أرواحُ رحمتك، وتقودها بوادرُ رأفتك، تُمطرنا مطراً نافعاً تحيا به بلادُك، وتعيش به عبادُك، اللهمَّ جُدْ علينا بتحقيق الآمال، وأسعِفْنا بتحقيق السؤال، وتصدَّقْ علينا بالفضل والنوال. ولا تُخْلِنا من نظرك في كل حال، اللهم ونحنُ عبادك المسيئون، العوادون بالذنوب والخطايا، وأنت الربُّ

العفو العَوَّاد بالفضل والعطايا، وقد جَلَّت ذنوبُنا، وقست قلوبُنا، وعندك مطلوبنا، وقد ضَيَّعْنا حقوقك، وتعدَّينا حدودَك، وتابعنا الهوى بمخالفة طاعتك، غَرَّنا حِلْمُك فاعتدينا، وعودتنا بعفوك فاجترأنا. اللهمَّ تحمَّلْ عنا مظالم خلقك، ولا تطلبنا بحقك، فنحن العجزة المقصرون، والظلمة المسيئون. واعلموا أن الله يأمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكة قدسه، وأَيَّه(١) بالمؤمنين من جِنِّ العالم وإنسه، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. اللهمَّ صَلِّ وسلِّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. اللهمَّ ارحم الخلفاء الراشدين، والأئمةَ المهديين، الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، اللهمَّ اغفر لأمة محمد، اللهمَّ أصلح أمة محمد، اللهمَّ فَرِّجْ عن أمة محمد، اللهمَّ ارحمْ أمةَ محمد رحمةً عامة، اللهمَّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياءِ منهم والأموات، ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]. عبادَ الله ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العليَّ العظيم يذكرْكم، وادعوه يستجبْ لكم، ولذكرُ الله أكبر.

* * *

(١) أيه تأييها: صاح به وناداه، وأَيه: قال: يا أَيها الرجل.

خطبة النكاح[(١)]

إن[(٢)] الحمد لله، نحمدُه ونستعينه[(٣)] ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا[(٤)]، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هادي له. ونشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله[(٥)].

---

(١) انظر: رسالة «خطبة الحاجة» للمحدث الشيخ ناصر الدين الألباني، فقد بين فيها أحكام وروايات هذه الخطبة العظيمة، وقال فيها: إن هذه الخطبة للنكاح وغيره.

(٢) قال الشوكاني في «تحفة الذاكرين»: قوله: «إن الحمد لله» هكذا في بعض الروايات بإثبات إن، وفي بعضها بحذفها، وفي رواية بحذفها أَو إِثباتها على الشك، ويروى بتشديد النون وتخفيفها انتهى.

(٣) زاده ابن ماجة. ا. هـ.

(٤) زاده ابن ماجة. ا. هـ.

(٥) رواه أَبو داود عن عبد الله بن مسعود، ولفظه: قال علمنا رسول ﷺ خطبة الحاجة: إن الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ به، إلى قوله: فوزاً عظيماً، ولم يقل محمد بن سليمان: إن. قال المنذري: وَأخرجه الترمذي (١٩٣)، والنسائي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن، منهم من أخرجه عن أبي الأحوص وحدَه، ومنهم من أخرجه عنهما، ورواه أحمد، والدارمي أيضاً، وعن ابن مسعود في رواية أخرى عنده: أن رسول الله ﷺ كان إذا تشهد، ذكر نحوه، وقال بعد قوله: ورسوله: أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً. قال: (٢٥ـ الموعظة) المنذري: وفي إسناده عمران بن داود القطان، وفيه مقال، وأخرج أبو داود عن إسماعيل بن إبراهيم، عن رجل من بني سليم، قال: خطبت إلى النبي ﷺ =

أما بعد: فإن خير الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدَثاتُها، وكلُّ محدثة بدعة. وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار[(١)]»، وإن الله أحل النكاح، وندب إليه، وحرم السفاح، ووعد عليه. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠و٧١]، وقال ﷺ: «يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءَةَ فليتزوج؛ فإنه أغضُّ للبصر، وأحْصَنُ للفرج، ومن لم يستطع، فعليه بالصوم، فإنه له وِجاء»[(٢)].

وقال ﷺ: «تزوجوا الودودَ الولودَ؛ فإني مكاثرٌ بكم الأمم»[(٣)]، وقال ﷺ: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأةُ الصالحة»[(٤)].

* * *

= أمامة بنت عبد المطلب، فأنحكني من غير أن يتشهد. قال في «التقريب»: هو عبادة بن شيبان السَّلمي بفتح السين، قال في «الفتح»: قال الترمذي في «سننه»: قد قال أهل العلم: إن النكاح جائز بغير خطبة، وهو قول سفيان الثوري وغيره من أهل العلم. انتهى.

(١) أخرجه مسلم عن جابر بن عبد الله، ولم يذكر قوله: كل محدثة بدعة، لكن رواه أحمد عن عرباض بن سارية، وكذا قوله: كل ضلالة في النار، ولكنه ثابت في كتب السنة. ا. هـ. منه.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ا. هـ.

(٣) أخرجه أبو داود والنسائي عن معقل بن يسار. ا. هـ.

(٤) رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو. ا. هـ. ثم بعد ذلك يؤدى الإيجاب والقبول، بين الزوج ووكيل الزوجة على لسانها، ولا يستبد به الخاطب من جانبه من ترجمة من وكيل، فإنه جهل بالسنة وخلاف ما درج عليه سلف الأمة، قال في «الفتح»: وورد في تفسير خطبة النكاح أحاديث، ومن أشهرها ما أخرجه أصحاب «السنن»، وصححه أبو عوانة (١٩٤)، وابن حبان مرفوعاً عن ابن مسعود: «إذا أراد أحدكم أن يخطب لحاجة من نكاح أو غيره، فليقل: =

خطبة يحث فيها على شكر الله تعالى

الحمد لله المنعمِ الوهاب، الوليِّ الحميد، والحمدُ لله بجميع محامده، وكما ينبغي له من التحميد.

والحمدُ لله الذي أمر بشكره، ووعد عليه المزيد، فقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] نحمده ونشهد أنْ لا إله إلا هو المبدئُ المعيد، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسولُه الذي بُعث بالقرآن المجيد، ﷺ، وعلى آله وصحبه أئمة العدل والتوحيد.

أما بعد: أيها الناس! إن نعم الله تعالى لا يحصيها لسان، وإن نعمه لا يقوم بحق شكرها إنسان، فاشكروه على نعم الألسن، بكثرةِ الأذكار، والتضرُّع إليه بالدعاء والاستغفار، وتلاوةِ كتابه العزيز في العشي والإبكار، والدعاء إلى

= الحمد لله نحمده ونستعينه إلى قوله: عظيماً كما تقدم. انتهى. وفي «المنتقى»: رواه الترمذي، وصححه. انتهى. قال في «النيل»: والذي رأيناه في نسخة صحيحة منه التحسين فقط، وكذلك روى الحافظ في «بلوغ المرام» والمنذري في «مختصر السنن» التحسينَ فقط، ولكنه قال الترمذي بعد أن ذكر أن الحديث حسن ما لفظه: رواه الأعمش عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، عن النبي ﷺ. وكلا الحديثين صحيح؛ لأن إسرائيل جمعهما إلى آخره. انتهى. وأما حديث: خطب والحمد النبي ﷺ، حين زوج فاطمة بعلي، فقال: الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته إلخ. فقال العلامة الشوكاني في «فوائده»: رواه ابن ناصر مطولاً، وهو موضوع، وضعه محمد بن دينار العوفي. ا.هـ.

الخيرات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكرات، فإن عجزتم عن ذلك، فراقبوه من إطلاقها في الآثام، واستحيوا من الله من استعمالها فيما حَرَّم من الكلام، من السيئات وقول الزور والغيبة والنميمة وأيمان الفجور، واشكروه على نعم الأبصار، بالنظر في آيات الليل والنهار، والتفكر في مخلوقات الله والاعتبار، فإن قصرتم عن ذلك، فاحذروا من هتك الأستار، والنظر بها إلى محارم الله، فإن النظر إليها من أعظم الأوزار، واشكروه تعالى على نعم الأسماع، بالإنصات لكلام الله والاستماع، وصيانتها عما لا يحل من الملاهي، والسماع والإصغاء إلى الأخواض في الأعراض التي لا تحل بالإجماع، واشكروه تعالى على نعم الأيدي المركبة من أحسن تقويم، والمهيأة لكل نفع تميم، ببسطها في مراضي الأفعال، ومَحابِّ ربكم ذي المَنِّ والإفضال، وإياكم وبسطها في الظلم، فإن الظلم حسرة وندامة، وإن الظلم ظلماتٌ يوم القيامة، واشكروه على نعم الأقدام بالمشي إلى الطاعات، والسعي إلى الجُمَع والجماعات، فإن فرطتم في ذلك، فاحذروا من الخطا بها إلى الذنوب، والمشي بها إلى ما لا يرضاه علام الغيوب، أما تخشون أن تكون عليكم من أعدل الشهود، يوم تشهد الجوارح وتنطق الجلود؟! واشكروا الله على ما أنعم به من الأرزاق، ببذلها في وجوه البر والإنفاق، ومواساة أولي الحاجة والإملاق، فإن بخلتم بذلك، فإياكم أن تنفقوا حلالَها في الحرام، وتتقووا بها على المعاصي والآثام، فإن المعاصي مغيراتُ النعم، وإن المعاصي جالباتُ النقَم، وإن المعاصي سببُ هلاك مَنْ قبلكم من الأمم، واشكروا الله على ما خَوَّلكم من الملبوس، باستعماله لستر العورات ووقاية النفوس، وإياكم أن تلبسوه للتكبر والاختيال، والمفاخرة لأرباب الشرف والمال، واذكروا ما أعد لأهل العصيان، في الآخرة من سرابيل القطران، ومقطعات النيران، وما أعد لأهل الطاعة من السندس والعبقري الحِسان، واشكروه تعالى على أعظم النعم، الذي هو الإيمان بالمحافظة على اتباع السنة والقرآن، ومكارم الأخلاق وتطهير الجَنان، وإياكم أن

تلبسوه بالظلم وتضييع الحدود، والاستهانة بمحارم الله المعبود، واشكروه تعالى على نعم العلم؛ بتبيين الحلال والحرام، وتبليغها إلى الجاهلين من الأنام، وخشية الله تعالى في كل مقام، فإن عجزتم، فإياكم من خلط الحرام بالحلال، والتجاري على الله بسيىء الأعمال، فقد جاء: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالمٌ لا ينتفع بعلمه»، أو كما قال، واشكروه على ما أنعم به من العقول، وما خصكم به من إرسال خير نبيٍّ ورسول، وما أمدَّكم به من الكتاب العربي المبين، والنور الساطع المُستبين.

جعلني الله وإياكم من الذاكرين، ولنعمائه من الشاكرين، وعلى بلائه من الصابرين، إن أفضل الكلام وأعلاه كلامُ الله الذي لا إلهَ سواه. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٧، ١٨].

* * *

فهرس الموضوعات